البديع في فصل الربيع

لأبي الوليد إسمعيل بن محمد بن عامر الحميري

المتوفى زهاء سنة ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م



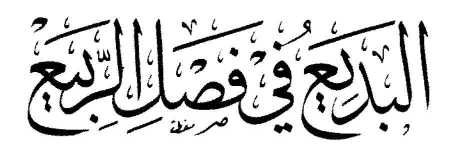
حققه وقدم له

الدكتور علي إبراهيم كردي

دار



دمشق - عين الكرش - جادة كرجية حداد - رقم ٤٨
ص ب ٣١٤٣ هاتف ٢٣١٩٦٩٤


البديع في فصل الربيع

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م



للطباعة والنشر والتوزيع دمشق. عين الكرش. جادة كرجية حداد. رقم ٤٨ ص. ب ٣١٤٣ هاتف ٢٣١٩٦٩٤



تأليف

أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر الحميري

المتوفى نحو سنة ٤٤٠هـ - ١٠٤٨م

حققه وقدم له

الدكتور علي إبراهيم كردي


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد

قال ابو الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر رحمة الله تعالى ورضوانه عليه

اما بعد حمد الله على فضله المتناهي والصلاة والسلام على خاتم رسله وناسخ سبله فان احوال الناس في الغالب راجعة الى [illegible] ما جعل عنه الولعون ولم يخرج المصنفون مما تشوق النفوس اليه وتلذه [illegible] عليه وبطل [illegible] اروح وانجح وانشر وانضر وابدع واروع من ازاهر حسن ذاته او اعرب بمح صفاته وحسبي بل يعلم الكل منهما ويغني به الجميع عنهما تيسير لما تعلقت [illegible] ودليلا على ما قلته ويتنوع هذه الصفات الرائقة والسمات الشائعة والحالات الفائقة لم يعن بتاليفه احد ولا انفرد لتصنيفه متفرد **قال مؤلفه** ابو الوليد رحمة الله عليه فلما رايت ذلك جمعت من الكتاب مضمنا ذلك الباب ولست اودعته الا ما ذكره اهل الاندلس مقتصرا من المعنى اذ اوطانهم لم تتكرر على الاسماع ولا كثر استخراجها بالطابع [illegible] وانما ذلك لتضييع اهل بلدنا لاكثرها وغفلتهم عن جلها انكار الفضلها من [illegible] اهلها فاذا انعرضوا [illegible] كانوا يحسبوا وحسبك لا يحرزون الافلاك يغيب في كثيرها وتلادا [illegible] عن [illegible] والجهرة ان من العلة مما صحت استغرابها واكثرت استحسانها واستغرابها واما اشعار اهل المشرق فقد كثر الوقوف عليها والذكر اليها حتى ما [illegible] تجولها النفوس وما [illegible] النفيس مع اني استغني عنها

عنها [illegible] لما ذكرنا بها الذخيرة للامة [illegible] من النثر المبتدع والنظم المخترع واحسن دليل لاهل عصري ادام [illegible] عن ذكرهم واما من تقدم عصري وتم فيهم من جليل قدره اوردنا لهم شيئا للعلة التي تقدم ذكرها لما من اهمالها وتضييعها من اهل المشرق في تاليفه اشعار شعرائهم ومن اخبار علمائهم الفضل عليها والسبق لما حتى لقد يجمعون خشينا مع حسنها ويضيفون الحسنا الى جمعها لاثلة ميزها [illegible] عن تركها ولو جرى اهل الاندلس على تلك الطريقة لاوردت على الخفيفة امثال ما اوردت واضعاف ما جلبت لكن اهل المشرق على تاليفهم لاشعارهم وتلفيقهم لاخبارهم ممن تكلمت العرب بكلامها وشعرائها [illegible] ونظامها الى [illegible] لا نعرف لا نسبهم من التشبيهات في هذه الموصوفات ما وجدت لاهل بلدي على كثرة ما سقطنا منها عن يدي بالغفلة التي ذكرنا عنها وقلة الفهم بها وعلى انه عمر الله [illegible] منتحلي الاسلام وكبيه متحلي للكلام ولو تاخروا عن ادراك المشرقيين في كل نحو وغرض وتقدم واعز لكانهم في كل جوهر وعرض لكانوا احفاء بالتاخر احريا بالتفقص [illegible] وقد صنعوا في احسن المعاني محتلا واطيبها مجتنى وهو الباب الذي تضمنه هذا الكتاب بما فيه من الاختراع الفايق والاتيان بالبديع الرائق وحسن التمثيل والتشبيه مثل نجوم او رائد [illegible] في غرر الصنع الجميل لذي الوزارتين الفقيه الجليل المنقطع للتقبل والراتب الشهاب الثاقب [illegible] عباد رحمه الله على العباد مولاي وسيدي ابقاهما الله ستر على جمعها اللذان فاقت مفاخر النجم به [illegible] وابطرت ارض العطش [illegible] الدرر من نظم الفكر

في اللولو من ونه او من المحبة والنحو ... ان منهما الفتي
الاخضرار ويجي في القطعة من جيد الصناعة وحسن الصياغة ما يعجب
الناظر ويبهر الخاطر **قال ابو الوليد** وفي نور الكتان اوقية
موسومة ولا حاز اذا ذكرتها ان شاء الله قال ابو جعفر بن سعيد

ونهر كستان او هي تكر وتصر وبحر
كانه حين مروا مد اهي الازورد
اذا السماء رانه تقول ذا من مرتح

قال ابو الوليد وله فيه قطعة اخرى

كان نهر الكتان حين بدا وفيه جلاسنه من الانهر
كم فيروزج معاصمها فدسته نفس خضرة الملبس
الا من رق الياقوت مر وضعت على بداله يرووهم بنرجس

ووقع الي في نور الغالية وصف حسن الذكر اذكره لبلاد دع مستحسنا اجرى
قال الوزير الكاتب ابو القاسم بن الجزار يصفه ما احسن واعرب وابرع واعجب

وحنتني بحدى نواحيه خضرحكا باسميا شيه نفحته
غير مضبا ده وارتج تعطيهما مثل العرب لما دينه ترجيه
كان اوراقه في حسن خضرتها من الزمرد اسنه واملحه
خير الشيء في الانبار حبته معار دالترب دمع تبطحه
ويكاد النور حين قبل انه محسبه غاليا كل من ينفحه

قال ابو الوليد ووقع لي في نور الرمان قطعتان حسنتان ولم يتاح
عن غير الهند في وقته واتكاله عن تطواله من التشبيهات الحكم فيه قول ابي
القاسم بن ... لما نسبت في كلامه قوله سطه منه

وبين

وبنت ايكه كالتيجان الشجرية كانما بين الغصن الخضرة
جمان باز او جنان صفر فقد خلصته لقوة تلطر
كانما شبهة دماس تكر او سفينة يحمه ولد مترجم
او تلقته في ترتبة من جهة ان كف عنها الربع عرف اللطي
جاءت بمثل النهر ومن الدرر تعتبر عن مثل اللثات الحمر

ومن التشبيهات الانيقة والتمثيلات الدقيقة قول ابي حفص بن كاتب في كتابه لعله النوار

اعجب بما في الرمان جزيته انوار المحتري من السبق
مثل كف الرمل بمحماشة او كتبنار الجامر السوق
او كجمان تخمت جبرتا غلابا و سطها من البرق

وللوزير ابي عامر بن مسلمة في وصف الجلنار ابيات بديعة وبهجة المعاد

وجلنار تنورى بنزهي اوراقه جلته لمن ابصر
منه اشبه الورد في نظ عمه وفارق اللون طلعة العصفر
مثل نمار الرمان بزاهرة كاتمة منكمش بلا مجبر

قوله منكمش بلا مجبر اراد انه لا يجمع كما يجمع نور الرمان قال ابو الوليد
وله فيه قطعة زنا وابعثه صفته وكان بقية بيته

وجلنار تهما تحتان في جل نار اخلا حلة من جميع الانوار والازهار
كمروود العزان منه اثرت باحمرارة وجنت باكف الملاحة والانصار

جل نار في الساقية معصول وانما هو جل من نار وانعو فيه تشبيه وتجنيس
قال ابو الوليد هذا ما عثرت عليه وانتهت بكثرة البحث اليه وان وقع
ابن تحقق وصه رايت ادري ما يوافقته في هذا الكتاب ووضعته موضعه
من كان يأبى والبشر غير معصوم ومن به احمر نفسه ملبس غرصوم وجنته
اي

وحسبي اني قد جمعت من غرايب اهل الاندلس ونوادرهم واوردت من نظامهم
ونثارهم ما يحكر ان ينحصر [illegible] من اجله تمامه [illegible] او وقع
من خلل [illegible] ادخله [illegible] ولا يبعد عن الرفيع
من [illegible] فليعلم اني لم اجهله وانما تغافلت من [illegible] واغضيت
لم على ما فيه [illegible] وصعب [illegible] والله
المستعان على التوفيق [illegible] الى سواء الطريق

وصا قيل في النرجس

ارانا احسن من عيون النرجس ام من بلاحظ [illegible] الجلس
درنشقو عن يواقيت على قضب الزمرد [illegible]
اجفان كافور حسين [illegible] من زعفران [illegible] الملبس
[illegible] اليواقيت الذي [illegible] موكلة [illegible]
او [illegible] قلبي [illegible]

غيره

[illegible] المليح
[illegible] على [illegible]
على قضب الزمرد [illegible]

في النيلوفر

وبركة تزهو بنيلوفر نسيمها يشبه ريح الحبيب
حتى اذا الشمس دنت وغيبت واستهزات الشمس بالمغيب
اطبق كفيه على ريحه وغاص في البركة خوف الرقيب

غيره رايت في البركة نيلوفرا [illegible] ما بالد وسط [illegible]

مقلتي [illegible] وصادني [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] الانوار [illegible]

غيره في السماء والنجوم والرياح ومن [illegible]

[illegible] بالمجرة [illegible] كتاب [illegible]
من [illegible] الزهر
[illegible] كما اجتمع [illegible]
[illegible] والنجوم [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] من زمرد [illegible]
[illegible]
وما [illegible] الزهر [illegible] اذا [illegible]
[illegible] البحر
[illegible] الزهر [illegible] البحر
[illegible] ومن [illegible]
[illegible] السحر

ولابن [illegible] الحمى من [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible]
[illegible] البحر [illegible]
[illegible] على [illegible]

المقدمة

عرف دارسو الأدب العربي عامّة، والأدب الأندلسيّ خاصّة كتاب «البديع في وصف الرّبيع» لأبي الوليد الحِمْيَريّ قُبيل منتصف هذا القرن عندما نشره المستشرق «هنري بيريس» عن النُّسخة الوحيدة المحفوظة بدير الأسكوريال[1]

وبقيت هذه الطَّبعة ـ على مافيها من تصحيف وتحريف ووهم ـ متداولة بين أيدي الباحثين مدّة طويلة حتّى آضت نُسَخها بحكم المخطوط في نُدْرتها، بما جعل الحاجة ماسّة لإعادة طبع هذا الكتاب مرّة أخرى.

وقد قيّضَ الله لهذا الكتاب باحثاً لهُ باعه في تحقيق التُّراث هو الدّكتور عبد الله عبد الرَّحيم عُسَيلان الأستاذ المشارك في كليّة اللّغة العربيّة بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، فندب نفسه لتحقيقه عن النُّسخة الخطّية نفسها التي طُبِعَ عنها أوّل مرّة[2] .

وقد اجتهد المحقّق ماوسعه الاجتهاد في قراءة نصّ الكتاب، وتصحيح ماتيسَّرَ من أخطائه. فضلاً عن بذله جهداً مشكوراً في خدمة النّصِّ من ترجمة الأعلام، وتخريج الشّعر في مظانّه، وصنع الفهارس اللازمة، إضافة إلى تحبيره مقدّمة هي ـ وإن طالت بعض الشَّيء ـ دراسة وافية للكتاب وصاحبه.

ولدى قراءتي المتأنّية لهذه الطّبعة من الكتاب تبدَّت لي بعض الملاحظ الّتي تسوّغ إعادة تحقيقه ونشره، ولاسيما أنني كنت ـ أثناء تحضيري لدكتوراه الدولة في تونس ـ قد عثرت على نسخة خطيّة مجهولة من كتاب «البديع» غُفْل من العنوان ضمن مجموع أدبيّ محفوظ في المكتبة الوطنيّة بتونس، فقرأته بعناية، ورأيت أنّه يمكن

---

(١) طبع بالرباط سنة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.

(٢) طبع بدار المدني بجدّة سنة ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

أن يعين على تصحيح كثير من التّصحيف والتّحريف الواقعين في طبعتي الكتاب، وأن يملأ البياض الموجود في مخطوط الأسكوريال. فعقدت العزم على تحقيق الكتاب راجياً أن تنال هذه الطبعة رضا جمهور الباحثين.

والله من وراء القصد

جوبر - دمشق - صفر ١٤١٧هـ - حزيران ١٩٩٦م

الدكتور علي إبراهيم كردي

١ ـ مؤلف الكتاب

هو أبو الوليد إسماعيل بن محمّد بن أحمد بن عامر بن حبيب الحِمْيَريّ[(١)] .

ولد بإشبيلية في أسرة موسرة ذات جاه، وأخذ عن علمائها أمثال أبي جعفر ابن الأبّار المتوفّى سنة (٤٣٣ هـ/١٠٤١م) وغيره، فتفتّقت قريحته الأدبيّة في سنٍّ مبكّرة، قال المقّريّ[(٢)] : «.. فكان وهو ابن سبع عشرة سنة ينظم النّظم الفائق، وينثر النّثر الرّائق».

أتاحَ له هذا النُّبوغ المبكّر الاتصال بأعلام المشاهير في بلده، فاختلف إلى مجالس القاضي ذي الوزارتين أبي القاسم محمّد بن إسماعيل بن عبّاد المتوفّى سنة (٤٣٣هـ/١٠١٤م)، وربطته به صداقة متينة فأهدى إليه كتابه «البديع في فصل الرّبيع»[(٣)] ، وأصبح خِدْنَ الملك يحضر مجالسه ومسامراته، ويطارحه الأشعار الإخوانيّة.

وحفل كتاب «البديع» بأخبار كثيرة تدلّ على صلة أبي الوليد الحِمْيَريّ بسراة إشبيلية، أمثال أبي عامر بن مسلمة المتوفّى بعد سنة (٤٣٣هـ/١٠١٤م)، وصاحب شرطة إشبيلية أبي بكر بن القوطيّة المتوفّى سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م).. وغيرهم[(٤)] .

وذكر ابن سعيد أنّه وزر للقاضي أبي القاسم بن عبّاد[(٥)] .

---

(١) ترجمته في: بغية الملتمس: ٢٢٨، التكملة لكتاب الصلة: ١/١٨٠، جذوة المقتبس: ١٥٢، الذخيرة ٢/١: ١٢٤، رايات المبرزين: ٥٠ ـ ٥١، المغرب في حلى المغرب: ١/٢٥٠، نفح الطيب: ٣/٤٢٧.

(٢) نفح الطيب: ٣/٤٢٨.

(٣) البديع: ٥

(٤) البديع: ٤٨

(٥) رايات المبرّزين: ٥٠.

وقال الحميديّ[1] : «وله ولأبيه قدمٌ في الأدب والرِّياسة، وله شعر كثير يقوله بفضل أدبه».

توفي أبو الوليد قريباً من سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) بإشبيلية وهو ابن تسع وعشرين سنة[2] ، ولم يخلف لنا غير كتاب «البديع»، وبعض الأشعار المبثوثه فيه وفي بعض المصادر الأندلسيّة الأخرى.

(١) جذوة المقتبس: ١٥٢.

(٢) قال ابن سعيد في (المغرب ١/٢٥٠): «قتله المعتضد بن عباد ابنَ تسع وعشرين سنة».

٢ ـ كتاب البديع

نُشر كتاب «البديع» أوّل مرّة في الرِّباط عام (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) بعناية المستشرق هنري بيريس، ثمّ أعاد تحقيقه الدكتور عبد الله عسيلان عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) وطبع في دار المدني بجدّة.

وجاء عنوان الكتاب في الطّبعتين «البديع في وصف الرَّبيع»، اعتماداً عئى ماجاء في خاتمة مخطوط الأسكوريال، في حين تذكر المصادر الأندلسيّة أنّ عنوان الكتاب هو «البديع في فصل الرّبيع»[1] . وقد رجّحنا هذا العنوان لأنّ ماجاء في خاتمة مخطوط الأسكوريال لايشكلّ دليلاً قاطعاً على دقّة عنوان الكتاب، ولاسيما أنّ الكتاب في نسختيه المخطوطتين غُفْلٌ من صفحة العنوان من جهة، ولأنّ نُسَّاخ المخطوطات في كثير من الأحيان يختمون المخطوطات بعباراتٍ لايتحرّون فيها الدّقّة.

والكتاب من كتب المختارات الّتي احتصّت بوصف ضروب الورود والأزهار الّتي كانت تنجم في الأندلس في فصل الرّبيع.

ويبدو أنَّ هذا الضّرب من المؤلّفات كان شائعاً في ذلك الوقت، إذ أشارت لنا المصادر الأندلسيّة إلى بعض الكتب الّتي أُلِّفت في هذا الموضوع، فذكر الحميدي أنّ الوزير أبا عامر بن مسلمة قد ألّف كتاباً سمّاه «الارتياح بوصف الرّاح»[2] ضمّنه

---

(١) انظر بغية الملتمس: ٢٢٨/ جذوة المقتبس: ١٥٢ وفيهما «وقد جمع كتاباً في فصل الربيع» وانظر تفصيل عنوان الكتاب في الذخيرة ٢/١: ١٢٤، رايات المبرّزين: ٥٠ ـ ٥١، المغرب: ١/٢٥٠، نفح الطيب : ٣/٤٢٨.

(٢) جذوة المقتبس: ٦١، وجاء عنوان الكتاب في الذخيرة ٢/١: ١٠٦، والمغرب ١/٩٧: «حديقة الارتياح في صفة حقيقة الراح».

وصف الرّياحين والبساتين والنُّوّار. وذكر ابن سعيد كتاباً لابن فرج الجيّاني بعنوان «الحدائق»[1] ، وآخر للخشني بعنوان «زمان الرّبيع»[2] .

وقد بيّن أبو الوليد الحِمْيَريّ هدفه من تأليف كتابه في المقدّمة فقال[3] : «.. فإنَّ أحقَّ شيءٍ بالتّأليف، وأولاها بالتّصنيف، ماغفل عنه المؤلّفون، ولم يُعنَ به المصنّفون، ممّا تأنس النّفوس إليه، وتلقاه بالحرص عليه. وفصل الرّبيع آرَجُ وأبْهَجُ، وآنَسُ وأنْفَسُ، وأبْدَعُ وأرفَعُ من أن أحُدَّ حُسْنَ ذاته، وأعُدَّ بديعَ صفاته.. وهو مع هذه الصّفات الرّائقة، والسِّمات الشّائقة، والآلات الفائقة، لم يُعْنَ بتأليفه أحد، ولاانفردَ لتصنيفهِ منفرد، فلمّا رأيت ذلك جمعت هذا الكتابَ مضمّناً ذلك الباب، ولست أودعه إلاّ ماأذكر لأهل الأندلس خاصَّة في هذا المعنى، إذ أوصافهم لم تتكرّر على الأسماع..».

فالهدف من تأليف الكتاب هو رغبة المؤلّف في أن يفرد كتاباً يجمع فيه بعض ماتميّز به الأندلسيّون من أوصاف لمظاهر طبيعتهم الغنّاء، ولاسيما الأزهار والرّياحين التي كانت تبهج العيون وتفغم الأنوف وخاصّة في فصل الرّبيع، نظراً إلى عدم التّأليف في هذا الموضوع على أهميّته واشتهار الأندلس به.

وينضاف إلى هذا الدّافع، دافع آخر هو رغبة المؤلّف في أن يظهر تفوّق الأدباء الأندلسيّين في هذا الفنّ، وأن يُخلّد مآثرهم، ويضمن لأشعارهم ونصوصهم النثريّة السّيرورة والانتشار، وأن يجاري المشارقة الّذين سبقوا إلى جمع أشعارهم، وتدوين أخبارهم، مع أنّه يصرّح بأنّه غير راضٍ عن طريقة المشارقة في جمع الأشعار لأنهّم ـ حسب رأيه ـ جمعوا الغثَّ والسَّمين، رغبةً في الإحاطة والجمع، على حين عمد هو إلى الانتقاء والاختيار ليقدّم صورة رائعة لأدب وصف الطبيعة في الأندلس، ولو أراد أن

---

(١) رايات المبرّزين: ١٨٤.

(٢) رايات المبرّزين: ٥٤، وذكر في مصادر كتاب «المغرب في حلى المغرب» باسم «فصل الربيع للخشني، (٢/٥٦٨).

(٣) البديع: ٣

يجمع كلَّ شيء لأتى بأضعاف ماجاء به. يقول أبو الوليد[1] : «... ولست أودعه إلاّ ماأذكر لأهل الأندلس خاصّة في هذا المعنى، إذ أوصافُهم لم تتكرّر على الأسماع، ولاكثر امتزاجها بالطّباع، فتردها شيّقة وترودها تيّقة... ... وأمّا أشعار أهل المشرق فقد كثر الوقوف عليها، والنّظر إليها حتّى ماتميل نحوها النُّفوس، ولايروقها منها العِلْق النّفيس، مع أنّي أستغني عنها، ولاأحوج إليها بما أذكره للأندلسيّين من النّثر المبتدع، والنّظم المخترع... ... ولأهل المشرق في تأليف أشعار شعرائهم، وتدوين أخبار علمائهم الفضل علينا، والسَّبق لنا، حتّى لقد يجمعون خشينها مع حسنها، ويضيفون لحنها إلى لحنها، لاقلّة ميزٍ بها، بل تحرُّجاً عن تركها، ولو جرى أهل الأندلس على تلك الطّريقة لأوردتُ على الحقيقة أمثال ماأوردت، وأضعاف مااجتلبت، لكنَّ أهل المشرق - على تأليفهم لأشعارهم، وتثقيفهم لأخبارهم، مُذ تكلّمت العرب بكلامها، وشغلت بنثرها ونظامها إلى هلمّ جرّا - لايجدون لأنفسهم من التّشبيهات في هذه الموصوفات ماوجدته لأهل بلدي على كثرة ماسقط منها عن يدي بالغفلة الّتي ذكرتها عنها..».

ولايخفى مافي هذه المقدّمة من مغالاة عند أبي الوليد، وتعصّب لأدباء الأندلس، حين قرّر أنّ قرائح أدباء المشرق قد عقمت عن الإتيان بتشبيهات تماثل ماجاء به الأدباء الأندلسيّون.

وممّا يزيد في قيمة الكتاب اشتماله - إلى جانب النّصوص الشّعرية التي تصف ضروب الزّهور والرّياحين التي كانت تزدان بها طبيعة الأندلس في الرّبيع - على نصوص نثريّة مهمّة، إذ أورد المؤلّف مجموعة من الرّسائل النّثريّة البديعة الّتي تفاضل بين الزُّهور، وكثيراً ماكان المؤلّف يبدي بعض اللّفتات النّقديّة إلى الأشعار والرّسائل التي كان يوردها.

عمد أبو الوليد في كتابه إلى تقسيم منهجيّ واضح، إذ قسم كتابه إلى مقدّمة وفصول يختصّ كلّ واحد منها بجانب معيّن، وخاتمة، فجاء تقسيمها على النّحو التّالي:

---

(١) البديع: ٣ - ٤.

الفصل الأوّل: القطع في الرّبيع الّتي لم يُسمَّ فيها نور، ولاقصد بوصفها منه نوع.

الفصل الثّاني: القطع الّتي لم تنفرد بوصف نور بل اشتملت على وصف نورين أو أنوار.

الفصل الثّالث: القطع المنفردة كلّ واحدة منها بنور على حدة. وهو أطول الفصول.

وقد اعتمد المؤلّف على الرّواية الشّفويّة في تأليف كتابه، بما أكسبه أهمّية كبيرة من حيث توثيق النّصوص وصحّتها، فكان بذلك مصدراً مهمّاً اعتمده أصحاب المؤلّفات الأندلسيّة المتأخّرون، وكان يلجأ في كثير من الأحيان إلى الاختيار من مقدّمة القصيدة، فيورد الأبيات الّتي تخدم غرضه من الوصف ويطرح بقيّة أبياتها. وهذه القصائد كانت ـ في أغلبها ـ قصائد مدحيّة، يقدّم لها أصحابها بوصف الطّبيعة ثمّ يتخلّصون إلى المدح، وكان هذا من مظاهر التّجديد في قصيدة المدح الأندلسيّة إذا استعاض هؤلاء الشّعراء عن المقدّمة التّقليديّة ـ طلليّة كانت أو غزليّة ـ بمقدّمات في وصف الطّبيعة.

وكثيراً ماكان أبو الوليد يعقّب على النّصّ الذي يورده بشرح معاني بعض الألفاظ الّتي يستغلق فهمها على القارئ، ويوضح بعض الصّور الشّعرية العسيرة الفهم.

لهذا كلّه نقول: إنّ لكتاب «البديع في فصل الرّبيع» أهمّية كبيرة لدارسي التّراث الأندلسيّ، إذ يقفون فيه على نصوص أدبيّة مهّمة في وصف طبيعة الأندلس الفتّانة، وعلى تصوير للبيئة الأندلسيّة الأدبيّة، والمطارحات الشّعريّة والنّثريّة التي كانت تجري بين الأدباء، فضلاً عن الشُّذرات النّقديّة المبثوثة بين ثنايا الكتاب.

٣ ـ منهج التّحقيق

اعتمدتُ في تحقيق الكتاب على نسخة مخطوطة مجهولة محفوظة في المكتبة الوطنيّة بتونس ضمن مجموع أدبي رقمه (٤٧٣١)، آل إليها من المكتبة الأحمدية بالجامع الأعظم، إضافة إلى طبعتي الكتاب.

ويحتوي المجموع المخطوط كتابي «لمح السّحر» لابن ليون التّجيبي، و«البديع في فصل الرَّبيع» لأبي الوليد الحِمْيَريّ. ويبدأ الكتاب بالورقة رقم (٥٩) وينتهي بالورقة (١٠٧)، فعدد أوراقه ثمان وأربعون ورقة، مكتوبة بخطّ أندلسيّ يعود إلى القرن التّاسع الهجري.

وكُتب في كل ورقة واحد وعشرون سطراً، وفي كل سطر مابين ثماني كلمات واثنتي عشرة كلمة. وكان الناسخ يبدأ الفقرات بخط أكبر نسبيّاً.

وثمّة نقص في المخطوط بقدر ٦ ورقات يبدأ في الصفحة ٣٤ وينتهي بالصفحة ٥٢ من طبعتنا هذه، وقد أشرت إلى بداية هذا النقص ونهايته.

وقد عرضت المخطوط على طبعتي الكتاب باعتبارهما ممثّلتين لنسخة الأسكوريال وأثبتّ الفروق في الحواشي، وخرجت عن الأصل في مواضع يسيرة عند رجحان رواية نسخة الأسكوريال، ووضعت زيادات هذه النسخة ضمن معقوفتين.

وخرّجت الأشعار والنّصوص النثرية في مظانّها.

وأضفت بعض الشّروح المناسبة.

وزوّدت الكتاب بالفهارس الفنّية اللازمة التي تسهّل العودة إلى مافي الكتاب.



تأليف

أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر الحميري

المتوفى زهاء سنة ٤٤٠هـ-١٠٤٨م

حققه وقدم له

الدكتور علي ابراهيم كردي



بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى اللّه على سيّدنا ومولانا محمّد وآله وصحبه وسلّم[١]

قال أبو الوليد إسماعيل بن محمّد بن عامر رحمة اللّه تعالى ورضوانه عليه[٢] : أمّا بعد حَمْد اللّه على فضله المتناهي، والصّلاة والسّلام[٣] على خاتم رسله وناهج سبله، فإنّ أحقّ الأشياء بالتّأليف، وأولاها بالتّصنيف ماغفل عنه المؤلّفون، ولم يُعْنَ به المصنّفون ممَّا تأنس النّفوس إليه، وتلقاه بالحرص عليه. وفصل الرّبيع آرجُ وأبهجُ، وآنَسُ وأنْفَسُ، وأبْدَعُ وأرْفَعُ من أن أَحُدَّ حُسْنَ ذاته أو[٤] أَعُدَّ بديع صفاته. وحسبي بما يعلم الكلُّ منها، ويخبر به الجميع عنها، شهيداً لما نَقَلْتُه، ودليلاً على ماقُلْتُه، وهو مع هذه الصّفات الرّائقة، والسّمات الشّائقة، والآلات الفائقة، لم يُعْنَ بتأليفه أحد، ولاانفرد لتصنيفه منفرد.

قال مؤلّفه[٥] أبو الوليد رحمة الله عليه[٥]: فلمّا رأيت ذلك جمعت هذا الكتاب مضمّناً ذلك الباب، ولست أودعه إلاّ ماأذكره[٦] لأهل الأندلس خاصّة[٧] في هذا المعنى، إذ أوصافهم لم تتكرّر على الأسماع، ولاكثُر امتزاجها بالطّباع، فتردها شيّقة، وترودها تيّقة[٨] ، وإنّما ذلك لتضييع أهل بلدهم لأكثرها[٩]، وغفلتهم عن جُلّها إنكاراً لفضلها مدّة بقاء أهلها، فإذا انقرضوا

---

(١) في ط١ وط٢: وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد وآله وسلّم تسليماً.

(٢) في ط١ وط٢: رحمه اللّه.

(٣) ليس في ط١ وط٢.

(٤) في ط١ وط٢: وأعدّ.

(٥) ليس في ط١ وط٢.

(٦) في ط: أذكر.

(٧) في الأصل: «مقاصة»، وهو تحريف.

(٨) التّيّق والشّيّق بمعنى واحد وهو المشتاق.

(٩) في ط٢: لأكثرهم.

تأسّفوا بقدر ماكانوا تعسّفوا[1] ، وحينئذٍ لايجدون إلاّ قليلاً يغيب في كثيرها، وثماداً[2] يفيض عند بحورها، ولعمري إنّ هذه العلّة ممّا صحّحت استغرابها، وأكّدت استحسانها واستعذابها.

وأمّا أشعار المشرق؛فقد كثر الوقوف عليها، والنّظر إليها، حتّى ماتميل نحوها النّفوس، ولايروقها منها العِلْق النّفيس[3] ، مع أنّي أستغني عنها [٥٩/ب] ولاأُحوج إلى ذكرها[4] بما أذكره للأندلسيّين من النّثر المُبْتَدع، والنّظْمِ المُخْتَرع، وأكثر ذلك لأهل عصري إذ لم تَغب نوادرُهم عن ذِكْري.

وأمّا من بَعُدَ عصره، وكم فيهم من جليلٍ قَدْرُه، [فقلّما][5] أوردتُ لهم شيئاً للعلّة الّتي تقدّم ذكري لها من إهمالها وتضييعها.

ولأهل المشرق في تأليف أشعار شعرائهم، وتدوين أخبار علمائهم، الفضل علينا والسّبق لنا، حتّى لقد يجمعون خَشينَها[6] مع حَسَنِها، ويضيفون لَحْنَها إلى لَحْنِها، لاقلّة مَيزٍ بها[7] بل تحرّجاً عن تركها. ولو جرى أهل الأندلس على تلك الطّريقة لأوردتُ على الحقيقة أمثال ماأوردتُ وأضعاف مااجْتَلَبْتُ. لكنّ أهل المشرق على تأليفهم لأشعارهم، وتثقيفهم لأخبارهم مذ تكلّمت العرب بكلامها، وشغلت بنثرها ونظامها إلى هلمَّ جرّا..، لايجدون لأنفسهم من التّشبيهات في هذه الموصوفات ماوجدتُهُ لأهل بلدي على كثرة ماسقط منها عن يدي بالغفلة الّتي ذكرتها عنها، وقلّة التّهمّم بها[8] ،

---

(١) في ط١ وك٢: تنسّقوا.

(٢) الثّماد: الماء القليل.

(٣) العِلْق النّفيس: الشّيء الذي يعلق بالقلب لنفاسته فيُضَنُّ به.

(٤) ط١ وط٢: إليها.

(٥) بياض في الأصل.

(٦) في الأصل: خشيناً.

(٧) في الأصل: ميزها.

(٨) التّهمّم: الاعتناء، وهي من الألفاظ الأندلسّية والمغربية الخاصة.

وعلى قرب عهد الأندلس بمنتحلي الإسلام، فكيف بمنتخلي[1] الكلام، ولو تأخّروا عن إدراك المشرقيّين في كلّ نحو وغرض، وتقهقروا عن لحاقهم في كُلّ جوهر وعَرَض، لكانوا أحقّاء بالتّأخّر، أحرياء[2] بالتّقهقر. فكيف يُرى فضلهم وقد سبقوا في أحسن المعاني مُجتلىً، وأطيبها مُجتنىً، وهو الباب الّذي تضمّنه هذا الكتاب، فلهم فيه من الاختراع الفائق، والابتداع الرّائق، وحسن التّمثيل والتّشبيه، مالايقوم أولئك مقامَهُمْ فيه. والفضل في هذا الصُّنع الجميل لذي الوزارتين[3] القاضي الجليل المنقطع المثيل، ولابنهِ [الحاجب][4] الشّهاب الثّاقب نثره عبّاد، ورحمة اللّه على العباد وليٌّ وسيّديّ أبقاهما اللّه ستراً عليّ. فهما اللّذان أقامت مُقعَد الهمم يَدُ اهتبالهما[5]. وأمطرت أرض الفطن سماءُ أفضالهما، فدرّت الدّرر من تلك [٦٠/آ] الفكر الّتي يَسْعيان لتحصين مُرادهما وتحسين مَرادهما.

وتأمّل أيّها النّاظر في كتابي تَأمُّلَ اليَقِظ المُتَّقد[6]، والمُمَيِّز المُنْتَقد[7] تَرَ أغربَ التّشبيهات، وأعجب الصّفات، وأبرع الأبيات، وأبدعَ الكلمات لمن كان[8] حواليهما من مُسْندٍ إليهما، مُعَوِّلٍ عليهما، ومُتَصَرِّفٍ بين أيديهما، ومتورّكٍ[9] على أياديهما.

---

(١) منتخلو الكلام: مختاروه.

(٢) في ط١ وط٢: وأحرياء.

(٣) أراد بذي الوزارتين القاضي أبا القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد.

(٤) ليست في الأصل.

(٥) الاهتبال: الاهتمام، وهي من الألفاظ الأندلسية والمغربية الخاصة.

(٦) في الأصل: للمتّقد. وفي ط٢: المنتقد.

(٧) في الأصل: للمنتقد. وهي ليست في ط٢.

(٨) في ط٢: كام.

(٩) في ط١ وط٢: ومتورّط.

وإنّما ذلك لترادف إحسانهما، وتعاقب امتنانهما وقديماً قيل: «اللُّها تفتح اللَّها»[1]، وبقدر ذلك أعملوا الفكر، وأنعموا النّظر، فنظموا في جودهما دُرراً من الكلام، لاتسلك على سلكها غِيَرُ الأيّام، وكسوا جميل فعلهما جُملاً من الجمال تبقى بقاء اللّيالي. فللّه درّهما من ملكين نَفَّقا سوق الأدب الكاسدة، وأصلحا حال العلم الفاسدة فكثر المنتحلون لها والمتحلّون بها، ولولاهما ـ أطال اللّه بقاءهما وأدام اعتلاءهما ـ ماانفردتُ لهذا التّأليف، ولاشغلتُ فكري بهذا التّصنيف، ولامنيتُ نفسي به، ولاوثقت بها في ترتيبه. لكن بفضلهما الجزيل، وفعلهما الجميل، لاح السّبيل، وعلمت كيف أقول، فجزاهما اللّه عمّا يولِيان من الأيادي الحسان الّتي تداركتنا وقد بلغت القلوب حناجِرَها[2]، وشحذت الخطوبُ خناجرها، وكشّرت النُّوَبُ عن أنيابها، وأدالت الأيّام إعتابها بعتابها جزاءً يجوز رضاهما، بل يجوز مُناهما، وبعد العَجْز عن استيعاب جزيل إفضالهما، واستكمال جميل إقبالهما[3]، فنعود إلى ماوعدنا به، ونجتلب مابنينا على اجتلابه، وباللّه ذي الجلال والإكرام العونُ على البَدْء والتّمام.

---

(١) زهر الأكم ١/١٣١، وفي أساس البلاغة للزمخشري ٥٧٨: «ومن المجاز: «اللُّهَا تفتح اللَّها أي: العطايا». ومعناه أن الإحسان، وتوارد العطايا الحسان يطلق اللسان بالثناء والشكران.

(٢) أفاد مِن قوله تعالى في سورة الأحزاب (١٠): ﴿وإذ زاغت الأبْصارُ وبلغت القُلوبُ الحَناجرَ﴾.

(٣) في ط١ و ط٢: أفعالهما.

باب ما جاء في الرّبيع والأنوار من البديع المختار

قال أبو الوليد إسماعيل بن عامر: من الصّواب في الدّواوين، والحِذْق في التّواليف أن يُضاف المِثْلُ إلى مثله، ويُقرَنُ الشّكل بشكله، فيقصد الطّالب أيَّ معنًى شاء فيجد مقصده، ويعتمد القارئ أيّ فصل أراد فيُلفِي[1] معتمده. [٦٠/ب].

وهذا الباب كثير الفصول، غزير الفروع والأصول، على قلّة الوصف له، والقول فيه، لكنّي رددتُهُ إلى ثلاثة فصول، وقصرته عليها، وقيّدته بها.

فالفصل الأوّل: القِطَعُ في الرّبيع الّتي لم يُسَمَّ فيها نَورْ، ولاقُصِدَ بوصفها منه نوع.

والفصل الثّاني: القِطعُ الّتي لم تتفرَّد بوصف نُوّار، بل اشتملت على وصف نَورين أو أنوار.

والفصل الثّالث: في القِطَع المنفردة كلّ واحدة منها بنَوْر على حِدَة، فمن طلب شيئاً قَرُب عليه وِجْدانُهُ، و لم يغرب[2] عنه مكانه.

وبعد الرَّغبة في التّسديد والتّوفيق والهداية إلى سواء الطّريق، نبدأ بالفصل الأوّل في الرّبيع، ونذكر[3]:

---

(١) في ط١ وط٢ فيلقي.

(٢) في ط١ وط٢ يعزب.

(٣) في ط١ وط٢: نبدأ بالفصل الأول القطَع في الربيع....

الفصل الأول

القِطَع الّتي لم يُسَمَّ فيها نَوْر، ولاقصد بوصفها منه نوع

قال أبو الوليد: من المُستَحسن في هذا الباب قول أبي عمر أحمد بن عبد ربّه[1]:

[البسيط]

وروْضةٍ عَقَدت أيْدِي الرَّبيعِ بِهَا ... نَوْراً بنَوْرٍ وتَزْويجَاً بِتَزْويجِ

بِمُلْقَحٍ مِن سَواريها ومُلقَحةٍ ... ونَاتجٍ مِنْ غَوادِيها ومَنْتُوجِ[2]

توشّحت بمُلاءةٍ غير مُلْحمةٍ ... مِنْ نَوْرها وَرِداءٍ غَيْرِ مَنْسُوجِ[3]

فألبستْ حُلَلَ الموشيِّ زَهْرَتَها ... وَجَلّلَتْها بأنْمَاطِ الدَّيَابيجِ[4]

سواريها: سحائبها [الآتية][5] ليلاً، من السُّرى؛ وهو سير اللّيل. وغواديها: الآتية في الغداة.

ومن غريب الوصف في عجيب الرّصف قول أبي عمر أحمد بن فرج الجيّاني: [الكامل]

أمّا الرَّبيعُ فَقَدْ أرَاكَ حَدائِقا ... لَبِسَتْ بها الأيّامُ وَشْياً رائقا

فكأنّما تَجْتَرُّ أذْيالَ الصَّبَا ... فِيها البُروقُ أزَاهِراً وشَقَائِقا

مُتَقَسِّماتٍ بينَهَا وَسْمَ الهَوى ... تَحْكِي المُشَوَّقَ تارةً والشّائِقا[6]

مِنْ قَانيءٍ خَجِلٍ وأَصْفَرَ مُظهِرٍ ... للوَجْدِ كالمَعْشُوقِ فاجَا العَاشِقَا[7]

---

(١) ديوانه: ٣٧.

(٢) هي (ملقحة ومنتوجة) لتحقق المطر ليلاً.

(٣) النَّوْرُ: الزَّهر.

(٤) الدَّيابيج، واحدها الدّيباج: نوع من الثّياب سداه ولحمته من الحرير.

(٥) سقطت من الأصل.

(٦) موضع كلمة «بينها» بياض في ط١ وط٢.

(٧) فاجا: فاجأ، خفّف الهمزة ضرورة.

وكأنّما نَـشَرَتْ عَلَى أَجْفانِهَا غُرُّ السَّحائِبِ لُؤْلُؤاً مُتَنَاسِقَا

فإذَا الصَّبَا لَعِبَتْ بِهِ في رَوْضَةٍ ذُكِرَ الفِراقُ بِهَا بُكيً وتَعانُقَا [٦١

شبّه اضطرابَ النّوار بالرّياح وقرْبَ بعضها من بعض، وسقوطَ النّدى منها بذلك الاضطراب بالتّعانق عند الفراق والبُكى من أجله.

ولأبي عُمَر أيضاً فيه قطعة غريبة التّشبيه وهي[1] : [مجزوء الكامل المرفّل]

يَاغَيْمُ أكْبَرُ حَاجَتي سَقْيُ الحِمَى إنْ كُنْتَ تُسْعِفْ

رَشِّفْ صَدَاهُ فَطَالَمَا رَوَّى الصَّدى فيهِ التَّرَشُّفْ[2]

واخلَعْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّبيـ ـعِ ووَشْيِهِ بُرْداً مُصَنَّفْ

حتّى تُرَى أنْوارُهُ وكأنّها أعشارُ مُصْحَفْ[3]

وتَخَالُ مُرْفَضَّ النَّدَى في رَوْضِهِ شَكْلاً وأحْرُفْ[4]

وكَتب عمر بن هشام إلى صديق له يستدعيه في رأس الرّبيع من جنّة له فأحسن إحساناً يقرُبُ على من تأمَّلَهُ ويبعُدْ على من رامَهُ:

«كَتبْتُ والأرضُ تستطيرُ باستطارةِ شوقِنا إليك، وتهُمُّ أن تستقِلَّ بنا نحوك، إذ صرنا بروضة استعارت لون السّماء بخضرتها، وزُهْر نجومها بأنوارها، وبدور تمّها بأقمارها. فقد افترشنا ثوبَ السَّماء، وحوينا زهرة الدّنيا، وبَيْننا متطلّعةٌ إليكَ بأعناق الغزلان، ولسمع حسِّكَ مصيخةُ الآذان، فإن عجَّلْتَ قهْقهَتْ طرَباً، وتبودرَتْ نُخَباً، وإن أبْطأْتَ أظلَمَ في أعيننا النُّور، وكادت الأرض بنا تمور[5] ، والسّلام».

---

(١) الأبيات في كتاب التشبيهات : ٣٩.

(٢) الصَّدى: العطش، وأراد برشّف: اسق.

(٣) في التّشبيهات: «ترى أنهاءه».

(٤) ارفضاض الندى: تَرشّشهُ.

(٥) تمور: تضطربُ.

قال أبو الوليد: في آخر هذه الرّسالة من وصف الكؤوس، وسرور النّفوس بمن خوطب فيها، وكوتبَ بها ما لم أعِدْ به، ولاقصدت قصد ذكره، لكنّي لو فَصَلْتُه منها لأخْلَلتُ بها، فمن الأشياء أشياءُ يزداد حسنها بما وُصلت به، وقُرنت معه، وربّما أنّ في كتابي مثل هذا. فمن رآه فليعلم أنّي إنّما أسعى في استكمال الحديث واستيعاب الخبر لئلا أخلَّ بما ابتُدِئَ به بالنّقص منه، ولستُ أفعل هذا إلاّ فيما [٦١/ب] يكون تبعاً لما أَقْصِدُ إلى جمعه، وأُشْغَلُ بتأليفه.

ولذي الوزارتين القاضي[١] ـ أدام الله عزّه ووصل حرزه ـ قطعة نثر، بل نفثة سحر، جاوب بها أبا عامر بن أبي عامر ـ رحمه الله ـ وقت كونه بإشبيلية وقد كتب إليه يسأله إباحة الخروج له إلى بعض ضِياعِهِ للتّنزّه في فصل الرّبيع.

والقطعة بعد صدرها:

«وقفتُ على كتابك ـ أكرِمْ به ـ وفهمت ماتضمّنه، وهي أوقات التّنزّه، وأحيان التّفرّج، فقد أشرقت الأرض، وزهي الروض، وأقبل فصل الرّبيع بكلّ حسن بديع، وأفصحت الطير بعد عُجمتها، وأبدت النّواوير غرائب زهرتها، وكست الوَرَقُ شَجَرَها، وغطّت الزّروع مَدَرها[٢]، فلست ترى إلاّ خضرةً تَسْطَع، وثماراً تُينع، تجلو الصّدى[٣] من الكبد الحرَّى، وتزيح الأسى عن النّفوس المرضى، وقد قال عليه السّلام: «رَوِّحُوا الأَنْفُسَ فَإنّها تَصْدَأُ كَما يَصْدَأُ الَحديدُ»[٤]. وهذا كلّه بما مَنّ الله به من الغيث المغيث، فله الشّكر واصباً[٥]، والحمد دائماً[٦] على آلائه الّتي تَتْرَى، ونِعَمِهِ الّتي لاتحصى، وهذا فيض بديهته، وعفو سجيّته،

---

(١) أراد أبا القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد المتوفّى سنة (٤٣٣هـ/١٠٤١م).

(٢) المَدَرُ: قطع الطين اليابس، وأراد وجه الأرض.

(٣) الصدى: العطش.

(٤) هو حديث مرسل، أورده الهندي في كنز العمال ٣٩/٣، رقم ٥٣٥٤. والزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ٣٠٨/٥ و٣٦٨/٦ و٣٤/١٠.

(٥) واصباً: أي بشكل مستمرّ.

(٦) في ط١ وط٢ دائباً.

ولو روّى لكان أرفع على أن لاأرفع، وأبدع على أن لاأبدع، حرس اللّه حوباءه[1] ، وصان ذكاءه».

ومن البديع في وصف الرّبيع ماجاء به أبو عمر يوسف بن هارون الرّمادي في قصيد يمدح به الوزير ابن بُلَشَّر، فقال بعد صدر منه[2] : [الطويل]

على روضةٍ قامت لنا بِدَرَانِكٍ ... وقامَ لَنا فيها الذُّبابُ بمُسْمِعِ[3]

إذا ماشربْنَا كأسَنا صُبَّ فَضْلُها ... على فَضْلِ كأسِ المُسْمِعِ المتخلّعِ[4]

كأنّ السَّحابَ الجَوْنَ أعْرَسَ بالثّرى ... فلاحَ شَوارُ الأرْضِ في كُلِّ مَوْضِعِ[5]

رِيَاضٌ يُضَاحِكْنَ الغَزَالَةَ بَعْدَما ... بكَتْ فَوْقَهَا عَيْنُ السَّماءِ بأربَعِ

كأنَّ سُرورَ الأرْضِ حُزْنُ سَحابِهَا ... إذا مابَكَتْ لاحَتْ لَنا في تَصَنُّعِ

حَبائِبُ لايَسْمَحْنَ إلاّ بِلَحْظَةٍ ... وشَمَّة أنْفٍ للمُحِبِّ المُمَتَّعِ

[٦٢/آ] بدائِعُ ماأبْدَى الوَزيرُ بنانُهُ ... إلى صَكِّهِ إلاّ أتانا بأبْدَعِ[6]

شبّه خطّ ممدوحه بالرّبيع في حسن منظره، وجمال مخبره، ودخوله إلى المدح في هذا الموضع مُفضّل له مستحسن منه. والغزالة: الشمس. يقال: طلعت الغزالة ولايقال: غابت الغزالة[7] . وقال الأصمعي: الغزالة: وقت طلوع الشّمس، وليست الشّمس. والجونُ من الأضداد يكون الأبيض والأسود. وهو هاهنا الأسود. والتّصنّع: التّحسّن والتّزيّن.

---

(١) الحَوْباءُ: النَّفْسُ.

(٢) ديوان الرمادي ٨٥.

(٣) الدرانك، جمع درنك وهو الطنفسة أو البساط.

(٤) في ط١ على فضضنا للمستمع، وفي ط٢: على فضضنا للمسمع، وفي الديوان: على روضنا.

(٥) الشّوار: اللباس والهيئة والحسن والجمال.

(٦) في ط١ وط٢: «أهدى الوزير».

(٧) انظر اللسان: «غزل».

ومن حَسَنِ مالَهُ في هذا المعنى قوله في قصيدة يمدح بها العارض أحمد بن سعد بعد وصف سحابة ورعد وبرق وهو[1] : [الرّمل]

كَسَتِ الأرضَ بساطاً رائقاً ... بطنُها سَدَّاهُ والأرضُ نَسَجْ

أَخرَجَتْ أسرارَهَا إذ أُحْرِجَتْ ... رُبَّ سِرٍّ أَحْرَجَ الصَّدْرَ حَرَجْ[2]

كمُحِبٍّ ضَاقَ وَجْداً صَدْرُهُ ... فبدا ماكانَ في الصَّدْرِ اختَلَجْ[3]

صَاحِ إنْ يُبْهِجْكَ وَجْهٌ حَسَنٌ ... فليكُنْ وَجْهَ الرَّبيع المبتَهِجْ[4]

أَعْرَسَ الرَّوْضُ ومِنْ قَيْناتِهِ ... أُمُّ مَن خالَفَ في الاسم السَّمِجْ[5]

تتغنَّى أوّلاً في رَجَزٍ ... فإذا امتَدَّت تُغنّي في الهَزَجْ

ثمّ دخل إلى المدح كدخوله المتقدّم فقال:

وكأنّ الرَّوضَ مِنْ خَطِّ أبي ... بَكْرِ العَارِضِ وَشْيٌ وَدُبجْ

قَيْنَاتُهُ: مُغنّياته، واحدتهنَّ قينة. و«من خالف في الاسم السَّمِج» أراد أُمَّ الحسن. لأنّ الحسن ضد السَّمِج.

ولأبي عمر أيضاً قطعة حسنة يصف فيها الرّبيع من قصيد مُطوَّل بديع التّشبيهات، بديع الصّفات، يمدح به أبا عليّ البَغداديّ - رحمه الله - والقطعة بعد صدر من القصيد[6] : [الكامل]

في إثْرِهَا وقعت مَلاحِمُ تجتلي التْـ ... ـتَأْريخَ بَيْنَ سَحائبٍ ومُحُولِ[7]

---

(١) الأبيات في ديوانه ٥٨.

(٢) أحرج الصّدر: أضاق الصدر.

(٣) في ط١ وط٢: «اعتلج»، واختلج: تحرك واضطرب.

(٤) في الأصل: «فليثر وجه» وهو تحريف.

(٥) السَّمِجُ: القبيح.

(٦) الأبيات في ديوانه ١١٥ - ١١٦، وتخريجها ثمّة.

(٧) في ط١ وط٢ البيت مكسور الوزن لوضع كلمة التأريخ في عجز البيت. والمحول واحدها محل: وهو الجدب وانقطاع المطر واحتباسه.

فَكأنَّهــا جَيْــشٌ بِدُهْــمِ خُيُــولٍ ... غــازٍ إلى جَيْــشٍ بشُــهْبِ خُيــولِ

قَــامَتْ رَواعِدُهــا بِــدَقٍّ طُبُــولٍ ... في حَرْبِهــا وبُروقِهــا بِنُصُــولِ[1] [٦٢]

ولَّــتْ جُنــودُ المَحْــلِ ثــمَّ تَحَصَّنَــت ... في قَلْــبِ كُــلِّ مُتَيَّــمٍ معــذولِ

بَكَــتِ السَّحابُ على الرِّيَاضَ فحسَّــنَتْ ... مِنْهَا غُروسَــاً مِــن دمــوعِ ثَكُــولِ[2]

فكأنَّهــا والطَّــلُّ يُشْــرِقُ فوقَهَــا ... وَشْــيٌ يُحَــاكُ بلُؤْلُــؤٍ مَفْصُــولِ[3]

غَلَبَتْ على شَمْسِ النَّهَــارِ فألبسَــتْ ... مِنْهــا ظَهيرَتَهــا ثيــابَ أَصِيــلِ

فَنَزَلْتُ في فُرُشِ الرِّيــاضِ ولَــمْ يَكُــنْ ... لَيَحُوزُهَــا مِثلــي بغَــيْرِ نُــزُولِ[4]

سُــلِبَ العِمَامَــةَ بَيْنَنــا مُتَعَمِّــمٌ ... لَطَمَــتْ سَــوالِفَهُ يَــدا مَغْلُــولِ

فوضَعْــتُ في فَمِــهِ فَمــي فِعْــلَ الّــذي ... يَهــوى بريــقِ حَبيبــهِ المَعْسُــولِ

غَنّــى الطُّــرَاةُ مــن الذُّبَــابِ لَنَــا بهَــا ... طَرَبــاً فِهِجْــنَ شمــائِلاً بشَــمُولِ[5]

رَوْضٌ تَعــاهَدَهُ السَّــحَابُ كأنَّــهُ ... مُتَعــاهَدٌ مِــن عِلْــمِ إسمــاعيلِ[6]

قولُهُ: «فكأنّها جيش بدهم خيول».. البيت، شبّه السّحاب في اسودادها بالخيل الدُّهم، والأرض في ابيضاضها قبل النّبات بالخيول[7] الشُّهْب. وهذا من أبدع ماستُعير لهذا الموضع، وممّا حسَّنَهُ ذكر الغزو بينهما، وقوله: «سُلِبَ العِمامةَ بيننا مُتَعَمِّمٌ» البيت، أراد ظَرْفَ الخَمْر الّذي تُسمّيه العامّة الكُوزَ. شبّه مَقْبِضه في عُنقه بيَدَيْ مَغْلُول. وعِمامتُهْ: فِدَامُه[8] ، وهو من مخترعاته الطّريفة، ومبتدعاته الشّريفة.

---

(١) في ط١ وط٢ «رواعدها بطبول» وهو مختل الوزن. ونصول، واحدها نصل: السيف.

(٢) في ط١ وط٢: «عروساً». والثكول: التي فقدت ولدها.

(٣) الطَّلُّ: النّدى.

(٤) في ط١ وط٢ ضبطت كلمة «ليحوزها» بفتح الزاي.

(٥) الطراة: الجماعة، الشمائل جمع شِمال: الطبع والخلق، والشَّمولُ: الخمر تشمل بريحها الناس.

(٦) في الديوان: «عهد إسماعيل» وهو أبو علي القالي البغدادي.

(٧) في ط١ وط٢: «بالخيل».

(٨) الفدامُ: مصفاة الكوز والإبريق ونحوه.

وممّا حَسُنَ له ـ رحمه اللّه ـ في هذا المعنى قطعة من قصيدة شَأى فيهـا مَـن تقـدّم يمدح بها ابن القُرَشيّة وهو عبد العزيز بن المنذر بن عبـد الرّحمـن النّاصر لديـن الله بعـد أبيات غريبة في صفات عجيبة وهي[1] :

[الطويل]

تـأمّلْ بـإثْرِ الغَيْـمِ مِـنْ زَهْـرَةِ الـثّرَى حَيَـاةَ عُيـونٍ مُتْـنَ قَبْـلَ التّنعُّـمِ

كـأنّ الرّبيـعَ الطّلْـقَ أقْبَـلَ مُهْدِيَـاً بِطَلْعَـةِ مَعْشُـوقٍ إلى عَيْـنِ مُغْـرَمِ[2]

تَعَجّبْتُ مِنْ غَوْصِ الحَيَا في حَشَى الثّرَى فأفْشـى الّـذي فيـهِ ولَـمْ يتكَلّـمِ [٦٣/آ]

كأنَّ الّذي يَسْقي الـثّرى صِـرْفَ قَهْـوَةٍ تَنِـمُّ عَلَيْـهِ بالضّمِـيرِ المُكتّـمِ

أرى حَسَـناً في صَفْحَـةٍ قَـدْ تَغَـيَّرَتْ كَبِشْـرٍ بـدا في الوَجْـهِ بعـد التّجَهُّـمِ

ألاَ ياسَـماءَ الأَرْضِ أُعْطِيـتِ بَهْجَـةً تُطالِعُنَـا مِنْهـا بوَجْـهٍ مُقَسَّـمِ

وإنْ قـالَتِ الأَرْضُ المنَعَّـمُ أَرْضُهـا لِيَ الفَضْلُ في فَخْرِي عَلَيْكِ فَسَلّمي[3]

فخُضْـرَةُ مافِيهـا يَفوقُـكَ خُضْـرَةً وَنُوّارُهـا فيهـا ثَواقِـبُ أَنْجُـمِ[4]

وإنْ جِئتَهـا بالشّـمسِ والبَـدْرِ والحَيَـا مُفَـاخَرةً جـاءَتْ بأسْـنَى وَأَكْـرَمِ

بِعَبْدِ العزيـزِ ابْـنِ الخلائـفِ والّـذي جَميعُ المَعَالي تَنْتَمي حَيْثُ يَنْتَمِي[5]

ودخوله في هذا الموضع إلى المدح، ومفاخرته بين السّماء والأرض من المعاني الّتي سبق فيها واستولى على الأمد[6] بها.

وقوله: «كأنَّ الّذِي يَسْقي الثّرى صَرْفَ قَهْوَةٍ...». البيت، شبّه فيه إفشاء الأرض نوّارها وخضرتها بالمطر بإفشاء المَرْءِ أسرارَهُ المكتومة بالقهوة. وقوله: «ينمّ»،

---

(١) زاد في ط١ وط٢ «وهي أعني القطعة». والقصيدة في ديوانه ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٢) في الأصل: «إلى حين مغرم».

(٣) في الديوان: «المنعّم روضها».

(٤) في الديوان: «تفوقك».

(٥) في ط١ وط٢: «ينتمي حيث...».

(٦) في الأصل: «الأبد»، وهو تحريف.

مستقبل من النّميمة، يقال: يَنِـمُّ، بكسر النّون وضمّها، والكسر أفصح. وقوله: «بوجـه مقسّم» أي مُحَسّن مـن القَسَـام: وهـو الحُسْن. وقولـه: «فسلّمي»، أراد: فـأذعني لها وأقرّي بفضلها.

ولعبد الملك بن نُفَيْل قطعة محكمة في هذا المعنى كتَب بها إلى المنصور بن أبي عامر - رحمه اللّه - بأرْمِلاّط:

[الكامل]

أنْظُـرْ إلى حُسْـنِ الزَّمَـان كأنَّمَـا ... يلقـاكَ عَـنْ بِشْـرٍ لوجْهِـك مُبْشِـرِ

بَكَـتِ السَّماءُ علـى الرُّبـا فتبسَّـمَتْ ... مِنْهـا ثُغـورٌ عَـن عَقـائِلِ جَوْهَـرِ[1]

أهْـدَى الرَّبيـعُ إلَيْـهِ سَـكْبَ سَـمَائِهِ ... فَكسا الـثَّرَى مِـنْ كُـلِّ لَـوْنٍ أزْهَـرِ

ضَحِكَتْ مُتُـونُ الأرْضِ عِنْـدَ بُكائِـهِ ... عَـنْ أبْيَـضٍ يَقَـقٍ يَـروقُ وأصْفَـرِ[2]

وكَـذاكَ لم تُكْشَـفْ سَـريرةُ رَوْضَـةٍ ... يومـاً بـأفْصَحَ مـن غَمَـامٍ مُمْطِـرِ[3]

غَيْـثٌ أرَانـا كُـلَّ نَـوْرٍ ضَاحِكـاً ... مُتَطلّقـاً منهـا بنَـوْرٍ أنْـوَرِ[4]

مُتَبَخْـتِرٌ في مَشْـيِهِ فَكَأنَّـهُ ... ثـانٍ لهـا عِطْفـاً وكاسِـرُ مَحْجِـرِ[5] [٦٣]

وَكأنَّمـا زَهْـرُ الرِّيَـاضِ كواكِـبٌ ... حَسَرَتْ لَنا عَـنْ كُـلِّ أزْهَـرَ مُقْمِـرِ

فَصِـلِ السُّـرورَ بقَهْـوَةٍ مَشْـمُولةٍ ... تُغْنيـكَ عَـنْ قَبَـسٍ وَمِسْـكٍ أذْفَـرِ[6]

شبّه بِشْرَ الزَّمان بِبِشْرِ وَجْهِ ممدوحهِ في أوّل بيت، وشـبّه ضيـاء الخَمْـر بـالقَبَس، وريحها بالمِسْك إذْ[7] أقامَها مقامها في آخر بيت.

(١) الرُّبا، جمع ربوة: وهي ماارتفع من الأرض، وأراد بعقائل جوهر أي جواهر كريمة.

(٢) متون جمع متن، وهو ظهر كل شيء، ويقق: شديد البياض، ناصعه.

(٣) الغمام جمع غمامة: السّحابة.

(٤) في ط١ وط٢ «متطلّعاً».

(٥) متبختر: مختال في مشيته، العِطف: المنكب، ومَحْجرُ العين: مادار بها.

(٦) القهوة: الخمرة، مشمولة: باردة، ومسك أذفرَ: طيب الريح.

(٧) في ط١ وط٢: «إذا أقامها».

وللكاتب أبي الأصبغ عيسى بن عبد الملك بن قُزْمان من جملة قصيد مطوّل قطعة في هذا المعنى، وهي إثر وصف البرق[1] : [الكامل]

كَمْ ذَا أَكَنَّ ضَميرَهُ مِنْ رَوْضَةٍ ... والغَيْثُ مَلآنٌ بِنَوْرٍ زَاهِرِ

يُخفي ويُضْمِرُه الحَيَا فَكَأَنَّهُ ... بَحْرٌ تَسَتَّرَ فيه نُورُ جَواهِرِ[2]

حَتَّى إذَا ماعانَقَ الرَّوضُ الثَّرى ... طَلَعَتْ أَوَائِلُ نَبْتِهِ الْمُتَظاهِرِ

مُتَخَالِفَاتٍ في الرُّبَا فَنَظَائِرٌ ... حُسْناً وفي الأَلْوانِ غَيْرُ نَظَائِرِ

تَرْنُو إلَيْكَ جُفُونُها عَنْ أَعْيُنٍ ... أَحْلى وَأَمْلَحَ مِنْ عُيُونِ جَآذِرِ[3]

لاشَيءَ أَحْسَنُ مَنْظَراً إنْ قِسْتَهُ ... أو مَخْبَراً مِن حُسْنِ رَوْضٍ نَاضِرِ[4]

إنْ جِئْتَهُ أَعْطَاكَ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ ... أَوْغِبْتَ زادَكَ في النَّسِيمِ الحَاضِرِ[5]

وقال أبو أيّوب سليمان بن بطال المتلمِّس في هذا المعنى فأحسَنَ[6] :

[المتقارب]

تَبَدَّتْ لنا الأرضُ مَزْهُوَّةً ... علينا ببَهْجَةِ أثوابِهَا

كَأنَّ أزاهِرَها أكْؤُسٌ ... حَدَتْهَا أنامِلُ شُرَّابِهَا

كَأنَّ الغُصُونَ لها أَذْرُعٌ ... تُناوِلُهَا بَعْضَ أَصْحَابِهَا

وَقَدْ أَعْجَبَ النَّوْرُ فيها الذُّبابَ ... فيهْزَجُ مِنْ فَرْطِ إعْجَابِهَا[7]

---

(١) البيتان الأخيران في المغرب ١/٢١٠.

(٢) الحيا: المطر.

(٣) في ط١ وط٢: «أجلى»، والجآذر جمع جؤذَر: ولد البقرة الوحشية.

(٤) في المغرب: «إن زرتَهُ».

(٥) في المغرب: «زارك».

(٦) الأبيات ماعدا الرّابع في التشبيهات ٤١ - ٤٢ بزيادة بيت.

(٧) يهزج: يغني.

كــــأنَّ تَعَانُقَهَـــــا في الجَنُـــــوبِ تَعــــانُقُ خَـــــوْدٍ وأتْرابِهَـــــا[1]
كــــأنَّ تَرَقْـــــرُقَ أجْفانِهَـــــا بُكاهــــا لِفُرْقَــــةِ أحبابِهَـــــا

مزهوّة، مفعولة، من الزُّهو، ومعناه مُتَعَجّبة من حالها، متكـبّرة لجمالها [٦٤/آ]. وترقْرُقُ الأجفان: امتلاؤها بالدّمع. واستعار للنّوْر أجفاناً.

وقال محمّد بن مسعود البجّاني فأحسن في الوصف كلَّ الإحسان: [المنسرح]

أمَــا تَــرَى الأرضَ أُلْبِســت حُلَــلاً من نَسْجِ أيْدي السَّـحَائب الصُّـوَّبْ[2]
كــأنَّ أشْــجارَهَا وَقَــدْ كُسِــيَتْ بَدائِعَــاً مــن حُليهــا المُعْجِــبْ
مــن أحْمَــرٍ كــالعَقيقِ مَنْظــرُهُ وَأصْفَــرٍ كــالفَريدِ لم يُثقَــبْ[3]
وأبْيَــضٍ فَوْقَــهُ سَــقيطُ نَــدًى كمَــاءِ وَرْدٍ في عَنْــبَرٍ أشْــهَبْ[4]
وَثَمَــرٍ في الغُصُــونِ تَحْسِــبُهُ جَــامِدَ خَمْــرٍ في الجَــوِّ لَــمْ يُسْــكَبْ
أوْ أنْجُــمِ الشَّــرْقِ بــانَ مَطْلَعُهَــا فَسِــرْنَ مِــنْ مَشْــرِقٍ إلى مَغْــرِبْ
خَرائِــدٌ يَلْتَقِــينَ في عُــرُسٍ تَسْــكُنَّ حِينــاً وتَــارَةً تَلْعَــبْ[5]
والمَــاءُ يَجْــرِي خِــلالَ سَــاحَتِها كأنَّــهُ جِسْــمُ فِضَّــةٍ ذُوِّبْ
وللصَّبَــا نَفْحَــةٌ تُذَكِّرُنَــا طِيــبَ نَسِــيمِ الصَّبَــا فَمَــا أطْيَــبْ[6]

(١) الخَوْدُ: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً.
(٢) الصُوَّب: الهاطلة.
(٣) الفريد بغير هاء: الجوهرة النفيسة.
(٤) الشُّهبة: البياض الذي غلب على السواد، وقال ابن منظور: العنبر الجيد لونه: أشـهب، والعنـبر من الطيب.
(٥) خرائد، جمع خريدة: وهي البكر التي لم تمسس قطّ.
(٦) الصَّبا: ريح مهبها مطلع الثريا إلى بنات نعش.

والطَّـــيْرُ في أَيْكِهَـــا مُغَـــرِّدَةٌ   كَأنَّهـــا في مَنَـــابرٍ تَخطُـــبُ[1]

أَعْجـــبْ بهـــا مِـــنْ نَواطِـــقٍ خُـــرُسٍ   تُوجِـــزُ حِينَـــاً وتَـــارَةً تُسْـــهِبُ

تُفْهِمُـــــني عُجْمَـــــةٌ بأَلْسُـــــنِهَا   مَعْنـــى الكَـــلامِ المُبَيِّـــنِ المُعْـــرِبُ[2]

وللوزير أبي عامر بن شُهَيْد - رحمه الله - في الرّبيع قطعةٌ عجيبة من قصيدة طويلة مشتملة على أوصافٍ سواها مستغربة، ومعان [غيرها] مستعذبة، [والقطعة][3] :

[مجزوء الكامل المرفّل]

سَـــــهِرَ الحَيَـــــا برِيَاضِهَـــــا   فَأسـَـــالَهَا والنَّـــوْرُ نَـــائِمْ[4]

حَتَّـــــى اغتَــــدَتْ زَهَرَاتُهَـــــا   كـَــالغِيدِ بـــاللُّجَجِ العَوائِـــمْ[5]

مِـــنْ ثَيِّبَـــاتٍ لَـــمْ تُبَـــلْ   كَشْـــفَ الخُـــدودِ ولا المَعَـــاصِمْ[6]

وَصِغَـــارِ أَبْكَـــارٍ شَـــكَتْ   خَجَـــلاً فَعـــاذَتْ بالكَمَـــائِمْ[7]

حَيِّيَـــتْ بِطُوفَـــانِ الحَيَـــا   فَتَضَـــاحَكَتْ والجَـــوُّ واجِـــمْ[8] [٦٤/ب]

أَصْنَـــافُ زَهْـــرٍ طُوِّقَـــتْ   دُرَرَاً تَـــذوبُ بِكَـــفِّ نَـــاظِمْ

مِـــنْ باسِـــمٍ بَـــاكٍ إليَـــ   ـكَ نَـــدٍ، وبَـــاكٍ وَهـــوَ بَاسِـــمْ

---

(١) الأيك: الشجر الملتفّ الكثير.

(٢) العجمة: عدم الإفصاح بالكلام.

(٣) ديوانه: ١٥٥.

(٤) الحيا: المطر، والنور: الزهر.

(٥) الغيد، جمع غيداء: المرأة المتثنية من الليّن، واللُّجج: واحدها لجّة وهو معظم الماء، وأراد بأن الزهرات تشبه الغيد العوائم باللجج.

(٦) الثيبات جمع ثيّب، وهي التي تزوجت وفارقت زوجها بأيّ وجه بعد أن مسّها.

(٧) الأبكار جمع بكر وهي العذراء. والكمائم: غطاء النَّور.

(٨) واجم: عابس.

وقال الوزير أبو عامر بن مَسْلَمة يصفهُ بوصف أبدع فيه وأغرَبْ، وأنْبَأ عن حِذْقِهِ وأعْرب، أنشدنيه موصولاً بوصف الحاجب[١] ـ أدام الله عزّه ووصل حرزه ـ وهو[٢]:

[السريع]

أهْلاً وسَهْلاً بوُفودِ الرَّبيعْ ... وثَغْرِه البَسَّامِ عند الطُّلوعْ

كأنّما أَنْوارُهُ حُلَّةٌ ... مِنْ وَشْيِ صَنْعاءَ السَّرِي الرَّفيعْ[٣]

أَحْبِبْ بِهِ مِنْ زائِرٍ زَاهِرٍ ... دعا إلى اللَّهْوِ فَكُنْتُ السَّميعْ

بَثَّ على الأرْضِ دَرانيكَهُ ... فَكُلُّ ماتُبْصِرُ منها بَديعْ[٤]

كأنّما الحَاجِبُ ذُو المَنِّ والْـ ... ـمـ إحْسَانِ إسماعيلُ مَوْلى الجميعْ

أَهدى إلَيْهِ طِيبَ أَخْلاقِهِ ... فَنَحْنُ منها دَهْرَنا في رَبيعْ

لازَالَ يَبْقى سَالِماً مادَعَتْ ... قُمْريَّةٌ في فَنَنٍ ذِي فُروعْ[٥]

قال أبو بكر عُبادة بن ماء السَّماء يصفه بأوصاف بديعة، وتشبيهات رفيعة، ويبدأ بذكر السَّحابة[٦]:

[الرّمل]

وَلَعُوبٍ عَشِقَتْ روضَ الثَّرى ... فَهْيَ تَأْتِيهِ على طُولِ البَعَدْ[٧]

فَيُرى الرُّوضُ إذا ماوَصَلَتْ ... أَرِجَ العَرْفِ مِن الطِّيبِ الجَسَدْ[٨]

---

(١) أراد بالحاجب إسماعيل بن محمد بن عباد.

(٢) الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ في الذخيرة ٢/١ ـ ١١١.

(٣) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم، قال ياقوت في معجم البلدان (صنْعاء، ٣/٤٢٥): منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها، كقولهم: امرأة حسناء وعجزاء وشهلاء»، وكانت صنعاء تعرف بصناعة البرود اليمانية المتقنة الصنع. والوشي: نوع من الثياب الموشية الملونة. والسّريّ: الرفيع.

(٤) الدَّرانيك، واحدها درنيك: ضرب من البُسط.

(٥) القمريّة: ضرب من الحمام مطوّق، حسن الصوت، الفَنَنُ: الغصن.

(٦) في ط١ وط٢: «سحابة».

(٧) أراد باللعوب: السَّحابة.

(٨) الأرج: انتشار ريح الطيب. العَرْفُ: الرائحة، وأكثر مايستعمل في الطّيبة منها.

عَطِـــــراً مُلْتَبِســــــاً مَلْتَحِفــــاً   في سَــرابيلَ مِـــنَ الحُسْـــنِ جُـــدُدْ
كمُحِـــــبٌّ زار مَحْبُوبَــــــاً لَــــهُ   فتحلّـــــى لِلُقَـــــاهُ واسْـــــتَعَدْ
وَإذا مـــــــاوَدَّعَتْ أَبْصَرْتَهَـــــا   في نُحُولِ العَاشِقِ الصَّـبِّ الكَمِـدْ[1]
تلحَـــظُ النَّـــوْرَ بِلَحْـــظٍ فـــاتِرٍ   مِثْـلَ جَفْـنٍ حـائِرٍ فيـه رَمَـدْ[2]
وجُفـــونُ النَّــوْرِ تَهْمــي بالبُكــا   كجُفـونِ الصَّبِّ مِـن فَقْـدِ الجَلَـدْ[3]
فَهُمـــا في حَـــيْرةٍ عِنْــدَ النَّــوَى   كمُحِبَّيْـــنِ أحَسَّــــا بـــــالبَعَدْ   [٦٥/آ]

ولأبي بكر أيضاً قطعة بديهيّة وهي: [البسيط]

أمَا تَرَى بـاكِرَ النَّـوْرِ الّـذي نَجَمَـا   كأنّـه آيـبٌ مِـنْ غَيْبَـةٍ قَدِمَـا
والقَطْـرُ سَـاق لَـهُ والـبرق يعجلُـهُ   سُقْيَاهُ فِعْلَةَ دَاعِي الشَّرْب بالنُّدُما[4]
كأنَّــهُ سِــلْكُ دُرٍّ حُــلَّ، أو كَلِـفٌ   بكـى فَلَمّـا دَنَـا مَحبوبُـهُ ابتسَـما
كَـأنَّ مُبْدِئَــهُ في الأُفْــقِ مُنْتَــثِراً   أعَـادَهُ في أنيـقِ الـرَّوْضِ مُنْتَظِمَـا
فَـلا تَـرُدُّ عَلـى السَّـاقي حُكومَتَـهُ   فـإنَّ ديـنَ الهـوى رَاضٍ بمـا حَكَمـا

أشار إلى حُسْن السّاقي في آخر بيت.

وأحْسَنُ منها مُجتلًى، وأطيَبُ مُجْتنًى في هذا المعنى ماأنشدنيه لنفسه الفقيه أبو الحسن بن علي مُمْتزجاً[5]، يمدح الوزير أبا بكر عبد الله بن ذي الوزارتين القاضي ـ أعزّهما الله ـ وهو[6]:   [السريع]

قــد قُلْــتُ لــلرَّوضِ، ونُــوَّارُهُ   نَوعـــانِ تِـــبْريٌّ وفِضّـــيٌّ

---

(١) الصَّبُّ: المشوق، الكمِد: المتغير اللون.
(٢) الرَّمَدُ: وجع العين وانتفاخها.
(٣) الجَلَدُ: القوة والشدّة. تهمي: تَسيل.
(٤) في ط١ وط٢: «البرق يعجبه» وهو تحريف. والشَّرْبُ: الجماعة يشربون الخمر.
(٥) في ط٢: «ممتوجاً»
(٦) الأبيات ماعدا الأخير في الذخيرة ١/٢/٢٠٠ ـ ٢٠١.

وعَرْفُـــــهُ مُختلِــــفٌ، طِيبُـــــهُ صِنْفَـــانِ خَمْـــرِيٌّ ومِسْــــكِيُّ

وَوَجْـــهُ عَبْـــدِ اللهِ قَـــدْ لاحَ لي وَهْـــوَ مِـــنَ البَهْجَـــةِ دُرِّيُّ

شِـــمْ غَرْسَـــكَ الأَرْضـــيَّ إنَّ الّـــذي أبصرتَـــهُ غَـــرْسٌ سَـــمَاويُّ

حُسْـــنُكَ نُـــوريٌّ بِـــلا مِرْيَـــةٍ وحُسْـــنُ عبـــد اللّـــهِ نُـــوريُّ[1]

أضْحَـــى صَغِـــيراً وَهْـــو في قَـــدْرِهِ - نَيْـلاً - كَبيـــرُ الشـــَّأْنِ عُلـــويُّ

قوله: «شِم» أمْرٌ مِن شـام يشيمُ إذا سَلَّ وأغْمَد، من الأضـداد، وهـو هاهنـا الإغماد، ومعنى القطعة أنيق، ومغزاها دقيق[2]

ومن الصِّفـات المطبوعـة، في الكلمـات المصنوعـة، قطعـة لأبـي الحســن أيضـاً أنشدنيها وهي: [المتقارب]

وقَفْتُ علـى الـرَّوْضِ في يَـوْمِ طَـشْ ولِلدَّجْـنِ ظِـلٌّ كظِـلِّ الغَبَـــشْ[3]

وَقَـــد صَقَـــل الطَّـــلُّ نُـــوَّارَهُ وَأذْهَـــبَ مافوقَـــهُ مـــن نَمَـــشْ[4]

فَمَـــا غُصُـــنٌ يَشْـــتَكي عُطْلَـــةً ولاشَـــجَرٌ يَتَشَـــكَّى عَطَـــشْ [٦٥/ب]

تَـرى النَّبْـتَ صِنْفَيْـنِ مـن بَهْجَـةٍ فَمِـنْ مُسْـتَقِلٌّ ومِـــن مُنْفَـــرِشْ[5]

ومِـــنْ لاَبِـــسٍ ثَـــوْبَ طَاوُوسَـــةٍ ومِـــنْ مُـــتَرَدٍّ بوَشْـــيِ الحَنَـــشْ[6]

وَفَـــصٌّ مـــن النَّـــوْرِ لم يَنْتَقِـــشْ وَثـــانٍ لِطَبْـــعِ المُنَـــى قَـــدْ نُقِـــشْ

جَمَـــالٌ يَحَـــيِّرُ لُـــبَّ الفَتَـــى وَيُكسِـــبُهُ مِـــن شُـــرورٍ دَهَـــشْ[7]

---

(١) المِرْيَة: الشك والجدل.

(٢) في ط١: «دفىق».

(٣) **الطَّشُّ: المطر الضعيف. الدَّجْنُ: ظلمة الغيم في اليوم المطير. الغَبَشُ: شدة الظلمة.**

(٤) الطَلُّ: النّدى والمطر الضعيف. والنَمش: بقع بيض وسود توجد على الجلد تخالف لونه.

(٥) في ط١ وط٢: «منعرش».

(٦) الطّاووس: طائر حسن الريش والشكل. والحَنَش: الحية. وأراد اختلاف ألوان الأزهار والورد.

(٧) الدَّهَشُ: التَّحيّرُ.

ومن النّهاية في الحُسن والإحسان قول أبي عبد الله محمّد بن سليمان المعروف بابن الحنّاط [في قصيد أوّله][1] : [الكامل]

رَاحَتْ تُذَكِّرُ بالنَّسيمِ الرَّاحا وَطْفَاءُ تَكْسِرُ للجُنُوحِ جَناحَا[2]

يعني السَّحاب، ثمّ خرج من وصفها بعد أبيات إلى وصف الرّوض، فقال:

جَادَت على التَّلَعَاتِ فَاكتَسَتِ الرُّبَا حُلَلاً أقَامَ لها الرَّبيعُ وِشَاحَا[3]

فانْظُر إلى الرَّوْضِ الأريضِ وَقَدْ غَدَا لِبُكا الغَوادِي ضاحِكاً مُرتاحَا[4]

والنُّورُ يَبْسُطُ نَحْوَ دِيمَتِها يَداً أهْدَى لها سَاقي النَّدَى أقْداحَا[5]

وَتَخالُهُ حَيَّى الحَيَا مِنْ فَوْحِهِ بِذَكِيِّهِ فإذَا سَقاهُ فَاحَا[6]

وأخبرني الفقيه أبو الحسن بن علي قال: كان في داري بقرطبة حائر[7] صُنِع فيه مَرجٌ بديع وظُلّلَ بالياسمين، فَنَزَّهْتُ إليه أبا حفص التّدمريّ في زمن الرَّبيع، فقال: ينبغي أن تُسمّي هذا المَرْج السُّنْدُسَة، وصنع على البديهة أبياتّاً تُشاكِلُ هذا الباب [وتطابق غرض الكتاب وهي]: [المتقارب]

نَهارُ نَعيمِكَ ماأنْفَسَهْ وَرَبْعُ سُرورِكَ ماآنَسَهْ

تَأمَّلْ - وُقِيتَ - مُلِمَّ الخُطُوبِ فِعْلَ الرَّبيعِ وماأسَّسَهْ

---

(١) المقطوعة في المغرب ١/١٢٢ بزيادة بيت. وأورد ابن بسام في الذخيرة ١/١/٤٤٥ البيتين ١ و٢ ضمن سبعة أبيات من القصيدة نفسها. وورد في النفح ١/٤٨٣ البيت الأول مع بيت آخر.

(٢) الوطفاء: السحابة المسترخية الجوانب لكثرة مائها.

(٣) في المغرب: «مرت على التلعات».والتلعات: واحدها التّلعة: وهو ماارتفع من الأرض وأشرف وهو المراد. وماانخفض منها وهي من الأضداد.

(٤) في المغرب: «يبكي الغوادي». والروض الأريض: الكثير العشب الزكي النّبت.

(٥) الديمة: مطر يدوم يكون بلا رعد وبرق.

(٦) في المغرب: «من عرفة». الحيا: المطر.

(٧) الحائر: البستان.

بِحَـــائِرِ قَصْـــرِكَ مِـــنْ صَوْغِـــهِ دَنانِـــيرُ قَـــدْ قـــارَنَتْ أَفْلُسَـــهْ

وَأَسْـــطارُ نَـــوْرٍ قَـــد اسْتَوْسَـــقَتْ وَسَـــطرٌ علـى الغَمْـرِ قـد طَلَّسَـــهْ[1]

وَنَبْـــتٌ لَـــهُ مِـــدْرَعٌ أَخْضَـــرٌ بِصُفْـــرَةِ أَصْبَاغِـــهِ ورَّسَـــهْ[2]

فَـــأَبْدَعَ مَاصَـــاغَ لَكِنَّـــهُ أَجَـــلُّ بدائِعِـــهْ السُّنْدُسَـــهْ[3]

مَدَارِعُهَـــا خُضْـــرَةٌ غَضَّـــةٌ أعَـــادَ النَّعِيـــمُ لهـــا مَلْبَسَـــهْ [٦٦/آ]

كَـــأنَّ الظِّـــلالَ عَلَيْنَـــا بِهَـــا أَوَاخِـــرُ لَيْـــلٍ عَلَـــى مُغْلِسَـــهْ[4]

كَـــأنَّ النَّواوِيـــرَ فِي أُفْقِهَـــا نُجُـــومٌ تَطَلَّعْـــنَ فِي حِنْدِسَـــهْ[5]

وَمَهْمَـــا تَـــأَمَّلْتُ تَحْسِـــينَها فَعَيْـــنِي بِقُرَّتِهَـــا مُعْرِسَـــهْ[6]

مَحَـلٌّ لَعَمْـرُكَ قـد طيَّـبَ الـــإِلَـــهُ ثَـــرَاهُ وَقَـــدْ قَدَّسَـــهْ

المغلَسَةُ، جمع مَغْلَس، وهو الدَّاخل في الغَلَس.

ولصاحب الشُّرطة أبي بكر بن القُوطيّة في هذا المعنى الذي غَرَّضتُ إليه في كتابي، وقصدتهُ بتأليفي نوادر مُبتَدعَة، ومعانٍ مخترعَة، وقِطَعٌ من السِّحر مُقتطعة، ستقع في أبوابها، وتوضعُ مع أشكالها، فمن بديع ماأنشدنيه قوله[7] : [الكامل]

ضَحِكَ الثَّرَى وَبَدا لَكَ اسْتِبْشارُهُ واخْضَرَّ شَارِبُهُ وَطَرَّ عِذَارُهُ[8]

---

(١) استوسقت: تجمعت. الغمر: الماء الكثير، طلّسه: محاه.

(٢) المدرعُ: الثوب، ورسه: صبَغه بالورس: وهو نبت أصفر.

(٣) في ط١ وط٢ «لأكفّه». والسّندس: ضرب من رقيق الديباج.

(٤) الغَلَسُ: ظلمة آخر الليل.

(٥) الحِنْدِسُ: الليل المظلم.

(٦) قُرَّتها: ماقرَّت به.

(٧) الأبيات ١ ـ ٧ في جذوة المقتبس ٣٦٩، والأبيات ١ ـ ٤ في نفح الطيب ٤/٢٥، ومعجم الأدباء ١٨/٢٧٦، ومطمح الأنفس ٢٨٨.

(٨) في المطمح ومعجم الأدباء والنفح: «فاخضرّ». وطرّ عذاره: نبتت لحيته. وأراد نبت العشب.

وَرَبَـــتْ حدائِقُـــهُ وآزرَ نَبْتُـــهُ ... وَتَفَطَّـــرَتْ أنْـــوارُه وثِمَـــارُهُ[1]

واهْـتزَّ ذابِـلُ نَبْـتِ كُـلِّ قَـرارَةٍ ... لَمَّـــا أَتَـــى مُتَطَلِّعـــاً آذارُهُ[2]

وتَعَمَّمَـــتْ صُلْـــعُ الرُّبـــا بنَباتِهَـــا ... وَتَرنَّمَـــتْ مِـــنْ عُجْمَـــةٍ أَطْيـــارُهُ[3]

وَكَأنَّمـا الـرَّوضُ الأنيـقُ وقَـدْ بَـدَتْ ... مُتَلوِّنَـــاتٍ غَضَّـــةً أَنْـــوارُهُ

بيضـاً وَصُفْـراً فَاقِعَـاتٍ صـائغٌ ... لَـمْ يَنْـأَ دِرْهَمُـهُ وَلاَ دينـارُهُ

سَـبَكَ الخَميلَـةَ عَسْـجداً ووَذيلَـةً ... لَمَّـا غَـدَتْ شَـمْسُ الظَّهِـيرةِ نَـارُهُ[4]

فتَوَسَّـدِ الدِّيبَـاجَ وافْتَرشَـنْ لَـهُ الْـ ... ـوَشْيَ الَّذي مِـنْ غَـيْرِ صَنْعـا دارُهُ[5]

وتَضَوَّعَـتْ ريـحُ الرِّيـاضِ كأنَّمَـا ... فَـتَّ العَبـيرَ بأَرْضِهَـا عَطَّـارُهُ[6]

فَاشْـرَبْ إذَا اعْتَـدلَ الزَّمـانُ وَوَزْنُـهُ ... وإذا اسـتَوى بـاللَّيلِ مِنْـهُ نَهـارُهُ[7]

شبّه الرّوض بالصّائغ[8] ، وأبيض نـوره وأصفـره بدراهِمـهِ ودنانـيره، والخميلـة: مُسْتَرقُّ الرَّمْلة. والوذيلة: الصّفيحة من الفضّة، وجمعها على فعائل.

وأَبْدعُ من هذا وأَطْبَعُ، ماأنشدنيه أيضاً لنفسه: [السّريع]

لَمّـــا رَأَى العَـــامُ زَمَـــانَ الرَّبيـــ ... ـع الطَّلْقِ قـد نَشَّـرَ عَـرْفَ الكُبَـى[9] [٦٦/ب]

---

(١) في المطمح ومعجم الأدباء والنفح: «ورنت حدائقه وزرّر... وتعطرت أنواره..». آزر الزّرع وتأزّر: قوّى بعضه بعضاً. وتفطرت الأرض بالنبات: تصدعت.

(٢) في المطمح ومعجم الأدباء والنفح: «ذابل كل ماء قرارة». والقرارة: المطمئن من الأرض.

(٣) صلع الرُّبا: التي خلت من النبت. وتعممت: لبست العمامة أي اكتست بالنبت.

(٤) في ط١: «ووديله» بالدال المهملة وهو تصحيف. والعسجد: الذهب.

(٥) الدّيباج: من الدّبج: النقش والتزيين. وحذف همزة «صنعاء» ضرورة، وكانت هذه المدينة معروفة بصناعة الوشي.

(٦) تضوّعت الرائحة: انتشرت، وفتَّ: دق وكسر. والعبير: الزعفران وأخلاط الطيب.

(٧) في ط١: «الوديلة».

(٨) في الأصل: «بالصانع» تصحيف.

(٩) في الأصل: «للكبا»، وهو تحريف. والعَرْفُ: الرائحة، وأكثر مايستعمل للطيبة منها، الكُبى، واحدها: كُبَةٌ: وهو عود البخور أو ضرب منه.

أَجْــــرَى إلى غَايَتِــــهِ مُجْهَــــدَاً فَكُلَّمــــا رامَ لَحاقــــاً كَبَــــا[1]

والنَّـــوْرُ قَــــدْ بَـــثَّ دَنانِـــيرَهُ مُفَضَّضَـــاً إنْ شِـــئْتَ أو مُذْهَبـــا[2]

اســـتَعْمَلَ الحِيلَـــةَ لَمَّـــا وَنَـــى و لم يَجِـــدْ عـــن قَصْـــدِهِ مَذْهَبَـــا

فقـــال: أَسْـــلِفْني يَوْمَـــاً بشَهْـــ ـــرٍ، فأجَابَتْـــهُ ريـــاضُ الرُّبَـــا:

هَـــذَا الرِّبـــا، واللهُ في وَحْيِـــهِ الْـــ مُـــنْزَلِ قَـــدْ حَـــرَّمَ فِعْـــلَ الرِّبَـــا[3]

وممّا يوازي هذه القطعة دقّةً[4] ويشاكلها رقّةً، قوله: [مخلّع البسيط]

قَـــدْ أخَـــذَ الأُفْـــقُ في البُكـــاءِ وَاغْرَوْرَقَـــتْ مُقْلَـــةُ السَّـــماءِ

فَـــالأَرْضُ إنْ أظْهَـــرَتْ جَفَـــاءً أَرْسَـــلَ عَينَيْـــهِ بالبُكـــاءِ

كَأنَّـــهُ عاشِـــقٌ مَشُـــوقٌ يشْـــكو هَـــواهُ إلى الهَـــوَاءِ

مُرَجِّيَـــاً أنْ يُلـــينَ مِنْهَـــا ماأَظْهَرَتْـــهُ مِـــنَ الجَفَـــاءِ

حتّـــى إذا راضَهـــا سَـــفَيراً صَـــدَّتْ بوجـــهٍ مـــن الحَيـــاءِ[5]

وانْتَقَبَـــتْ بالنَّبـــاتِ عَنْـــهُ والتَحَفَـــتْ مِنْـــهُ في رِدَاءِ[6]

وللوزير الكاتب أبي حفص بن بُرْد في هذا المعنى قطعة نثر، مقطعة من السِّحْر، في رسالة كتب بها عند صَدَرِه من دانية إلى الوزير الكاتب أبي إسحاق بن حُمَام وقد خرجا مُتنزّهين في مايقرب من مدينة قرطبة في زمن الرّبيع، يصف حسن شمائلها، ويورد شَرَف فضائلها، وهي ـ أعني القطعة ـ بعد صدر:

---

(١) كبا: انكب على وجهه.

(٢) في ط١، ط٢: «بتّ» تصحيف، وبثّ: فرّق ونشر.

(٣) الرِّبا: هو أن يُقرض الانسان إنساناً آخر قرضاً ويأخذ به أكثر منه.

(٤) في ط١ وط٢: «رقة... دقّة».

(٥) في ط١ وط٢: «حدّت بوجهه» وهو تحريف واضح.

(٦) انتقبت المرأة وتنقبّت: وضعت القناع على طرف الأنف. أو مالان منه، التحفت: تغطّت.

«كيف شاهدتَ أنهارَها، وقد درّتْ عليها أخلاف[1] الأنوار [فَأَتْأَقَتْها؟، وأنوارَها] وقد سَرَت إليها خيالاتُ الأنْداءِ فأرّقتها؟. وكيف تأمَّلْتَ الرَّبيع وقد صاغ لَمَفَارِقِها تيجاناً؟ وفتّق لمعاصمها أرداناً؟ فكأنّما راسلت الأرضَ زُهْرُ النّجوم، مع كُدْرِ[2] الغيوم أن تُبْدِيَها عند جلائها، في هيئة سمائِها. وكيف عاينت[3] انشقاق [٦٧/آ] تلك الأباطح عن نهرها السّابح؟ كأنّه فِضَّة تحتها نار، فليس لها أبداً قرار، يلبس للرّيح لأمَهُ[4]، ويُسِلُّ على الشّمس صَمْصَامَهُ[5]» .

قولُهُ: أخلاف الأنواء من حَسَن الاستعارة. وأَتْأَقَتْها: ملأتها.

وبعد هذا وقبله من المعاني الطّريفة، والنّوادر الظّريفة، مايَحُلُّ من الأسماع محلّ السَّماع، ويجري على الأفواه مجرى الأمواه، ولكنّها ليست ممّا قصدتُ إلى جَمْعه، ولاعُنيتُ بذِكْره.

قال أبو الوليد: فجاوبه الوزير الكاتب أبو إسحاق بن حُمام عن تلك المعاني بشكلها بَراعة وبَزَاعَة[6]، وعلى تلك الفصول بمثلها صِياغةً وصِناعة، وفي آخر جوابه أوصاف في أصناف النّواوير، وتشبيهات لأنواع[7] الأزاهير تُعجب متأمّليها، وتُعجز متتبّعيها، وهي إثر ذكر الأنواء:

«قد نَسجَتْ لها من زَهْرِ الرَّبيع حُلَلاً، وسَقَتْها من مُجَاجتها[8] عَذْباً غَلَلاً، وأَطْلَعَتْ فيها آثارَ الغيوم أشباه النّجوم، فازدانت بأبهج لَبُوس، وبرزت للنّاظرين في حَلْي العَروس، كأنّما اختلَسَتْ لفْظَكَ فلبسته، أو أمكنَها كلامُكَ فتوشّحتْهُ، فمن قانيء

(١) أخلاف، واحدها خِلْفٌ: وهو ضرع الناقة وغيرها، أو حَلَمة الضَّرع.
(٢) الكُدْرَةُ من الألوان: مانحا نحو السَّواد والغبرة.
(٣) في ط٢: «عانيت».
(٤) اللّأمُ: واحدها لأمَةٌ، وهو الدِّرع. وقد يراد بها أداة الحرب كلّها.
(٥) الصّمصام: السيف لاينثني.
(٦) البزاعة: الظَّرف.
(٧) في ط٢: «لأنواعه».
(٨) مجاجتها: مطرها.

صَبَغ الهـواءُ غلائِلَـهُ، وغـذت السَّـماءُ خمائِلَـهْ، لايشـتكي مـن نداهـا بشَـرَق، ولا ييبتُ[1] من ظَمَأٍ[2] على فَرَق[3]. حتّى بدا في لون شفَق. فكأنّمـا شـربَ رحيقـاً، أو لبس عقيقا. أو كأنّما خاف عَذْلاً فاحمرَّ خجَلاً. يحمل من طَلّه[4] فَرائد[5]. كأنّها أَدْمُعُ خَرائد[6].أو فاقع يجنيك تِبْراً، ويريكَ من لونه سِحْرا، يلقاك من حُسْنِهِ في أجمـل مَنْظَـر، ويختال من جلابيبهِ في مُعَصْفَر. كأنّمـا خـافت هَجْـراً، واستشْـعَرَتْ ذُعْـراً. ترنـو إليـكَ بِمُقَل حِسَان، لاتنطبقْ منهـا الأجفـان. فكأنّما تشـكو سَـهَرا، أضْعَـف منهـا نَظَـرا. إلى تحاسين قد لبست ثوبَ بَهائها، وضحكت عند[7] بكـاء سَمائِها. تروقـك مـن حُسْـنِها فُنون، وترنو نحوك منها عيون. فمن بصير وَأَكْمَه، وكحيلٍ وَأمْرَه».

قوله: «عَذْباً غَلَلاً»، الغَلل: الماء الجاري بين الأشجار، عن الأصْمَعيِّ. [٦٧/ب] أبو عُبَيدة: الغَلَلُ: الماءُ الظّاهر الجاري، وهو الغَيْـلُ أيضـاً. والقـانيء: الأحمـر. والفـاقع: الأصفر. ويُقال في الأسود: حالك وحانك. وفي الأبيض: يَقَقٌ. والأَكْمَهُ: المولود أعمى. والأَمْرَهُ: الّذي لايكتَحِل.

ومن السَّنِيّ البديع، [والسَّـريّ الرّفيـع]، في فصـل الرَّبيـع، ماأنشـدنيه لنفسـه أبـو جعفر بن الأبّار موصولاً بمدح الحاجب وهو: [الكامل]

لَبِـسَ الرَّبيـــعُ الطَّلْـقُ بُـرْدَ شَـبابِهِ	وَافْـترَّ عَـنْ عُتْبـاهُ بَعْـدَ عِتَابِـهِ[8]
مَلِـكُ الفُصُـولِ حَبَـا الـثَّرَى بثرائِـهِ	مُتَبَرِّجَـاً لِوِهَـادِهِ وهِضَابِـهِ[9]

(١) في ط١: «لاييبث» وهو تصحيف بيّن.
(٢) في ط٢: «ظماء» تحريف.
(٣) الفَرق: الخوف.
(٤) الطَّلُّ: الندى.
(٥) الفرائد، واحدها فريدة: الجوهرة النفيسة.
(٦) خرائد، واحدها خريدة: البكر لم تُمسس قطّ.
(٧) في ط١ وط٢ : «عن بكاء».
(٨) افترّ: ابتسم وبَدَتْ ثناياه
(٩) حَبا: أعطى وأكرم.

فَـأَرَاكَ بـالأَنْوارِ وَشْـيَ بُـرُودِهِ ... وَأَرَاكَ بالأَشْـجارِ خُضْـرَ قِبابِـهِ

أَمْسـى يُذَهِّبُهـا بشَـمسِ أَصيلِـهِ ... وَغَـدا يُفَضِّضُهـا بِدَمْـعِ جَنابِـهِ

عَقَـلَ العُقـولَ فمَـا تكَيّـف حُسْـنه ... وَثَنـى العُيـونَ جَنائبـاً بجَنَابِـهِ

بالحَـاجبِ المَـأْمُولِ أَضْحَـكَ ثَغْـرَهُ ... فَرَحَـاً وأُنْطِـقُ جَهْرُنَـا بِصَوابِـهِ

بِعِمـادِ هـذا الدِّيـنِ والمَلِـكِ الّـذي ... تَتبـادَرُ الأَمْـلاكُ لَثْـمَ رِكابِـهِ

هَـزَّ الصِّعـادَ فَـأُرْعِدَتْ مـن خَوْفِـهِ ... وَعَـلا الجيـادَ فَـأَصْبَحَتْ تُزهَـى بِـهِ

عُتباهُ: رضاه. وعِتابُه: سُخطه. ووهاده: المواضع المُنخفضة. ونجاده: المرتفعة. جنائباً: مقودة إليه، موقوفة النّظر عليه. وقوله: «هزّ الصّعاد»: [جمع] صَعدة[1] : وهي القناة النّابتة مُستقيمة لاتحتاج إلى ثقاف وتقويم.

وله أيضاً في هذا المعنى قطعة بديعة الغرض موصولة بمدح أبي ــ وقاه الله بي ــ وهي: [المنسرح]

اسْتَبْشَـرَ الدَّهْـرُ بعدمـا اسْـتَبْصَرْ ... فَـراقَ مِنْـهُ الـرُّوَاءُ والمَخْـبَرْ[2]

وجَـرَّدَ الجَـوُّ ثَـوْبَ دُكْنَتِـهِ ... واكتَسَـتِ الأَرْضُ ثَوْبَهـا الأخْضَـرْ

وَأَضْحَكَـتْ عَـن بَديـعِ زَهْرَتِهَـا ... لَمّـا بَكـى الغَيْـثُ قَبْـلُ واسْـتَعْبَرْ[3]

مـادَرَّ دِرُّ الغَمَـامِ مُنْتَـثِراً ... إلاَّ انْتَحَـى الـرَّوضُ نَظْـمَ مـايَنْثُرْ[4]

ولا انتضَـى الـبَرْقُ فيـه أَنْصُلَـهُ ... إلاَّ دَمُ المَحْـلِ بَيْنَهـا يُهْـدَرْ [٦٨/آ]

لَـوْلا عَقيـقُ الـبُروقِ حـينَ سَـرى ... لم يَكُـنِ الـرّوضُ يُثمِـرُ الجَوْهَـرْ

حدائـقُ بَـلْ كأَنّهـا حَـدَقٌ ... تَهْجَـعُ طَـوْراً وتَـارةً تَسْـهَرْ

---

(١) في ط٢: «صعد» وهو وهم.

(٢) الرّواء: المنظر.

(٣) استعبرَ: جرت دمعته.

(٤) درّ الغَمام: امتلأ الغيم بالمطر.

إذَا صَبَتْ نَحْوَهَا الصَّبَا فَتَقَتْ | لِلأَنْفِ مِسْكاً مِنْ رَدْعِهَا أَذْفَرْ[1]
أرضٌ تُبَاهِي السَّماءَ مُشْرِقَةٌ | بِكُلِّ نَجْمٍ مِنْ زَهْرِهَا أَزْهَرْ
وقَبْلُ مافاخَرَتْ كواكِبَها | بالغُرِّ والصِّيدِ من بني حِمْيَرْ[2]
بكُلِّ غَيْثٍ إذا السَّماءُ صَحَتْ | وَكُلِّ لَيْثٍ إذا القَنَا كُسِّرْ[3]
وكُلِّ سَهْمٍ إذا انتحَى غَرَضاً | وكُلِّ شَهْمٍ إذا علا مِنْبَرْ[4]
بِحَارُ جُودٍ تفيضُ من كَرَمٍ | حَسِبْتَ ذا المَجْدِ بينها الكوثَرْ[5]

قوله: «وكلّ شهم». الشّهم: الذّكيّ القلب.

وقال صاحب الشّرطة أبو بكر بن القوطيّة يصف الرَّبيع، ويمدح ذا الوزارتين أبا عمرو أحمد بن إسماعيل بن عبّاد:

[مخلّع من البسيط]

أَمَا تَرَى الرَّوْضَ جَوْهَرِيَّا | يَنْظِمُ دُرَّ السَّمَا مَلِيَّا
والنُّوْرُ من فِضَّةٍ وتِبْرٍ | مَتّى غَدَا النَّبْتُ صَيْرَفِيَّا[6]
حتّى كأنَّ الرَّبيعَ مَلْكٌ | يُحيي لها نَوْرَها البَهِيّا
ترى نواويرَه كتِبْرٍ | مَحْضٍ وآذارُ قَسْطَرِيّا[7]

---

(١) صبت: مالت، الصَّبا: ريح مهبُّها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. والردّع: العُنق. ومِسْكٌ أذفر: جيّد الرائحة.

(٢) الغُرُّ: واحدها أغرّ: الأبيض. الصِّيدُ: واحدها أصْيَد: وهو الذي يرفع رأسه كبراً. وحمير: أبو قبيلة من اليمن. وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنهم كانت الملوك في الدّهر الأول.

(٣) الغيث: المطر، والقنا، واحدها قناة: الرمح.

(٤) الغرَض: الدريئة يرمى عليها.

(٥) موضع كلمة: «حسبتَ» بياض في ط١ وط٢. والكوثر: نهر في الجنة.

(٦) في ط٢: «غدا» وهو تصحيف. والصَّيْرفيّ: النّقاد.

(٧) القسطريّ: منتقد الدّراهم. ورسمت في الأصل «قطريا».

قَــدْ مَــدَّ نَطْعَــاً علــى رُبَاهــا ... يَنْتَقِـــدُ المَحْـــضَ والرَّدِيّـــا[1]

مِثْــلَ انتقـــادِ العُـــلا أبـــا عمـــ ... ـــرو نَجْـــلَ عَبَّـــاد السَّـــرِيَّا[2]

الرَّاجـــحَ الواضِـــحَ المُحَيَّـــا ... والحُـــوَّلَ القُلَّـــبَ الكَمِيَّـــا[3]

والمُنْجِـــبَ المُعْجِـــبَ افتِنَانــــاً ... والمُنبِـــهَ المِـــدْرَهَ الذَكِيَّـــا[4]

قال أبو الوليد: ومِمّا قُلْتُهُ في هذا المَعْنَى قطعة مَوْصُولة بمدح الحاجب - أطال الله بقاءَهُ، وحرس حوباءَهُ - وهي[5] :

[الكامل]

أَبشِـرْ فقـد سَـفَرَ الـثَّرى عـن بِشْـرِهِ ... وَأَتَـاكَ يَنْشُـرُ مَـاطَوَى مِـنْ نَشْـرِهِ[6]

مُتَحَصِّنَـاً مِـنْ حُسْـنِهِ في مَعْقِـلٍ ... عَقَـلَ العُيـونَ علـى رِعَايـةِ زَهْـرِهِ[7] [٦٨/ب]

فَـضَّ الرَّبيـعُ خِتَامَـهُ فَبـدا لَنَـا ... مَاكـانَ مِـنْ سَـرَّائِهِ في سِـرِّهِ[8]

مِـنْ بَعْـدِ ماسَـحَبَ السَّـحَابُ ذُيُولَـهُ ... فيـهِ ودرَّ عَلَيْـهِ أَنْفَـسَ دُرِّهِ

فـأجِلْ جُفُونَـكَ فِيـهِ تَجْـلُ صَـدَاً بهَـا ... لَـوْلاَ انْـبراءُ جَمالِـهِ لَـمْ تُـبْرِهِ

واشْـكُرْ لآذَارٍ بَدَائِـعَ مَـاتَرَى ... مِـنْ حُسْنِ مَنْظَرِهِ النَّضِـيرِ وخُـبْرِهِ[9]

شَـهْرٌ كـأنَّ الحَـاجبَ ابـنَ مُحَمَّـدٍ ... أَلْقـى عَلَيْـهِ مَسْـحَةً مـن بِشْـرِهِ[10]

مَلِـكٌ تَمَلَّـكَ رِقَّنَـا بِمَكَـارِمٍ ... جَعَلَـتْ لَـهُ غَفْـرُ النُّجـومِ كَعَفْـرِهِ

---

(١) النَطعُ: بساط من الأديم.

(٢) السُّريّ: السَّيِّد الشريف.

(٣) الحُوَّلُ القُلَّبُ: الذي يُقلِّبُ الأمور ويحتال لها. والكميّ: الشُّجاع المقدّم الجريء.

(٤) المُنْجِبُ: الذي وُلد له أبناء نُجباء. المِدْرَهُ: السيد وزعيم القوم.

(٥) الأبيات ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - في بغية الملتمس ٢٢٨، وجذوة المقتبس ١٥٢.

(٦) النشر: الرائحة الطيبة.

(٧) في بغية الملتمس: «قفل العيون».

(٨) في ط٢: «فبدلنا». السَّرَّاء: النعمة.

(٩) في بغية الملتمس: «وخيره».

(١٠) المَسْحة: الأثر الخفيفُ الظاهر من جمال ونحوه يبقى على الجسم، والبِشر: الطّلاقة.

لازَالَ خَطْبُ زَمانِهِ في أَسْرِهِ ... فلقَدْ رَأَيتُ بِهِ هَوايَ بِأَسْرِهِ[1]

الغَفْرُ: نجمٌ، والعَفرُ: التّراب، يقال: عَفْرٌ وعَفَر، فكأنّه لعلوّ منزلته، وسموّ درجته قد استويا في بُعدِهما منه وتباينهما عنه، و«أسره» في شطر البيت: في مِلْكِه وتحت حكمه، من الأسر المعروف. و«بأَسْرِه» في القافية بمعنى كلّه وجميعه. يقال أخذتُ الشّيء بأسره أي جميعه.

ولي أيضاً في مثل ذلك: [الكامل]

بَكَتِ السَّماءُ فأضحكَتْ سِنَّ الثّرَى ... بِمَدامِعٍ نظَمَتْ عَلَيْهِ جَوْهَرا

فكأنّها خَرْقَاءُ تَنْثُرُ عِقْدَهَا ... وكأنّهُ مُسْتَغْنِمٌ أنْ يُنَثَرَا[2]

عَكَفَتْ يَدَاهُ على نِظامِ فَرِيدِهِ ... وَجُمانِهِ فَرْداً لِذاكَ مُشَمِّرَا[3]

فأعادَهُ أَبْهَى لِطَرْفٍ مَنْظَراً ... وَأَعَدَّهُ أَذْكَى لأَنْفٍ مَخْبَرَا[4]

فَانْظُرْ محاسِنَ لِلرّبيعِ تَبَرَّجَتْ ... لَوْلا الرَّبيعُ لما تَجَلَّتْ لِلوَرَى

ومن المُستحسن المُستَغرب، والمُستَطاب المُسْتَعذب، في هذا المعنى قطعة لأبي بكر بن نَصْر، كتب بها إليَّ في زمن الرَّبيع يسألني الخروج إلى حيث يبدو كماله، ويظهر جماله، [والقطعة][5]: [الكامل]

اُنْظُرْ نَسيمَ الرَّوضِ رَقَّ فَوَجْهُهُ ... لَكَ عَنْ أَسِرَّتِهِ السَّرِيّةِ يَسْفِرُ

خَضِلٌ بريْعانِ الرَّبيعِ وَقَدْ غَدَا ... للعَيْنِ وَهْوَ مِنَ النَّضارَةِ مَنْظَرُ[6]

---

(١) في الأصل «مثواي» وهو تحريف.

(٢) الخرقاء: الحمقاء.

(٣) الفريد: الدُّرّ. والجُمانُ: واحدها جُمانة: الحبّة تعمل من الفضّة كالدُّرّة. وربّما سمّيت الدُّرّة جمانة. والمشمِّرُ: الجادّ.

(٤) في ط١ وط٢: «وأعادهُ».

(٥) الأبيات ١، ٢، ٤، ٥ في بغية الملتمس ٥٢٠ وجذوة المقتبس ٣٦٩ والبيتان ٤ ـ ٥ في نفح الطيب ٣/٤٨٤.

(٦) خضل: طريّ ندٍ. ريعان كلّ شيء: أوله وأفضله.

قَـدْ طُـرِّزَتْ مِنْـهُ الـبُرودُ وطُـرِّزَتْ بالوَشْـي فَهْـوَ مُطَـرَّزٌ ومُطَـرَّرُ [٦٩/آ]

وَكَأنّمـا تِلْـكَ الرِّيـاضُ عَرائِـسٌ مَلْبُوسُـهُنَّ مُعَصفَـرٌ وَمُزَعْفَـرُ

أو كالقِيـانِ لَبِسْـنَ مَوْشِـيَّ الحُلَـى فَلَهُـنَّ مِـنْ وَشْـي اللّبـاسِ تَبَخْـتُرُ[١]

أرْضٌ مُدَبَّجَـةُ الرَّوابـي غَضَّـةُ التَّـ ـلَعَـاتِ فَهْـيَ عَـنِ العَبِـيرِ تُعَـبِّرُ[٢]

يَتَعطَّـلُ المِسْـكُ الذَّكِـيُّ لعَرْفِهـا وبِــهِ الزَّمــانُ وحُسْـنُهُ يتعَطَّـرُ

مَصْفُوفَـةٌ أَنْماطُهـا مَمْـدودَةٌ حِبَراتُهـا تَبْـدو إليـكَ وتظْهَـرُ[٢]

فكأنّمـا صَنْعَـاءُ أهـدَتْ وَشْـيَها ورمَـتْ مَطارِفَهـا الطَّريفَـةَ عَبْقَـرُ[٣]

حُسْـنٌ يُقَـدَّرُ في الرَّبيـعِ ولاتَـرَى ذا الحُسْـنَ إلاّ في الرَّبيـعِ يُقَـدَّرُ

أَنْـوارُ أَشْـجَارٍ غَـدَتْ أوْراقُهَـا وَرِقـاً تَرَقْـرَقُ بالحَبَـابِ فَتَقْطُـرُ[٤]

فاسْمَحْ لِصَحْبِـكَ أنْ تَـرودَ رِيَاضَهـا مَعَهُـمْ فَـإنَّ عُيونَهُـمْ بِـكَ تَنْظُـرُ

مَهِّـدْ لَهُـمْ نَحْـو البِطَـاحِ نَزاهَـةً غَـرّاءَ تُزهَـى بالسَّـماحِ وتَفْخَـرُ[٥]

فلمّا وَصلت هذه القطعة إليّ، ووردَت عليّ، أثارت منّي كامِناً، وحرّكت ساكناً، في ماندبَ إليه وحضّ عليه، فخاطبْتُ[٦] أبي - وقاه الله بي - برسالة فيها بعض أصناف هذه الأوصاف أسألُه إباحة الخروج لي فبلّغني أملي.

---

(١) في نفح الطيب: «في وشي».

(٢) مُدبجّة: مُنَقّشة.

(٢) الأنماط، واحدها نمط: ضروب الثياب المصّبغة. والحِبرات: واحدها حِبَرَة وحَبَرَة: ضرب من برود اليمن منمّر. وبرود حَبِرة: ضرب من البرود اليمانية.

(٣) الوشي: الثياب الملونة. والمطارف: واحدها مِطرَف ومُطرَف: رداء من خَزّ مربّعة لها أعلام. عبقر: موضع بالبادية يزعمون أنّ فيه جنّاً، نسبوا إليه كل شيء تعجّبوا من حذقه أو جودة صنعه وقوته فقالوا: عبقريّ. ويقال ثياب عبقرية.

(٤) الوَرِقُ: الدّراهم، الحَباب: النّدى على الشجر يصبح عليه.

(٥) البطاح، واحدها بطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٦) في الأصل: «مخاطبة» وهو تحريف.

والرّسالة بعد صدرها[1] :

«لمّا خُلِقَ الرَّبيعُ من أخلاقِكَ الغُرّ، وسَرَقَ زَهْرَهُ من شِيَمِكَ الزُّهْر، حَسُنَ لكلّ[2] عين منظرُهُ، وطاب[3] في كلّ سَمْعٍ خَبَرُه، وتاقت النّفوس إلى الرّاحة فيه، ومالت إلى الإشراف على بعض ماتحتويه[4] من النَّوْر الّذي كَسا الأرضَ حُللاً، لايرى النّاظر في أثنائِها خَللاً. فكأنّها نجومٌ نثرت على الثّرى، وقد مُلِئتْ مِسْكاً وعنبراً. إن تَنَسَّمْتَها فَأَرِجَة[5] . أو تَوسَّمتَها فَبَهِجة. تروق العيونَ أجناسُها، وتُحيي النّفوس أنفاسُها:

[البسيط]

فَالأرْضُ في بُرْدَةٍ من يانع الزَّهَرِ ... تُزري إذا قِسْتَها بالوَشْي [والحِبَرِ][6]

قَد أَحْكَمَتْها أَكُفُّ المُزْنِ وَاكِفَةً ... وَطَرَّزَتْها بِمَا تُهْمي مِنَ الدُّرَرِ[7]

تَبَرَّجَتْ فَسَبَتْ مِنّا العُيونَ هَوًى ... وفِتْنَةً بَعْدَ طُولِ السِّتْرِ والخَفَرِ[8]

فأوجدني بمعانيك[9] سبيلاً إلى أعمال بصري فيها [٦٩/ب] لأجْلوَ بصيرتي بمحاسِنِ نَواحيها[10] . فالفصلُ على أن يكمُلَ أوانُهُ، وينصرِمَ وقتُه وزمانُهُ، فلا تُخلني من بعض التَّشَفّي منه لأُصْدِرَ نفسي متيقّظَةً عنه[11] ، فعهدي بمثل ماسألته[12] بعيد،

---

(١) الرسالة في الذخيرة ٢/١/١٢٥ ـ ١٢٦، ونفح الطيب ٣/٤٢٧.

(٢) في الذخيرة والنفح: «لكل عين».

(٣) في الأصل: «وطلب» وهو تحريف.

(٤) في الذخيرة والنفح: «ومايحتويه».

(٥) تنسّمتها: شممتها. أرجة: طيبة الريح.

(٦) في النّفح: «في بزة»، والوشي: الثياب الملونة. والحِبَرُ: ضرب من ثياب اليمن منمّر.

(٧) المزن: السّحاب.

(٨) الخَفر: شدة الحياء.

(٩) في ط١، ط٢: «بمعاليك». وقد سقطت الكلمة من الذخيرة. وفي النفح: «فأوجد لي سبيلاً».

(١٠) في الأصل: «نواصيها» وهو تحريف.

(١١) سقط من الذخيرة والنفح.

(١٢) في الأصل: «فعهدي لما سألته».

وشوقي إليه شديد، والنُّفوس تَصْدَأُ كما يَصدأ الحديد[1] ، ومَن أجمَّها[2] فهو السّديد الرّشيد».

«واكفةٌ» في الشِّعر: هاطِلة غزيرة.

ومن المصنوع المطبوع في وصف الرّبيع ماأنشدنيه لنفسه أبو القاسم البَلْميّ وهو[3] : [الكامل]

أُنْظُرْ وَنَزِّهْ نَاظِرَيْكَ بِرَوْضَةٍ ... غَنّاءَ مازَالَتْ تُراحُ وَتُمْطَرُ

لِتُريكَ مِنَ صَنْعَاءَ صَنْعةَ وَشْيِهَا ... بِمَطارفٍ مِن تُسْتَرٍ لاتُسْتَرُ[4]

أَلْوانُها شَتّى وَطيبُ نَسِيمِهَا ... يُقصي العَبِيرُ بِهِ ويُنْسَى العَنْبَرُ

«تُراحُ» من الرّيح، مثل «تُمطَرُ» من المطر[5] .

[**قال أبو الوليد**: وخرجتُ متنزّهاً في زمن الرّبيع إلى بعض ضياعي، فكتبتُ منها إلى صاحب الشّرطة أبي الوليد بن العثمانيّ قطعة نثر تحتمل أن تدخل في هذا الباب، وهي بعد صدرها[6] .

«قد علم سيّدي أن بمرآه يكمل جَذَلي، ويدنو أملي، وقد حَللتُ محلاًّ عُنِيَ الجوّ بتحسينه، وانفرد الرَّبيع لتحصينه[7] ، فكساه حُلَلاً من الأنوار، بها ينجلي صدأ البصائر والأبصار، فمن مكمومٍ[8] يَعْبَقُ مِسْكُه، ولايمنعه مَسْكه، ومن بادٍ يروق مجتلاه، ويفوق

---

(١) فيه إفادة من الحديث الشريف. «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها الاستغفار»، انظر الكامل في الضعفاء لابن عدي ١/٢٥٩، ولسان الميزان ٦/١٦٤.

(٢) أجمّها: أراحها.

(٣) الأبيات في الذخيرة ٢/١/٢١٤.

(٤) تستر: مدينة بخوزستان وهي تعريب شوشتر، كانت مشهورة بصناعة الثياب. انظر: معجم البلدان (تستر ٢/٢٩).

(٥) هناك نقص في المخطوط ينتهي في الصفحة ٥٢.

(٦) الرسالة في الذخيرة ٢/١/١٢٦ ـ ١٢٧.

(٧) في الذخيرة: «بتحصينه».

(٨) في الذخيرة: «مكتوم».

مُجتناه، في مرآه وريّاه، فَتَفَضَّلْ بالخفوفِ نحوي، وتعجيل اللّحاقِ بي لنجـدّد للأنـس[1] مغاني قد دَرَستْ، ونَفُكَّ من السُّرور معانيَ قد أشكَلَتْ[2]، ونشكر للرّبيع ماأرانـا مـن البديع إن شاء الله».

المكموم: هو الّذي في كمامتِهِ لم يَبْدُ. ومَسْكه: جِلْده، أعني الكمامة.

---

(١) في الذخيرة: «من الأنس»

(٢) في الذخيرة: «أشكلت وألبست».

الفصل الثّاني

في القطع الّتي لم تنفرد بنوّار وإنّما اشتملت على نَوْرَين أو أنوار

قال أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد الخير بن الإمام الحكم – رضي الله عنهم - يصف النّرجس والورد من جملة قصيد مطوّل[1] : [المنسرح]

أُنْظُرْ إلى الرَّوضِ في جَوانِبِهِ ... أَحْمَرُهُ ضَاحِكٌ وأَصْفَرُهُ

إذا هَفَتْ فوقَهُ الرِّياحُ سَرَى ... بِهَفْوِها مِسْكُهُ وعَنْبَرُهُ[2]

نَرْجِسُهُ تَسْتَجِدُّ صُفْرَتُهُ ... حَتَّى كأنَّ الحَبيبَ يَهْجُرُهُ

والوَرْدُ يختالُ في مَنَابِتِهِ ... تَطْويهِ أكْمامُهُ وَتَنْشُرُهُ

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه[3] : [الخفيف]

باكِرِ الرَّوْضَ في رياضِ السُّرورِ ... بينَ نَظْمِ الرَّبيعِ والمَنْثورِ

في رِياضٍ من البَنَفْسَجِ يَحْكِي ... أَثَرَ العَضِّ في بَياضِ الصُّدورِ

وَتَرَى السَّوسَنَ المُنَعَّمَ يَحْكي ... ذَهَباً نَابِتاً عَلى كافُورِ

وكتب عمر بن هشام بن قَلْبيل إلى صديق له يستدعيه في زمن الرّبيع ويصف ماعنده من النّواوير بوصف بديع:

«نحنُ - أكرمَكَ الله - على بُسُطِ الرّياحين، وَدرانِكِ الوَرْد والياسمين، ووشْي رياض مونقه، حاكَتْها أيدي الرّبيع المُغدِقة. تلاحظُنا عن أعين النّرجس والسَّوسَان،

---

(١) الأبيات في بغية الملتمس ٢٠٩ - ٢١٠، والمطرب ١٥٧.

(٢) هفت الرياح: إذا هبّت.

(٣) ديوانه ٨٦.

بأحلى محاجرَ وأجفان، وتبسم عن نَوْر الأقحوان بمثل الدُّرِّ والمُرجان، فهي متَضوّعَة عـن لطائم[1] المِسْك، مُتنفّسة بأرَج الورد، جَذِلَة بَهِجَة، فائحـة أرِجَـة. فـإن تقـارن حُسـنها بِحُسن وجهك فهي حالية مشرقة، وإن عُطّلَت من ضياء غُرَّتِكَ فهي باكيةٌ مُطرِقة».

ولعبد الزّكي بن عثمان الأصمّ قطعة حسنة في الورد والأقاح وهي:

[مجزوء الكامل]

وَغَضيـــضِ مِــــنْ جَنَـــى الـــوَرْ ... دِ حَكَـــى الصُّبْـــحَ انْفِجَــــارَا

وَأكــــــالِيلَ أَقَاحِيـــــــــــْ ... ي يَخَالِسْــــــنَ حِـــــــذَارَا

مُشْــــــرَئبَّاتٍ إلى الشّمْــــــــــ ... سِ بــــــأحْدَاق حَيــــــارَى[2]

إنْ سَـــقَاهَا الطَّـــلُّ في السّـــرْ ... رِ تضـــــاحَكْنَ جِهَـــــارَا[3]

ولأبي مروان عبد الملك بن سعيد المراديّ قصيد سَرِيّ يمدح به النّاصر لديـن الله ـ رحمه الله ـ وفيه أوصاف لنواوير، وتشبيهات في أزاهير، فمنها قوله:[الطويل]

كـأنَّ جَـنيَّ الـوَرْدِ أحْـدَقَ حَوْلَـهُ ... جَنى سَوْسَنٍ مُسْتَطْرَفِ اللّون أزْهَـرِ

خُـدودُ العَـذارَى المخْجَـلاَتِ تحفُّهـا ... عَوارِضُهـــا مُبْيَضَّــــةٌ لَمْ تُخَفَّــــرِ

وَأَعْيُـــن عِقْيَـــانٍ بأجفـــانِ لُؤلـــؤ ... عَلـى كُـلِّ فَـرْعٍ كَـالزُّمُرُّدِ أَخْضَـرِ[4]

وللحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المصْحَفيّ ـ رحمه الله ـ في هـذا المعنى أبيات بارعة، فيها تشبيهات رائعة. وهي: [الكامل]

اُنْظُـرْ إلى الـرَّوضِ الأريـضِ تَخالُـهُ ... كالوَشْـي نُمِّـقَ أَحْسَـنَ التّنْميـقِ[5]

---

(١) لطائم، واحدها لطيمة: وعاء المسك.

(٢) مشرئبات: رافعات رؤوسهن.

(٣) الطَّلُّ: النّدى.

(٤) العقيان: الذهب الخالص.

(٥) التنميق: التحسين والتزيين.

وكأنّما السَّوسَانُ صَبٌّ مُدْنَفٌ لَعِبَتْ يَداهُ بجَيْبِهِ المشْقوقِ[1]

يَوْمَ الوَدَاعِ ومُزِّقَتْ أثْوابُهُ جَزَعاً عَلَيْهِ أيَّما تَمْزِيقِ

والنَّرْجِسُ الغَضُّ الذَّكيُّ مَحَاجِرٌ تَعِبَتْ مِنَ التَّسْهيدِ والتَّأْريقِ

يَحْكِي لَنا لَوْنَ المُحِبِّ بلَوْنِهِ وإذا تُنُسِّمَ نَكْهَةَ المَعْشُوقِ[2]

وكأنَّ دائِرةَ الحَديقةِ عِنْدَما جادَ الغَمامُ لها بِرَشْفِ الرِّيقِ

فَلَكٌ مِنَ اليَاقوتِ يَسْطَعُ نُورُه فيهِ كَواكِبُ جَوْهرٍ وعَقيقِ

شبّه أوراق السّوسن في افتراقها بجيبٍ مشقوق، وهو معنى دقيق أنيق، وقد تداوله جماعة، وأظنُّهُ من اختراعه، وتشبيهُهُ الأخير في الحديقة من التّشبيهات العُقْم على الحقيقة.

ولأبي القاسم بن هانيء الأندلسيّ قطعة بديهيّة سريّة، كلّها سنيّة، يصف فيها الورد والياسمين والنّرجس، صنعها في مجلس جَعفر بن الأندلسيّة، وقيل في مجلس جعفر ابن فَلاح، وهي[3] : [الكامل]

وثَلاثَةٍ لَمْ تجتَمِعْ في مَجْلِسٍ إلاَّ لِمِثْلِكَ والأَديبُ أَريبُ[4]

الوَرْدُ في شَمَّامَةٍ مِنْ فِضَّةٍ والياسمينُ وكُلُّ ذَاكَ عَجيبُ[5]

والنَّرْجِسُ الغَضُّ الذّكيُّ وَلَوْنُهُ لَوْنُ المُحِبِّ إذا جَفاهُ حَبيبُ

فاحْمَرَّ ذَا، وابيضَّ ذَا، واصْفَرَّ ذَا، فَبَدَتْ دَلائِلُ كُلُّهُنَّ غَريبُ[6]

---

(١) المُدنف: المريض.

(٢) تنسَّم: تشمَّم.

(٣) الأبيات ماعدا الثالث في ديوانه ٥٨.

(٤) الأريب: العاقل.

(٥) في الديوان: «والورد في رامشنة من نرجس... وكلّهن عجيبُ». والرامشنة: ورقة آس لها رأسان.

(٦) في الديوان: «واصفرَّ ذا وابيضَّ ذا.. أمرهنَّ عجيب».

فَكَـأنَّ هــذا عاشِـقٌ، وكـأنَّ ذا ... كَ مُعَشَّـقٌ، وكـأنَّ ذاك رَقيـبُ[1]

وقال أبو عبد الملك الطّليق، وهو مروان بن عبد الرّحمن بن مروان بن عبد الرحمن النّاصر لدين الله يصف الورد والبهار في قصيد مشهور له لم يُصنَعْ بعده ولاقبله على عَروضهِ وقافيته مايوازيه جمالاً، ولايضاهيه كمالاً، والوصف بعد صدر في سواه[2]:

[الرّمل]

وكـأنَّ الـوَرْدَ يَعلـوهُ النَّـدَى ... وَجْنَـةُ المَعْشُـوق تَنْـدَى عَرَقَـا

يَتَفَقَّـا عَـنْ بهَـارٍ فَـاقِعٍ ... خِلْتَـهُ بـالوَرْدِ يَطـوي وَمَقَـا[3]

كـالمُحِبَّيْنِ الوَصُولَيْـنِ غَـدَا ... خَجِـلاً هَـذا وهَـذَا فَرِقـا[4]

يَالَهَـا مِـنْ أَنْجُـمٍ في رَوْضَـةٍ ... قَـدْ تَرقَّـتْ مِـن رُبَاهَـا أُفُقَـا

وَدَنَـتْ مِنْهـا إلى شَـمْسِ الضُّحَـى ... حَـدَقٌ للنَّـورِ تُصْـبي الحَدَقَـا

تشبيه الورد بوجنة المشعوق كثير، إلاّ أنّه أعربَ بزيادة النّدى، ومقابلته بالعَرَق. وقوله: «يتفقّأ» أراد ينشقُّ وينجابُ، ومنه حديث أبي بكر الصّدّيق - رضي الله عنه -: «نحن عترة رسول الله ﷺ وبيضَتُهُ الّتي تفقّأتْ عنه»[5].

أراد انشقّتْ وانجابَتْ. ودلّ على أنّ البَهار بين الوَرْد.

---

(١) قوله: «هذا عاشق»: أراد النرجس لاصفرار لونه، واراد بالمعشق: الورد الأحمر اللّون. وبالرقيب: الياسمين الأبيض.

(٢) الأبيات من قصيدة طويلة مشهورة تفرّقت أبياتها في جلِّ المصادر التي ترجمت للطليق المرواني كالجذوة والمغرب والنفح. وقد وردت الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٥ في الحلة السّيراء ٢٢٤/١. وأورد ابن بسام البيت الأول مع أبيات أخرى في الذخيرة ٥٦٦/١/١.

(٣) يتفقّا، أصلها يتفقأ: يتشقّق. والومق: الحبّ.

(٤) فَرِقٌ: خائف.

(٥) القول في السنن الكبرى للبيهقي ١٦٦/٦.

وقال أبو عمر يوسف بن هارون الرّمادِيّ يصف الورد والأقاحيّ[1] : [الطويل]

وفي الوَرْدِ غَضّاً والأقَاحي مَحاسِنٌ ... سُرِقْنَ مِنَ الأحْبَابِ للمُتَشَوِّقِ

خُدودُ عَذارَى لو تقصَّى حَيَاؤها ... وَأَفْواهُ حُورٍ لو سَمَحْنَ بمَنطِقِ

هذان التّشبيهان معروفان، لاسيما قلْبُهما، ولكن لو فُهّما حَسَّنَتْهما مَعاً وأبدعت فيهما بدَعا.

وللمتوكّل بن أبي الحسين قطعة بديعة يصف فيها نواوير وهي: [المديد]

في رياضٍ بُسْطُها زَهَرٌ ... مُظْهِرٌ مِنْ أيْكِها قُبَبَا

نَرْجِسٌ يَرْنُو بلَحْظَتِهِ ... نحْوَ وَرْدٍ طَالَمَا انْتَقَبَا

فَتَرى ذَا سَافِراً خَجِلاً ... وتَرى ذَا عَاشِقاً نَصِبَا[2]

وتَرى الخِيرِيَّ مُكْتَتِماً ... مِثْلَ لِصٍّ كَادَ أنْ يَثِبَا

فَإذا مَا اللّيْلُ سَتَّرَهُ ... أظْهَرَ الفَتْكَةَ وَاسْتَلَبا

ولأبي بكر بن هُذيل قطعة رفيعة الصّفات، بديعة التّشبيهات في نواوير عِدّة وهي: [الطويل]

حَدِيقَةُ نَفْسٍ تَملأُ النَّفسَ بَهْجَةً ... وتُثنى عيونُ النّاظِرينَ بهَا حَسْرَى[3]

كَأنَّ جَنِيَّ الجُلَّنارِ وَوَرْدَهَا ... عَشيقان لمّا اسْتَجْمَعا أظْهرا خفَرا[4]

كأنّ جنى سَوسَانِها في سَنَا الضُّحَى ... كُؤوسٌ مِنَ البِلّوْرِ قد حُشِيتْ تِبْرا

كأنَّ عيونَ النّرْجِسِ الغَضِّ بالنّدى ... عُيونٌ تُداري الدَّمْعَ خِيفَةَ أن يُدْرَى

---

(١) ديوان الرمادي ٩٤.

(٢) النَّصَبُ: التّعَبُ.

(٣) حَسْرَى: كليلة.

(٤) الخفر: شدة الحياء.

كأنَّ جَنَى الخِيريِّ في غَبَشِ الدُّجَا ... نَسيمُ حَبيبٍ زارَ عاشِقَهُ سِرّا[1]

كأنَّ ينابيعَ المِيَاه مَرَاجِلٌ ... تفورُ وَقَدْ أذْكتْ لَهنّ الحَصَى جَمْرا

شبّه المياه في آخر بيت بالمراجل، وهي القدور، واحدُها مِرْجَل.

وللوزير أبي عامر بن شُهَيْد ـ رحمه الله ـ قصيد يمدح به سليمان المستعين بالله ـ نَضَّر الله وجهه ـ في فصل النَّيروز، وفيه قطعة عجيبة في نواوير عدّة[2] :

[الكامل]

وَأَتاكَ بالنَّيْروزِ شَوْقٌ حَافِزٌ ... وتَطَلُّعٌ للزَّوْرِ غِبَّ تَطَلُّعِ[3]

وفاكَ في زَمَنٍ عَجيبٍ مُونِقٍ ... وَأَتاكَ في زَهْرٍ كَريمٍ مُمْتِعِ

فانْظُرْ إلى حُسْنِ الرَّبيعِ وَقَدْ جَلَتْ ... عَنْ ثَوْبِ نَوْرٍ للرَّبيعِ مُجَزَّعِ[4]

فَكَأَنَّ نَرْجِسَها وَقَدْ حَشَدَتْ بهِ ... زُهْرُ النُّجُوم تَقَارَبَتْ في مَطْلَعِ

أو أَعْيُنُ الأحْبابِ حينَ تَراسَلَتْ ... باللَّحْظِ تَحْتَ تَخَوُّفٍ وتَوَقُّعِ

وَبِهَا البَنَفسَجُ قَدْ حَكَى بِخُضُوعِهِ ... وَقُنُوٌّ لَوْنٍ في سَوادٍ مُشْبَعِ

خَدَّ الحَبيبِ وقَدْ عَضَضْتَ بِجَنَّةٍ ... فَشَكا إلَيْكَ بِأَنَّةٍ وَتَوَجُّعِ[5]

وَكأنَّما خِيريُّها تَحْتَ الدُّجَا ... بَينَ الأزَاهِرِ قامَ كالمُتَطَلِّعِ[6]

يَرجُو زِيارَةَ مَنْ يُحِبُّ لِوَعْدِهِ ... كَلَفاً فَباتَ مُرَاقِباً لَمْ يَهْجَعِ

---

(١) الغَبَشُ: شدّة الظُّلمة.

(٢) ديوان ابن شهيد: ١٢٥.

(٣) في ط١ وط٢: «حافرٌ» وهو تصحيف والنيروز عند الفرس أول يوم من أيام السنة الشمسية، ويوم الفرح عموماً. والغِبُّ في الزيارة: الإتيان في اليومين أو أكثر.

(٤) مُجزّع: مقطع بألوان مختلفة.

(٥) في الديوان: «بِجَنّةٍ»، والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل.

(٦) في ط١ «الأزاهير» وبه لايستقيم الوزن.

وكتب الوزير أبو عامر بن مَسْلَمَة، وبين يديه ورد وسَوسان ونيلوفر، إلى صاحب الشّرطة أبي بكر بن القُوطيّة يسأله وصفها، وشرَط في رغبته أن يكون أوّل الشّعر: [الكامل]

وَثَلاثَةٍ لَمّا اجتمعْنَ بَمجْلِسٍ ... نَبَّهْنَ منّي هِمَّةً لَمْ تَنْعُسِ

فأضاف أبو بكر إليه بديهةً أبياتاً سريّة تعجزُ من رامها روية وبعث بها إليه، وهي: [الكامل]

وثلاثَةٍ لَمَّا اجتَمَعْنَ بَمجْلِسٍ ... نَبَّهْنَ مِنّي هِمَّةً لَمْ تَنْعُسِ

وَدَعَوْنَ حَيَّ على الصَّبُوح فَشُقْنَني ... بِدُعَائِهِنَّ إلى لِقاءِ الأكْؤُسِ

وَرْدٌ كَمِثْلِ دَمِ الوَرِيدِ وسَوْسَنٌ ... غَضٌّ بَسَوسِيُّ الغَلائلِ مُكْتَسِ[1]

وَيَزِينُهُ نَيْلوفَرٌ أوْرَاقُهُ ... وَرِقٌ جَرى مِنْ فوق أَخْضَرَ أَمْلَسِ[2]

فَإذا سَرَتْ أَنْفَاسُها لكَ أبْرَأَتْ ... بلَطِيفِ رَيّاها عَليلَ الأَنْفُسِ[3]

الوَرْدُ والسَّوسَانُ والنَّيلوفَرُ الـ ... أَرِجُ الْمُشَمُّ مُحَرّكي ومُوَسْوِسِي[4]

فاقَتْ بِحُسْنِ رُوائِها وأَرِيجِهَا ... فيها من النُّوَارِ أعْمُرُ مَجْلِسِي[5]

وأنشدني أيضاً لنفسه صاحب الشّرطة أبو بكر بن القوطيّة أبياتاً يصف فيها الورد والسّوسان قَصَر على جميع تشبيهاتِها، وبديع صفاتها الحُسْنَ والإحسان، وهي:[6] [البسيط]

قُمْ فَاسقِنيهَا على الوَرْدِ الّذي فَغَما ... وَبَاكِرِ السَّوْسَنَ الغَضَّ الّذي نَجَمَا[7]

---

(١) بَسُوسيّ: من الانبساس بمعنى الانسياب.

(٢) الوَرِق: الدّم المستدير.

(٣) في ط١ «غليل» وهو تصحيف.

(٤) موسوسي: من الوسوسة: الهمس أو حديث النّفس.

(٥) الرّواء: المنظر.

(٦) الأبيات في رايات المبرزين ٥٥، ودرّة الغوّاص ١٧٢

(٧) رواية البيت في الرايات: اشرْب على السَّوسن الغَضِّ الذي فَغَما ... وباكر الآسَ والوردَ الذي نجما

كأنّما ارْتضَعَا خِلْفَيْ سَمَائِهِمَا ... فَأرْضَعَتْ لَبَناً هَذا، وذَاكَ دَمَا[1]

جِسْمان قَدْ كَفَرَ الكَافورُ ذَاكَ وقَدْ ... عَقَّ العَقِيقُ احْمِراراً، ذا ومَا احتَشَمَا[2]

كَأنَّ ذا طُلْيَةٌ نُصَّتْ لِمُعْتَرِضٍ، ... وذاك خدٌّ غَداةَ البَيْنِ قد لُطِمَا[3]

أوْلا، فَذاكَ أَنَابيبُ اللُّجَيْنِ، وذا ... جَمْرُ الغَضَى حَرَّكَتْهُ النّارُ فاضْطَرَمَا[4]

قوله: «على الورد الّذي فَغَما» أي الذي سدّت ريحُهُ الخياشيم. وقوله: «الذي نجم» أيّ الّذي طلع. والطُّلْية: صفحة العُنق، وهي واحدة الطُّلَى. ولغة ثانية في الطُّلية: طُلاة. ونُصَّتْ: رُفِعَتْ.

وأنشدني لنفسه الوزير أبو عامر بن مَسْلَمَة قطعة يصف فيها البَهارَ والبَنَفسج بأوصاف غريبة، ويشبّهها بتشبيهات عجيبة: [الكامل]

قَدِمَ البَهارُ مع البَنَفْسَجِ فَاشْرَبَنْـ ... ـنَ عَلَيْهما بَيْنَ الرِّياضِ الغَضَّهْ

هذا كمَعْشُوقٍ وعاشِقُهُ، وذا ... مِثْلُ الحزين دُموعُهُ مُرْفَضَّهْ[5]

وَتَرَى البَهَارَ كأنَّهُ يَاقُوتَةٌ ... صَفْراءُ تَحْمِلُها أكُفٌّ بَضّهْ

قَدْ سُتِّرَتْ حَذَرَ الرَّقيبِ مَعَاصِماً ... بِمَطَارِفٍ خُضْرٍ وَأبْدَتْ فِضّهْ

وَجَرى النُّضَارُ بِهَا فَحَسَّنَ خَلْقَها ... كَمِثَالِ مَعْشوقٍ تَشَكّى مَرْضَهْ[6]

وكَأنَّ ذاكَ بِخَدّهَا وبِنَحْرِهَا ... عِنْدَ العِيانِ لَنا بَقايا عَضَّهْ

قوله: «كأنّ ذاك» أشار إلى البَنَفْسَج إذْ بَعُدَ ذِكْرُهُ لاشتغالِهِ بوصف البَهار.

---

(١) الخِلْفُ: حَلَمةُ الضرع.

(٢) في الرايات: «خلان قد... وماظلما». كفر: ستر.

(٣) في الرايات: «كأنَّ ذا دمية».

(٤) اللُّجَين: الفضّة. الغَضى: شجر عظيم، خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زمناً طويلاً لاينطفئ بسرعة. وفحمه صلب.

(٥) ارفضّ الدّمع: سال وتفرّق وتتابع سيلانه.

(٦) النُّضارُ: الذّهب.

وللوزير أبي عامر بن مَسْلَمة أيضاً قطعة في جملة من النّواوير، وعدّة من الأزاهير، أبدَعُ من المتقدّمة على أنْ لاأَبْدعَ، وأرفَعُ منها على أنْ لاأرْفَعَ، تضمّنت من التّشبيهات غريبها، ومن الصّفات عجيبها، أنشدنيها موصولة بمدْح ذي الوزارتين القاضي - وصل الله حرمته، وأدام عزّته - وهي: [مجزوء الرجز]

وَرَوْضَـةٍ مُشْـرِقَةٍ ... بكُـلِّ نَـوْرٍ مُجتَنَـى
فِيهَـا بَهـارٌ بَـاهِرٌ ... وَنَرْجِـسٌ يشـكُو الضَّنَـى
ويَاسَـمِينٌ أرْضُـهُ ... وَنَـوْرُهُ تَلَوَّنَـا
كـاللَّيْلِ مُخْضَـرّاً وَلَـ ... ـكِـنْ بـالنُّجُومِ زُيِّنَـا
فـاجْتَنِ وَرْداً وَارِداً ... وسَوْسَنـاً مُلَسَّنَـا
وَحَوْلَـهُ نَيْلُوفَـرٌ ... فِتْنَـةُ رَانٍ إنْ رَنَـا
تَخَالُـهُ مَضَارِبَـاً ... مِـنَ المَهَـا تروقُنَـا
والآسُ آسٍ كاسْـمِهِ ... بِنَـوْرِهِ قَـدْ حُسِّنَـا
تَنْويـرُهُ جَواهِـرٌ ... مِـنْ غَيْرِ بَحْـرٍ تُقْتَنَـى
وَحَبُّـهُ مِـنْ سَـبَجٍ ... أو سُـنْدُسٍ قَـدْ لُوِّنَـا[1]
وَقَـدْ بَـدا فيهـا البَنَفْـ ... ـسَجُ النَّـدِي الغَـضُّ الجَنَـى
وَأرْضُـهُ مَطَـارِفٌ ... خُضْـرٌ أَتَتْنَـا بـالمُنَى
طَـابَتْ بِطِيـبِ مَـاجِدٍ ... فَـاقَ سَـنَاءً وَسَـنَا[2]
ذَاكَ ابـنُ عَبَّـادٍ عِمَـا ... دِي وسِـرَاجي في الدُّنَـا
فَهْـوَ يُثِـيرُ الحَـقَّ والْـ ... ـعَـدْلَ ويُحيِـي السُّـنَنَا
وَنَـوْرُهُ مِسْـكٌ فَتِيـ ... ـتٌ حَسْـنُهُ يَفْتِنُنَـا

(١) السَّبَج: حجر أسود.
(٢) السَّنَاءُ والسَّنا: الضَّوءُ والرِّفعة.

قَـــاضٍ بِنَشْــــرِ عَدْلِـــــهِ طَـــابَتْ لَنَـــا أَزْمُنُنَــــا

لازَالَ يبقــــــى مَـــــاعَلا قُمْـــرِيُّ أَيْـــكٍ فَنَنَـــا[1]

وللوزير أبي عامر بن مسلمة أيضاً قطعة بديهيّة سريّة، كلّها سنيّة، قالها وبين يديه ثلاثة أنوار: خيريّ وبَنَفْسج وبَهار، وأنشد: [الكامل]

وثلاثَــةٍ لَمّــا اجتمَعْــنَ بِمَجْلِســي أَقْــرَرْنَ عَيْــنَ تَــنَزُّهِي وتَأَنُّسِــي

نَمّــامُ طِيــبٍ في بَهَــارٍ بــاهِرٍ وبَنَفْسَـجٍ أضْحَـى حَبيـبَ الأَنْفُـسِ

فَالسَّـــبْقُ مِنْهـــا للبَهارِلأنّــــهُ يــأتي ونَـورُ الـرَّوضِ لَـمْ يتحَسَّـسِ

ثــمَّ البَنَفْسَــجُ فَهْــوَ يتْلُــوهُ لنَــا راقَــتْ ملاحَتُــهُ فــأَصْبَحَ مُؤْنِســي

يَحكـي لَنـا المِسْـكَ الفَتيـتَ بِلَوْنِـهِ في أرْضِ عَنْـبَرَةٍ كَلَـوْنِ السُّـنْدُسِ

والخَــيرُ في الخِــيريِّ إلاّ أنَّــــهُ يُخْفِــي النَّسـيمَ نَهـارَهُ بــالَمجْلس

ويُذيعُــهُ بــاللَّيْلِ فَهْــوَ بِفِعْلِــهِ وبصُنْعِـهِ هَــذا صَديـقُ الحِنْـدِسِ[2]

فــاقَتْ نَواويــرَ الرِّيــاضِ تَلوّنــاً فغَدَتْ لهـا مِثْـلَ النُّجـومِ الكُنَّـسِ[3]

وقال يونس بن مسعود الرّصافيّ يصف الورد والخيري: [الخفيف]

يَتطَلَّعْــنَ أَنْجُمــاً بِعُيــونِ كــالخَواتِمِ زَانَهــا التَّفْصِيــصُ

في رِيَــاضٍ كأنّمــا الــوردُ فيهِنْــ ــنَ عَـذارى تُجنُّهــنَّ خُصــوصُ[4]

هَــبَّ خِيريُّهَــا بِلَيْــلٍ وَقَدنــا مَ نَهـاراً كَمـا تَهُـبُّ اللُّصُـوصُ

أظنُّ البيت الأول في البهار إذ هي صفته.

---

(١) القمري: ضرب من الحمام حسن الصوت. الفَنن: الغصن. الأيك: الشجر الكثيف الملتف.

(٢) الحِنْدِسُ: اللّيل الشديد الظلمة.

(٣) الكُنّس: التي تبدو وتختفي.

(٤) خصوص، واحدها خُصّ: بيت من شجر وقصب.

وله أيضاً: [الكامل]

وَكَأنّ سَوْسَنَهُ مَدَاهِنُ فِضَّةٍ تَحوي خَلوقاً بالعَبيرِ مُطَيَّبا[1]

وَتَخالُ نَرْجِسَهُ بِها تِبْراً عَلى قُضُبِ الزُّمُرُّدِ حينَ قامَ مُرَكَّبا

وكأنَّ أَعْيُنَهُ عيونُ حَبائِبٍ قَدْ أَبْصَرَتْ يَوْمَ النَّدَى مُتَرَقِّبا

والوَرْدُ تَحْسَبُهُ خُدودَ كَواعِبٍ كادَتْ مِنَ التَّوريدِ أنْ تَتَلهَّبا[2]

وَكأنَّما الخِيريُّ خَدٌّ عَضَّهُ لَحْظُ الحبيبِ صَبابَةً وَتَحبُّبا

وصنع الفقيه أبو الحسن بن علي قصيدة ضاديّة يصف فيها نواوير الرّبيع بوصف حسن بديع، ويمدح بها ذا الوزارتين القاضي - أدام الله عِزّه ووصل حِرْزَهُ - وأنا أذكر منها قطعة تُشاكل هذا الباب. وهي بعد صدر من القصيد[3] : [المجتث]

كأنَّما الرَّوْضُ لَمّا وَشَّتْ يَدُ المُزْنِ أَرْضَهْ[4]

بِكُلِّ حَمْراءَ صِرْفٍ وَكُلِّ بَيْضاءَ بَضَّهْ

كواكبٌ في سَماءٍ مِنَ الزَّبَرْجَدِ مَحْضَهْ[5]

كَأنَّ طَلَّ الأَقاحِي مَدامِعٌ مُرْفَضَّهْ[6]

أوْ لُؤلُؤٌ فَوْقَ أَرْضٍ مِنَ المَها مُبْيَضَّهْ[7]

كَأنَّما الوَرْدُ صَدْرٌ أبْقَى بِهِ اللَّثْمُ عَضَّهْ

أوْ خَدُّ أَغْيَدَ قَدْ أخْـ ـجَلْتَهُ حالٌ مُمِضَّهْ[8]

---

(١) الخَلُوق: ضرب من طيب يُتّخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب.

(٢) كواعب، واحدها كاعب: المرأة حين يبدو ثديها للنُّهود.

(٣) الأبيات ١ - ٣- ٤ - ٥ - ٦ - ٨ - ١١ - ١٢ - ١٣ في الذخيرة ٢/١/٢٠٢.

(٤) في الذخيرة: «كأنما الورد».

(٥) في الذخيرة: «من الزبَرْجد غَضّه».

(٦) في الذخيرة: «من فضّه». والطلّ: الندى. مرفضّة: سائلة.

(٧) المها: البلور.

(٨) ممضّة: مؤلمة.

كأنّمَا النَّهْرُ نَصْلٌ — جَلا الصَّياقِلُ عُرْضَهْ[1]
كأنّمَا غُدُرُ المَا — ءِ في المُروجِ الغَضَّهْ
إذا التَقَيْنَ مَرَاءٍ — أو أكؤُسٌ مِن فِضَّهْ
كأنّما الشَّمْسُ في الجَوْ — وِ حِينَ يَقْطَعُ عَرْضَهْ
وَجْهُ ابْنِ عَبَّادٍ النَّدْ — بِ حِينَ تأمُل قَرْضَهْ[2]
حَوَى بِطَوْلِ يَدَيْهِ — طُولَ الثَّناءِ وعَرْضَهْ

المَرائي، جمع مرآة مثل مكواة ومكاوي. وهو تشبيه قويّ سريّ جدّاً.

قال أبو الوليد: فلمّا بلغني ذلك صنعتُ قصيداً على ذلك النّحو وأنا ذاكر أيضاً منه قطعة تليق بهذا الباب وهي من أوّله[3]: [المجتث]

اُنْظُرْ إلى النَّهْرِ واعجَبْ — لِحُسْنِ مَرْآهُ وأَرْضَهْ
قَدْ حَلَّ بَيْنَ رِيَاضٍ — مِنَ النَّواوِيرِ غَضَّهْ
فِيها بَهَارٌ بَهِيٌّ — بَدا فَزَيَّنَ أَرْضَهْ
كأنَّهُ جِيدُ تِبْرٍ — يَلُوحُ في طَوْقِ فِضَّهْ[4]
وَنَرْجِسٌ مِثْلُ لَوْنِ الْ — مَهْجُورِ فَارَقَ غُمْضَهْ[5]
وأقْحُوانٌ أَنِيقٌ — بُرودُهُ مُبَيَّضَّهْ
قَدْ طَرَّزَتْهَا بِتِبْرٍ — عَيْنُ النَّدى المُرْفَضَّهْ
وبَاقِلاءٌ قَدْ آبْدَى — بِنَوْرِهِ الحُسْنَ مَحْضَهْ
كأنَّما هُوَ خَالٌ — بِخَدٍّ بَيْضَاءَ بَضَّهْ

---

(١) النَصل: السّيف.
(٢) النَّدبُ: الظريف النجيب السريع إلى الحاجة.
(٣) الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٥ ـ ٦ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ في الذخيرة ٢/١/٢٠٣.
(٤) الجيد: العنق.
(٥) في الذخيرة: «من نرجس مثل...».

كأنّما النَّهْرُ أُفْقُ السَّمَاءِ عانَقَ أرْضَهْ

وقَدْ كَسَا عُدْوَتَيْهِ مِنَ الأزاهِرِ مَخضَهْ[1]

كما ابنُ عبّادِ النَّدْبُ قَدْ كَسَا الصَّوْنُ عِرْضَهْ

سَمْحٌ على المَالِ فَظٌّ دَأباً يُجَدِّدُ فَضَّهْ

لَهُ مِنَ الجَاهِ حَظٌّ على التَّواضُعِ عَضَّهْ

فلمّا أنشدتُهُ القاضيَ - أبقاه الله - سُرَّ سُرورَ مُتشيِّعٍ في غَذِيِّ إنعامِهِ، ورَبيٍّ آيَامِهِ، وأمرني باستحضار صاحب الشّرطة أبي بكر بن القُوطيّة، والأديبَيْن أبي جعفر بن الأبّار، وأبي بكر بن نَصْر وأمرهم عنه - لازال ماضي الأمر - بالعمل في ذلك المعنى على العروض والقافية، فلم أُقَدِّمْ شيئاً على استحضارهم، وإيراد ماأمرني به عليهم. فصنعوا في ذلك من ليلتهم أشعاراً رائعة السِّمات، فائقة الصِّفات، فمن ذلك شعر أبي بكر بن القوطيّة وهو من أوّلِهِ[2] :

[المجتث]

بِشَاطِيءِ الوَادِ نَهْرٌ كَسَا الدَّرانِكُ أرْضَهْ[3]

خُضْراً وصُفْراً وحُمْراً وبَعْضُهَا مُبْيَضَّهْ

نَمَارِقٌ وزَرَابٍ مِنَ النّواوِيرِ غَضَّهْ[4]

فَالوَرْدُ وَجْنَةُ خَوْدٍ بَيْضَاءَ غَرَّاءَ بَضَّهْ[5]

كَمَا البَنَفْسَجُ خَدٌّ أبْقَى بِهِ الهَشْمُ عَضَّهْ[6]

واليَاسَمِينُ نُجُومٌ حَازَتْ مِنَ الحُسْنِ مَحْضَهْ

---

(١) في الذخيرة: «بحومة الزهر مخضه». والعُدوة: الشاطئ.

(٢) الأبيات ١ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٩ في الذخيرة ٢/١/٢٠٣.

(٣) في الذخيرة: «بشاطئ النهر». والدَّرانك: ضرب من البسط.

(٤) النمارق: واحدها النُّمرق والنِّمرقة: الوسادة. والزرابي: البسط.

(٥) في الذخيرة: «غرّاء بيضاء». الخَوْدُ: الفتاة الحسنة الخلق ما لم تصر نَصَفاً.

(٦) في الذخيرة: «به اللّثم».

روضٌ بَدِيعٌ مَتَى مَا ... تُجِلْ بِهِ الطَّرْفَ تَرْضَهْ
تُقَيِّدُ اللّحْظَ حُسْناً ... فَلَيْسَ يَسْطِيعُ نَهْضَهْ
حَكَى سَجَايا ابنِ عَبَّا ... دٍ الكَرِيمِ وعِرْضَهْ
قَاضٍ علَى الحَقِّ مَاضٍ ... رَاضٍ بِهِ لَو أَمَضَّهْ
إِسْمُ ابتِداءٍ تَعَالى ... أنْ يُحْسِنَ الدَّهْرُ خَفْضَهْ

أراد أنّه رفيع القَدْر، لم تَقْدِر على خفْضِهِ نوبُ الدَّهر، وهو معنى كالسِّحر.

ومن شعر أبي جعفر بن الأبّار، وهو من أوّله[1] : [المجتث]

لاتَرْضَ لِلَّحْظِ غَضَّهْ ... والْمَحْ مِنَ النَّوْرِ غضَّهْ
خَدُّ الرَّبِيعِ تَبَدَّى ... فَصِلْ بِلَحْظِكَ عَضَّهْ
شقائِقٌ شَقَّ قلْبي ... رُواؤُهَا واقتضَّهْ[2]
كأنَّمَا الأرضُ مِنْهَا ... خَرِيدَةٌ مُفْتَضَّهْ
ونَرجِسٌ مُتَغَاضٍ ... كأنَّمَا الحُزْنُ مَضَّهْ
يَرْنُو بِطَرْفٍ كَحِيلٍ ... كَمَنْ يُحَاوِلُ غُمْضَهْ[3]
وسَوْسَنٌ إنْ تُشِمْهُ ... فكالوَذائِلِ بَضَّهْ[4]
أوْ أَلْسُنُ الدُّرِّ صِيغَتْ ... أو الطُّلَى المُبْيَضَّهْ[5]
والأُقْحُوانُ نُجُومٌ ... لَيْسَتْ تُرَى مُنْقَضَّهْ
كَانَتْ خِتاماً عَلَيْهِ ... مِنْهُ كمائِمُ غَضَّهْ

---

(١) الأبيات ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ في الذخيرة ٢/١/٢٠٤.
(٢) في الذخيرة «وافتضه» واقتضّ وافتضّ، بالمعنى نفسه.
(٣) في الذخيرة: «بطرف كليل».
(٤) الوذائل، واحدها وذيلة وهي الفضّة.
(٥) الطُّلَى، واحدها الطُّلاة وهي العُنق.

فحـــــاولَ الجَـــــوُّ فَضّـــــاً بِفِضَّـــــةِ الطَّـــــلِّ فَضَّـــــه[1]

لَـــــمْ يُضْحِـــــكِ الـــــرَّوضَ إلاّ دُموعُـــــهُ المُرْفَضّـــــهْ[2]

مـــــازالَ يُولَـــــى فَيُـــــولي مِـــــنْ كُـــــلِّ ودٌّ مَحْضَـــــهْ

حتّـــــى إذا الـــــوَرْدُ حَيَّـــــى وعـــــارَضَ المِسْـــــكُ عِرْضَـــــهْ

أبْـــــدَى غَلائِـــــلَ حُمْـــــراً إزَارُهـــــا مُنْفَضَّـــــهْ

كأنَّمـــــا المُـــــزْنُ جَيْـــــشٌ يُحـــــاوِلُ الأفْـــــقُ عَرْضَـــــهْ[3]

ثمّ دخل إلى المدح من هنا دُخولاً مُستَحْسناً فقال مخاطباً لممدوحه: [المجتث]

كأنَّمـــــا الـــــبَرْقُ فِيـــــهِ علـــــى اجتدائِـــــكَ حَضَّـــــهْ

كأنَّمـــــا الرَّعْـــــدُ قَصْفـــــاً بِكُـــــمْ يُهَـــــدِّدُ وَمْضَـــــهْ

كأنَّمـــــا الرِّيـــــحُ تَبغـــــي لِبَعْـــــضِ شَـــــأْوِكَ نَهْضَـــــهْ

كأنَّمـــــا البَحْـــــرُ عَـــــافٍ إليـــــكَ قَـــــدْ شـــــدَّ غَرْضَـــــهْ[4]

وَمَـــــدَّ بِـــــالنَّهْرِ كَفَّـــــاً لكَـــــيْ تُعَجِّـــــلَ قَرْضَـــــهْ

قوله: «مازال يولى»، أراد يُتَعاهَدُ بالوليّ، وهو مطر الرّبيع. ويُولي الثّاني: هو المعروف يُسدى إليه، وقوله: «عارضَ المِسْكَ عِرْضَهْ»، العِرض: الرّيح، يُقال: فلانٌ طيّب العِرْض، ومُنْتِن العِرْضِ أي الرِّيح. والعِرْض أيضاً: وادي اليمامة[5]، وكُلّ وادٍ عِرْض. والعِرْضُ أيضاً: ماذُمَّ به الإنسان أو مُدِحَ. وقوله: «قد شدّ غَرْضَهُ» الغَرْضُ: حِزامُ الفَرَس، ومنه الغَرْضَة.

ومن شعر أبي بكر بن نصر، وهو من أوّله أيضاً: [المجتث]

---

(١) في ط١ وط٢ «رفضاً» وهو تحريف. والطّلّ: الندى.

(٢) المرفضَّة: المتفرقة.

(٣) المزن: المطر.

(٤) العافي: السَّائل.

(٥) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (العِرْضُ) ٤/١٠٢.

أمَا تَرَى الأَرْضَ خَضْرَا ... ءَ بالأَزَاهِرِ غَضَّهْ

كأنَّها في مُلاَةٍ ... مِنَ الزَّبَرْجَدِ مَحْضَهْ[1]

وَفَوْقَ ذَلِكَ نَوْرٌ ... يُعَانِقُ البَعْضُ بَعْضَهْ

مِن نَرْجِسٍ ذي جُفُون ... دُمُوعُهَا مُرْفَضَّهْ

مُصْفَرِّ لونٍ كَصَبٍّ ... بِهِ غَرَامٌ أَمَضَّهْ[2]

لَحْظُ لُجَيْنٍ وَلَكِنْ ... عَلَى صَفَا التِّبْرِ عَضَّهْ[3]

والسَّوسَنُ الغَضُّ نَوْرٌ ... حَمَى عَنِ الذَّمِّ عِرْضَهْ

كأنَّهُ ضَاحِكٌ عَنْ ... عَوارِضٍ مُبْيَضَّهْ[4]

مُفَلَّجَاتٍ طِوالٍ ... تَلَبَّسَتْ بالفِضَّهْ[5]

وللنَّوائِرِ عِرْضٌ ... والوَرْدُ أَخَّرَ عِرْضَهْ

غَضٌّ وبَضٌّ ولَكِنْ ... لَمْ يُنصِفِ الدَّهْرُ غَضَّهْ

الآسُ أَدْوَمُ بُرْءًا ... والوَرْدُ أَسْرَعُ مَرْضَهْ

ومن المدح:

جَاوِرْ نَدَاهُ تُصَادِفْ ... مِنْ طَيِّبِ العَيْشِ خَفْضَهْ[6]

مَا أَضْمَرَ الكُفْرَ إلاّ ... مَنْ بَاتَ يُضْمِرُ بُغْضَهْ

وَإِنْ عَصَاهُ مُنَاوٍ ... فَمَا يَنِي أَنْ يَفُضَّهْ[1]

---

(١) مُلاة، أصلها ملاءة، خففت همزتها، وهي الملحفة.

(٢) أمضّه: آلمه.

(٣) اللُّجَين: الفضّة، والتّبر: الذّهب.

(٤) العوارض: الثنايا، سميت عوارض لأنها في عرض الفمّ، وقيل هي أربعة أسنان تلي الأنياب.

(٥) مفلّجات: متباعدات.

(٦) خفض العيش: الدَّعة.

وَلَــوْ تَحَصَّــنَ مِنْــهُ ... بِــرأسِ رَضْــوى لَرَضَّــه[2]

ثمّ إنّ الوزير الكاتب أبا الأصبغ بن عبد العزيز عـرف ذلـك فصَنع شعراً على هيئتها في المعنى والغَرَض، ومنه[3] : [المجتث]

يَــامَنْ تــأمَّلَ رَوْضــاً ... بــهِ النّواويــرُ غَضَّــهْ

وَعَــاينَ الحُسْــنَ مِنْهَــا ... قَــدْ زَيَّــنَ البَعْــضُ بَعْضَــهْ

فــالأُقْحُوانُ بيــاضٌ ... كأنّــه سِــمْطُ فِضَّــهْ[4]

والــنَّرجسُ الغَــضُّ تِــبْرٌ ... في صُفْــرَةٍ مِنْــهُ مَحْضَــهْ[5]

والــوَرْدُ مَــاءٌ وَنَــارٌ ... سَــالاَ عَلــى وَجْــهِ بَضَّــهْ

ضِــدَّان في صَحْــنِ خَــدٍّ ... قَــدْ أُلِّفَــا بَعْــدَ بُغْضَــهْ

وَالنَّهْــرُ سَــبْكُ لُجَيْــنٍ ... جَــرَى فَزَيَّــنَ أَرْضَــهْ

ومن المدح:

قَــاضٍ يُكــافِحُ عَنّــا الْــ ... ـعِــدَا وَيَهْجُــرُ غُمْضَــهْ

أَسْــدَى وَأَوْلى جَميــلاً ... فَــأَجْمَلَ اللهُ قَرْضَــهْ][6]

أَيّامُــهُ الغُــرُّ مَــاءٌ ... صَفَــا لِمَــنْ رامَ خَوْضَــهْ

فــالعُمْرُ فِيهــا قَصِــيرٌ ... والدَّهْــرُ فيهــا كَغَمْضَــهْ

وهذا البيت غاية، ووصف الـورد نهايـة، وإن كـان معروفـاً في وصـف الخـدود فَقَلْبُهُ إلى وصف الورد مّما أحسن فيه، وأغرب به.

---

(١) مناوٍ: مُناوئ وهو المعادي.

(٢) رضوى: جبل المدينة المنورة. انظر معجم البلدان ٣/٥١.

(٣) الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ في الذخيرة ٢/١/٢٠٤.

(٤) في الذخيرة: «والأقحوان بياضاً» والسِّمْطُ: خيط النظم أو القلادة.

(٥) في الذخيرة: «فالنرجس»

(٦) هنا ينتهي السَّقط في الأصل.

ولمّا أكمل أبو الأصبغ إنشاد هذا الشّعر أمر القاضي - أعزّه الله - والدي عَبْدَهُ النّاصحَ له دأبَهُ الحَسَن فيه ظاهِرُه وغَيْبُهُ بالجلوسِ بين يديهِ ثمّ أَمَلَّ بديهة عليه[1] :

[المجتث]

أَبْلِغْ شَقيقيَ عَنّي ... مَقَالَةً لِتُمِضَّهْ[2]

بأنَّ وَصْفَ الأقاحِيْ ... ي [الّذي وصَفْتَهُ لم آرْضَهْ

هَلاّ وَصَفْتَ الأَقاحِي] ... بِأَكْؤُسٍ مِنْ فِضَّهْ

قِيعَانُهَا مُلْبَسَاتٌ ... صِرْفَ النُّضَارِ وَمَحْضَهْ

أَوْ لا فصُفْرُ اليواقيـ ... ـتِ في خواتِمِ فِضَّهْ

أَوْ النُّجُومُ تَسَاقَطْ ... نَ في المَهَا المُبْيَضَّهْ[3]

أَوْ لا فَجَامُ مَهَاةٍ ... بالخَمْرِ في كَفٍّ بَضَّهْ[3]

قَدْ بَاكَرَتْهُ وأَبْقَتْ ... مِنْ فَضْلِها فيه بَعْضَهْ

قال أبو الوليد: سمعتُ أبي وأبا الأصبغ يقولان: والله ماأكْمَلَ إملاءَ الأبيات بتلكَ التّشبيهات الرّائقة، والصِّفات الرائعة إلاّ ونحن قد بُهتنا من سرعة بديهته، وقدرة **فكره على تهذيب قوافيها، وتذهيب معانيها في أسرع من [٧٠/آ] لا في اللّفظ[4]،** وأعجل من رجع اللّحظ، والمعنيُّ فيها، والمردرد عليه بها هو الوزير أبو الأصبغ في وصفه المتقدّم للأقاحي حين قال:

[المجتث]

فالأقْحُوانُ بَيَاضاً ... كأنّهُ سِمْطُ فِضَّهْ

لأنّه وصف بياضه و لم يصف صفرته، فجمعهما القاضي - أعزّه الله وأحسن ذكراه - بتشبيهات كُلُّها مُسْتَولٍ على غاية الكمال، مستوفٍ نهاية الجمال. ولو وقع

---

(١) الأبيات ١ - ٢ - ٣ - ٦ في الذخيرة ٢/١/٢٠٥.

(٢) لتمضّه: لتحزنه.

(٣) المها والمهاه: البلور.

(٤) في المثل: «أسرع من ما ولا» انظر الدرّة الفاخرة ٢١٧/١ وسوائر الأمثال /١٨٩.

تشبيه من تلك التّشبيهات لموسومٍ بهذه الصّناعة، مُتّخذٍ لها كالبضاعة، بعد إعمال فكره فيه وإشغال ذهنه به، لكان مُسْتَندراً مستغرباً، فكيف باجتماعها على حسنها وانطباعِها لهُ ـ أعزّه الله ـ بديهة مع كثرة اشتغاله بالفرائض عن هذه النّوافل الّتي لايتحلّى بها، ولايَتَجَلْبَبُ بجلبابها.

قال أبو الوليد: وهذه القطعة كان يجبُ أن تكون في باب القِطَع المنفردة لأنّها في الأقاحي على حِدَة. لكنّي لو فصلتها من الشّعر الّذي اتّصلتْ به، والمعنى الذي وقعَتْ فيه لكنتُ مفرّقاً بين الطَّرْفِ وحَوَره[1]، والخَدِّ وخَفَره[2]، ففيها من التّشريف لمن خوطب بها، وعُني فيها مايبقى في نَسْلِه ويُنبيء عن فضْلِه.

وقال أبو الحسن علي بن أبي غالب في المعنى الأوّل والقافية والعروض مَوْصولاً بمدح أبي ـ أطال الله لي عمره، وأبقى عَليّ سِتْره ـ [3]: [المجتث]

نَبِّهْ جُفُونَكَ لِلرَّوْ ... ضِ وَاهْجُرَنْ كُلَّ غَمْضَهْ
قَدْ نَبَّهَ الطَّلُّ مِنْهُ الْـ ... جَفْنَ الّذي كان غَضَّهْ
مِنْ بيْنِ وَرْدٍ كَخَدِّ الْـ ... حَبيبِ حاوَلْتَ عَضّهْ
وسَوْسنٍ قد حكى لِي ... سَوالِفَ الغِيدِ بَضَّهْ
ونَرْجسٍ مَنَعَ السُّهْـ ... ـدُ جَفْنَهُ أنْ يَغُضَّهْ
كَلَوْنِ صَبٌّ تَشكّى ... قِلَى الحَبيبِ وبُغْضَهْ[4]
ومِنْ بَهارٍ يُدَلّي ... جَمَاجِمَاً مِنْهُ غَضَّهْ[1]

---

(١) في ط٢ «وخوره» بالخاء وهو تصحيف. والحور: شدّة بياض العين مع شدة سواد سوادها.

(٢) الخَفَرُ: شدّة الحياء.

(٣) الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ في الذخيرة:٢/١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٤) القِلى: البُغض.

(١) في الذخيرة: «تدلّى.. جماجمٌ».

كأنّـــــهُ مُعْـــــرِضٌ عَـــــنْ   مُحَـــــــــدِّثٍ لم يَرْضَـــــــهْ

كأنّـــــهُ نُقَـــــرُ التِّبْـــــ   ـــــرِ في مَداهِـــــنِ فِضّـــــهْ

وبعد أبيات دخل إلى المدح، فقال: يعني الرَّوض:

كأنّمـــــا ضُمِّنَـــــتْ مِـــــنْ   مُعَتَّـــقِ المِسْـــكِ مَحْضَـــهْ

فأشـــبَهَتْ مـــن طبـــاعِ ابـــ   ـــنِ عـــامرٍ النَّـــدْبِ بعْضّـــه   [٧٠/ب]

وأنشدني لنفسه أيضاً أبو الحسن [بيتين] مرماهمـا رشيق، ومغزاهُما دقيـق، في الخِيريّ والنّيلوفر، وهما[٢]:

[السريع]

كأنّمـا الخِـيريُّ حِـبٌّ غَـدَا النَـــ   نَيْلوفَـرُ الغَـضُّ عليـهِ رَقيـبْ

فَهْـــوَ إذا طَبَّـــقَ أجْفَانَـــهُ   بـاللَّيْلِ لاَقَـاكَ بِنَشْـرٍ وَطيـبْ[٣]

وأنشدني أيضاً لنفسه وصفاً في السّوسن والباقلاء حَسَنَ التّشبيه أبدعَ وأغرب [فيه وهو]:

[الطويل]

وَمِـنْ سَوْسَـنٍ غَـضِّ النَّبـاتِ كأنَّـهُ   كُـؤوسُ لُجَـيـنٍ لَـمْ تُشَـنْ بِنِبـالِ[٤]

إذا مـابَدا فيهـا الحَبَـابُ حَسِـبْتَها   سَـوالِفَ غِيـدٍ قُلِّـدَتْ بِـلآلِ

وَنَـوْرُ نَبَـاتِ البـاقِلاءِ كأنَّـهُ   شُـنوفُ لُجَـينٍ ضُمِّخَـتْ بِغَـوالِ[٤]

ولأبي بكْر بن نَصْر وَصْفُ أكثر نواوير الرّبيع في قصيد بديع حَسَنِ التّشبيهات غريب الصّفات مدح به أبي ـ أبقاه الله لي ـ فقال يخاطبه [بعد أبيات]:

[الكامل]

أَسُـلاَلَةً مِـنْ عـامِرٍ سَـلْنِي عـن الْـ   أَنْـوارِ تحصُـلُ عِنْـدَكَ الأنْـوَارُ[١]

---

(٢) البيتان في جذوة المقتبس ٢٩٦. بغية الملتمس ٤٢٦.

(٣) النَّشْرُ: الرائحة الطيبة.

(٤) في ط١ وط٢ «بنيال» ولاوجه لها. وأراد بقوله لم تُشَن بنبال أي لم تُعَب بصِغَر.

(٤) شنوف: واحدها الشَّنْفُ: الذي يلبس في أعلى الأذن. والغوالي: واحدها غالية. ضرب من الطيب.

للهِ نَيْســـــانٌ ففيـــــهِ تَـــــمَّ مَـــــا ... قَـــدْ كـــانَ قَبْـــلُ بَـــدا بـــهِ آذَارُ

أمَّـــا البِقَـــاعُ فإنّهـــا جَـــادَتْ لَنـــا ... بِشُـــموسِ نَـــوْرٍ بينَهـــا أَقْمـــارُ

كـــالأُقْحوانِ بديهَـــةً فـــاسمعْ لَـــهُ ... في الوصْـــفِ مَافيـــهِ اللّبيـــبُ يَحَـــارُ

هـوَ ضـاحِكُ الأَسْـنانِ لمّـا أنْ بكَـتْ ... عَيْـــنُ السَّـــماءِ وَدَمْعُهـــا مِـــدْرارُ

فَـــتَراهُ يَبْسِـــمُ عَـــنْ ثَنايـــا فِضَّـــةٍ ... تَبْـــدو إِلَيْـــكَ لِثَـــاتُهُنَّ نُضَـــارُ

وشَـقائِقُ النُّعمـانِ قُمْـصٌ أُشْـبعَت ... في حُمْـــرَةٍ فَلَهـــا بـــذا إيْثَـــارُ

وَكَأَنَّهَـا وَسْـطَ البِقـاعِ وَقَـدْ عَلَـتْ ... قُضْبَـــانُ آسٍ في ذُراهـــا نَـــارُ

وإذا تَـــأَمَّلْتَ البَهـــارَ تَـــأَمُّلاً ... أَيْقَنْـــتَ أنَّ المِسْـــكَ مِنْـــهُ مُعَـــارُ

قُضُـــبُ الزُّمُـــرُّدِ مُورِقَـــاتٌ فِضَّـــةً ... وَلَهـــا النُّضَـــارُ مُخَلَّصـــاً نُـــوَّارُ

والـنَّرْجسُ الغَـضُّ الأنيـقُ يغُـضُّ أَلْـ ... حَاظـــاً مِرَاضـــاً ماهـــا أشْـــفَارُ[2]

مُـــتَرَقْرِقٌ بِحَبَـــابِ طَـــلٍّ مِثْلَمـــا ... بَـــدَرَتْ دُمُـــوعٌ لِلمُحِـــبِّ غِـــزَار [٧١/آ]

وَاعجَـبْ لِخـيريِّ الرِّيـاضِ فإنّمَـا ... هُـــوَ بـــينَ أَنْـــوارِ الرِّيـــاضِ خِيـــارُ

بـــاللّيْلِ للسُّـــمَّارِ يَنْشُـــرُ نَشْـــرَهُ ... لِيَنَـــالَ رَدْعَ نَســـيمِهِ السُّـــمَّارُ[3]

فَـإذَا أَضَـاءَ الصُّبْـحُ أَخْفَـى نَشْـرَه ... وَتَمزَّقَـــتْ مِـــنْ دُونِـــهِ الأَوْطَـــارُ

والسَّوْسَـــنُ الفَيْنَـــانُ صِفْـــهُ فَإنّـــهُ ... غَـــضٌّ تَكَـــادُ تُذيبُـــهُ الأَبْصَـــارُ[4]

وَكَأنّمـــا صِـــرْفُ اللُّجَيْـــنِ بُـــرُودُهُ ... مِنْـــهُ شِـــعَارٌ لاَصِـــقٌ ودِثَـــارُ

وإذَا دَنَـــا للأَنْـــفِ مِـــن مُسْتَنْشِـــقٍ ... فَلَـــهُ بِـــهِ مِـــنْ رَدْعِـــهِ آثَـــارُ

وإذَا ذَكَـــرْتَ الـــوَرْدَ فـــاعْلَمْ أنّـــهُ ... لِلنُّـــوْرِ أَجْمَـــعَ في الرِّيـــاضِ مَنَـــارُ

---

(١) في ط١ وط٢: «عدّك الأنوار».

(٢) في ط١ «أمّالها أشفارُ». وأشفار العين، واحدها شفر، مانبت عليه الشعر.

(٣) الرَّدْعُ: أثر الطِّيب والخلوق على الجـ

(٤) الفَيْنانُ: الطويل الحسن.

مُتَدَثِّــرٌ بِغَلائِــلٍ حُمْــرِ الحُلَــى ... تَنْجــابُ دُونَ جيوبــهِ الأَزْرارُ[1]

طِيبٌ لأَنْفـاسِ النّفـوسِ ومَنْظَــرٌ ... لِلْعَيْــنِ إلاّ أَنَّــهُ غَـــرّارُ[2]

أمّا وصفه البَهارَ فهو كوصف أبي عمر القسطلّيّ له، ويُمكن أن يأخذه أو يوافِقه، وقول أبي عمر فيه[3] : [المتقارب]

غُصُـونُ الزُّمُـرُّدِ قَـدْ أَوْرَقَـتْ ... لَنَـا فِضَّـةً نَـوَّرَتْ بـالذَّهَبْ

وسيأتي في بابه مع أشكاله وأمثاله.

وأنشدني أبو بكر بنُ نصر وَصْفاً مُسْتَحسَنَاً في نواوير [عِدَّةٍ] وأزاهير [جملة] موصولاً بمدح ذي الوزارتين القاضي ـ أيّد الله يده، وحصدّ من حسده ـ وهو من جملة قصيدٍ مُطوّل: [الطويل]

وَقَـدْ رَاقَـني مِـنْ يَـانِعِ النَّـوْرِ فـاقِعٌ ... وَقَانٍ وأَحْـوَى حـالِكُ اللَّـونِ أَسـودُهُ[4]

غَلائِـلُ خِـيريٍّ وأَقْبَـاءُ سَوْسَـنٍ ... وَقُمْصَـانُ نِسـرينٍ يَـرُوقُ تَوقّـدُهُ

وَكَـمْ سَـبِطٍ للنَّـوْرِ يَسْـطَعُ نَـورُهُ ... تَمُـرُّ بـهِ ريـحُ الصَّبـا فَتُجَعِّـدُهُ[5]

إذا الأُقْحُـوانُ الغَـضُّ أَبْـدَى تَبَسُّـماً ... تَبَـدَّى مِـنَ الـوَرْدِ النَّضِـيرِ تَـوَرُّدُهْ

وَيُزْهـى الشّـقيقُ العُصْفُـرِيُّ بلونِـهِ ... إذا فـاقِعُ الحَـوْذَانِ جَـادَ تَولُّـدُهُ[6]

وَمَـا الخُـرَّمُ الكُحْلِـيُّ إلاّ كأنَّـهُ ... مِنَ الحُسْنِ طَرْفٌ جَالَ في الجَفْنِ إِثْمِدُهُ[7]

ومِـنْ نَرْجِـسٍ نَضِـرٍ يَروقُـكَ دُرُّهُ ... وَيَاقوتُـهُ السَّـامي بـهِ وزَبَرْجَـدُهُ [٧١/ب]

---

(١) في الأصل: «خيوله الأوزار» وهو تحريف.

(٢) في ط١ وط٢: «غدَّار».

(٣) لم أجده في المطبوع من ديوانه.

(٤) الأحوى من الحُوّة: سواد إلى الخضرة.

(٥) سبط: نقيض جعد.

(٦) الحَوْذانُ: نبات مثل الهندباء ينبت ملاصقاً للأرض له زهرة صفراء.

(٧) الإثمد: حجر يتخذ منه الكحل.

وَكَـمْ لـلرَّبيعِ الطَّلْـقِ نَـوْراً مُنَـوَّراً تُنَتِّجُـهُ أَيْـدي الحَيَـا وتُوَلِّـدُهْ
كَما ولَّدَ الإفْضَالَ في حِمْـصَ والنَّدَى سليلُ ابنِ عَبَّـادِ الجَـوادُ مُحَمَّـدُهْ[1]
ليعْتَمِـد الـوُرّادُ بَحْـرَ يَمِينِـهِ فَذَلِكَ بَحْرٌ طَامِحُ المَـوْجِ مُزْبِـدُهْ[2]

قوله: «ومن نرجس» يعني البَهارَ، وصفته على ذلك دالّة، وياقوتُهُ السَّامي لو أمكنه أن يذكر لونه فيقول: المُصْفَرُّ أو نحوه لكانَ أَتَمَّ إذ ألوان اليواقيت كثيرة لكنّه اكتفى بشهرة الموصوف[3] . وهذا للشّعراء كثير.

ومن اللّباب في هذا الباب رسالةٌ كتب بها الوزير أبو حفص أحمد بن محمّد بن بُرْد إلى الوزيرأبي الوليد بن جَهْوَر وصف فيها نواوير خمسة، وغرضه تفضيل الورد بينها وتقديمه عليها بصفات كلّها حرّ الألفاظ، وتشبيهات جميعها حور الألحاظ، والرّسالة[4] :

«أمّا بعد ياسيّدي ومن أفديه بنفسي، فإنّه ذكر بعضُ أهل الأدب المتقدّمين فيه، وذوي الظَّرْف المعتنين بِمُلَحِ معانيه ؛أنّ صنوفاً من الرّياحين وأجناساً من أنوار البساتين جمعها في بعض الأزمنة خاطرٌ خطر بنفوسها، وهاجسٌ هجَسَ في ضمائرها، لم يكن لها بُدٌّ من التفاوضِ فيه والتّحاوُرِ، والتّحاكم من أجله والتّناصف، وأجمعت على أنّ ماثبت في ذلك من العهد، ونفذ من الحِلْف، ماضٍ على من غاب شخصُه، و لم يأتِ[5] منها وقته.فتخيّرتْ من البلاد أطيَبها بُقعة، وأخصبها نُجْعَة[6] ، وأظلّها شجراً، وأغضرها

---

[1] أراد بحمص: إشبيلية.
[2] بحر طامح الموج: مرتفعه. مزبد: هائج الموج.
[3] في ط١ وط٢: «بشهدة الموصوف» تحريف.
[4] الرسالة في الذخيرة ١٢٧/١/٢ باختصار، ونهاية الأرب ١٩٦/١١.
[5] في الذخيرة «لم يئن».
[6] النُّجْعَة عند العرب: المذهب في طلب الكلأ في موضعه.

زهراً، وأعطرَها نَفَس ريح، وأرقَّها دَمْع نَدًى. ثمّ أخذت مجالسها وانبرتْ على مراتبها وقام قائمها[1] فقال:

يامعشر الشّجر وعامَّة الزَّهر، إنّ اللّطيف الخبير[2] الّذي خَلق المخلوقات، وذرأ[3] البريّات باينَ بين أشكالِها وصفاتها، وباعَد بين مِنَحِها وأُعطياتها، فجعل عبداً ومَلِكاً وخلق قبيحاً وحَسَناً. فضّل على بعضٍ بعضاً[4] حتّى اعتدل بِعَدْله الكُلّ، واتّسق على لطيف[5] قدرته الجميع، وأنّ لكُلّ واحد منّا جَمالاً في [٧٢/آ] صورته، ورقّة في محاسنه، واعتدالاً في قدّه، وعَبَقاً في نَسيمهِ، ومائيةً في ديباجته قد عطفَتْ علينا الأعيَن، وثَنَتْ إلينا الأَنْفُسَ وأصبَت بنا الأكفّ، وأزهت بمحضرنا المجالس حتّى سَفَرْنا بين الأحبّة[6] ، ووصلنا أسباب القلوب، وتحمّلنا لطائف الرّسائل، وحيّينا اللهو، واحتضنّا السّرور، وأخذنا جِعالة[7] البشرى، وأكرمنا بنزل الرّفادة[8] ، وأُسنيت لنا صلة الزّيادة[9] ، وصيغ فينا القريض، وركّبت على محاسننا الأعاريض، فطمح بنا العُجْب، وازدهانا الكِبْر، وحملنا تفضيل من فضّلنا، وإيثار من آثرنا على أن نسينا الفكرة في أمرنا، والتّمهيد لعواقبنا، والتّطييب لأخبارنا، وادّعينا الفضل بأسره، والكمالَ بأجمعه، ولم نعلم أنّ فينا مَن له المزيّة علينا، ومن هو أولى بالرّياسة منّا، ومن يجب له علينا التّحرّج ومدّ اليد بالمبايعة، وإعطاء مجهود المحبّة، وبذل ذات النّفس، وهو الورد الّذي

---

(١) في الذخيرة: «فقام منها قائمها».

(٢) في الذخيرة «إن الله تعالى اللطيف..».

(٣) ذرأ: خلق.

(٤) في الذخيرة «فضل بعضاً على بعض».

(٥) في ط١ وط٢: «لطف».

(٦) في ط١ وط٢ «وحببنا».

(٧) الجِعَالةُ مثلثة الجيم : الأجر على العمل.

(٨) الرِّفادة: العطاء.

(٩) في الأصل: «الزيارة» تحريف.

إن بذلنا الإنصاف من أنفسنا، ولم نرتكض في بحر عمانا، ولم نَمِل مع نزع هوانا، دِنّا له، ودعونا إليه[1] ، واعترفنا بفضله، وقلنا برياسته، واعتقدنا إمْرَتَه، وأصفينا محبّته، فمن لقيه منّا حيّاه بالملك ووفاه حقّ الإمامة، ومن لم يدرك زمن سلطانه، ولم يأت على عدّان دولته، اعتقد ماعقد عليه، ولبّى إلى مادُعي إليه. فهو الأكرمُ حَسَبَاً، والأشرف زمناً، والأتمُّ خِصالاً، والّذي إنْ فُقِدَت عينه لم يفقد أثره، وغاب شخصه لم يغبْ عَرْفُه، والطّيبُ إليه كلّه محتاج، وهو عن كيفه مستغنٍ، وهو أحمر والحُمْرَة لون الدّم، والدّم صديق الرّوح، وصيغة الحياة، وهو كالياقوت المنضّد في أطباق الزَّبرجَد عليها فرائد العسْجد.

وأمّا الأشعار فبمحاسنهِ حَسُنت، وباعتدال جماله وُزِنَتْ، وإنّنا مانعتقد إلهامنا إلى هذه المَحْمدة، واستنظافنا من دَنَس تلك المَذَمَّة إلاّ من أجل النِّعَم المقسومة لنا [٧٢/ب] والأيادي المتّصلة بنا.

وكان ممّن حضر هذا المجلس، وشهد هذا المشهد من مشاهير الأزهار، ورؤساء الأنوار النّرجس الأصفر، والبنَفْسَج والبَهار والخِيريّ النّمام.

فقال النّرجس الأصفر: والّذي مهّد لي حِجْر الثرى، وأرضعني ثَدْي الحيا، لقد جئت بها أوْضَحَ من لَبّة الصّبّاح، وأسطع من لسان المصباح، ولقد كُنْتُ أُسِرُّ من التّعبد له، والشَّغفِ به، والأسفِ على تعاقب الموت، والرّجعة دون لقائهِ ماأنْحَل جسمي، ومَكَّنَ سُقمي، وإذْ قد أمكن البَوْحُ بالشّكوى فقد خفّ ثِقَل البلْوى. ثمّ قام البنَفْسج فقال: «عَلَى الخَبيرِ سَقَطْتَ»[2] أنا واللهِ المُتَعبِّد له، الدّاعي إليه، المشغوف بهِ كَلَفاً، المغضوض بيد النأي عنه أسفاً، وكفى مابوجهي من نَدَب وبجسمي من عدم نهوض، ولكن في التّأسّي بك أُنسٌ، وفي الاستواء معك وِجْدانُ سُلوٍّ.

---

(١) في ط١ وط٢ «دعونا له».

(٢) هو مثل في أمثال أبي عبيد ٢٠٦، ومجمع الأمثال للميداني ٢/٢٤ والخبير: العالم، وسقطت: عثرت.

ثمّ قام البهارُ فقال[1] : [الخفيف]

ثُـمَّ قـالُوا: تُحِبُّهــا؟ قُلْــتُ: بَهْــرَاً عَــدَدَ النَّجْــمِ والحَصَــى والــتُّرابِ

لاتَنْظُرَنّ إلى غَضَارةِ مَنْبتي، ونضارَةِ وَرَقي، وانظر إليَّ وقد صـرتُ حدقـةً باهتـةً تشير إليهِ، وعَيْناً شاخصة تندى بُكاءً عليه[2] : [الوافر]

ولَــولا كَــثْرَةُ البَــاكينَ حَــوْلي علــى إخْوانِهِــمْ لقَتَلْــتُ نَفْســي

ثمَّ قام الخِيريُّ النّمَام فقال: والّذي أعْطاه الفَضْلَ دوني، ومَـدَّ لـه بالبيعـة يميـني، مااجترأتُ قَطُّ إجلالاً لهُ، واستحياءً منه. على أنْ أتنفّسَ نهاراً، أو أُساعدَ في لذّةٍ صديقاً أو جارا. فلذلك جعلت اللّيل ستراً، واتّخذتُ جوانِحَهُ كِنّاً[3] .

فلمّا رأت استواء آرائِها على التّفضيـل لـه، واعتـدال مذاهبهـا في الدُّعـاء إليـه قالت: إنَّ لنا أصحاباً، وأشكالاً وأتراباً[4] ، لانلتقي بها في زمن، ولانُجاورها في وَطَن، فَهَلُمَّ فلَنَكْتبْ بذلكَ كتاباً، ولنعقد به حِلفاً، ولنَضَع من شهادتنا مايُحتمل في الأقـاصي والأداني عليه.

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٤٣١.

(٢) البيت للخنساء في ديوانها ٥٠.

(٣) الكِنُّ: البيت.

(٤) أتراب: واحدها تِرْبٌ: المماثل في السنّ.

نُسخة الكتاب

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

هذا ماتحالفت عليه أصنافُ الشّجَر، وضروب الزَّهَر، وَسْمِيُّها[١] وشَتَوِيُّها، وربيعيُّها وقَيْظيُّها، حيث مانَجمَت[٢] من تَلْعَةٍ[٣] [٧٣/آ] أو ربوةٍ، وتفتّحَتْ من قرارةٍ[٤] أو حديقة، عندما راجعتْ من بصائرِها، وأُلْهِمَت من رشادِها[٥] ، واعترفَتْ بما سلف من هفواتها، وأعطت للوردِ قيادَها، وملّكَتْهُ أَمْرَها، وأخلصَت له محبَّتَها، وعرفت[٦] أنّه أميرُها المقدّم بخصاله[٧] فيها، والمؤمَّر بسوابقهِ[٨] عليها، واعتقدَتْ له السّمْعَ والطّاعة، والتزمت لهُ الرِّقَّ والعُبوديّة، وبَرِئت من كُلِّ نَوْر[٩] نازعتُه نفسُهُ المباهاة له، والانتزاء[١٠] عليه في كُلِّ وَطَن، ومع كُلِّ زَمَن، فأيّة[١١] زهرة قصّ[١٢] عليها لسانُ الأيّام هذا الحِلْف، فلتعرِفْ أنّ رشادَها[١٣] فيه، وقِوامَ أمرها به، ولتحمد الله كثيراً على ماهداها إليه، واستنقذها من الضّلال بتَبْصرتهِ، ولْتُشهدْهُ على اعتقادها، والله شاهد على الجميع.

---

(١) وسميُّها: أي التي نبتت على الوسميّ وهو مطر الربيع الأول.

(٢) في الأصل: «تجمعت» وهو تحريف.

(٣) في الذخيرة: «وهاد». والتّلعة: ماارتفع من أرض.

(٤) القرارة: مااطمأن من الأرض يندفع إليه السَّيل.

(٥) في الذخيرة: «من مراشدها».

(٦) في ط١ وط٢: «وعرفنا».

(٧) في الذخيرة: «لخصاله».

(٨) في الذخيرة: «لسوابقه».

(٩) في الذخيرة: «زهر».

(١٠) الانتزاء: التوثب والتسرع والسوران، من النّزوّ. يريد الوثوب على الورد لمنازعته في الإمارة.

(١١) في الذخيرة: «فإنه».

(١٢) في الذخيرة: «قضى».

(١٣) في الذخيرة: «إرشادها».

شهادة النّرجس: [الرمل]

شَـــهِدَ الـــنَّرْجِسُ واللهُ يَـــرَى ... صِحَّـــةَ النِّيَّـــاتِ مِنْهـــا والمَـــرَضْ

أنَّ للــــوَرْدِ عَلَيْــــهِ بَيْعَــــةً ... أُكِّـــدَتْ عَقْـــداً فَمَـــا إنْ تَنْتَقِـــضْ

شَهادَة البَنَفْسج: [مجزوء من الكامل]

شَـــــهِدَ البَنفْسِـــــجُ أنَّـــــهُ ... لِلْـــــوَرْدِ عَبْـــــدُ تَمَلُّـــــكِ

يَسْـــــعَى بِقَلْـــــبٍ نَـــــاصِحٍ ... في حُبِّـــــــهِ مُسْـــــــتَهْلِكِ

شَهَادَةُ البَهَار: [الكامل]

شَـــهِدَ البَهَـــارُ وذو الجَلاَلَـــةِ عـــالِمٌ ... بِصَحِيـــحِ مَـــايُبْدي ومَايُخْفِيـــهِ

أنَّ الإمّـــارةَ في الأزَاهِـــرِ كُلِّهَـــا ... لِلْـــوَرْدِ لايُؤتَـــى لَـــهُ بشَـــبيهِ

شهادة الخِيريّ النّمّام: [الرّمل]

شَـــهِدَ الخِـــيريُّ بَـــرّاً صَادِقـــاً ... قَوْلَـــةً أبْعَـــدَ عَنْهَـــا الـــدَّرَكْ

أنَّ أزْهـــارَ الـــثّرى أجْمَعَهـــا ... أعْبُـــدٌ والـــوَرْدُ فيهـــا مَلِـــكْ

هذا ياسيّدي[1] ماانتهى في المعنى إليّ، ففضْلُكَ في تصفّحه، والتّجاوز عمّا وقع من زَلَلٍ في نَقْلِه، فأنتَ السّابق الّذي نجري في غُباره، ونهتدي بمَناره، ولولا علمي بموقع هذه المُلَح منك لم أُجَشِّمْكَ مؤونة النّظر فيما كتبتُ منها لك إن شاء الله.

قال أبو الوليد إسماعيل بن محمّد بن عامر: ولي رسالة [٧٣/ب] أردفتُها على هذه مشتملةٌ على وصف سبعة أنوار على ماانتهت إليه غايةُ اختياري وغرضي في الرَّدِّ بتفضيل البَهار على الوَرْد خاطبْتُ بها ذا الوزارتين القاضي سيف الحقّ الماضي ــ كبتَ الله أعداءَه، وأدام عليهم إعداءَهُ ـ وهي[2] :

(١) في ط١ وط٢: «هذا سيدي».

(٢) الرسالة باختصار في الذخيرة ٢/١ /١٣٠ ـ ١٣١.

«يامولاي الّذي رِقُّهُ لي شرف، وجودُهُ عليَّ سَرَف، ومن أبقاه الله لرفع شأنِ وَدود، وَوَضْعِ شأنِ حَسُود.

كانَ من اجتماع بعض النّواوير، واتّفاق طائفة من الأزاهير على تقديم الورد عليها، وتفضيله بينها، وتخيّره للخلافة منها ماقد وقَفْتَ عليه ونَظَرْتَ إليه مما عُني بجمعه وانفرد لذكره أبو حفص بن بُرْد الوزير الكاتب، وسراجُ الأدب الثّاقب. وكانت النّواوير المتّفقة عليه، والدّاعية حينئذٍ إليه: البَنَفسج والخِيريّ النَّمَّام والبَهار، والنّرجس الأصفر[1]، وكتبت كتاباً إلى صنوف الأنوار، وضروب الأزهار، تأمرُها بالوقوف عند ماوقفت، والاتّفاق على مااتّفقت.

فأوّلُ من رأى الكتاب، وعاين الخطاب، نواويرُ فصل الرّبيع التي هي جيرة[2] الورد في الوطن، وصحابتُهُ في الزّمن، فلمّا قرأته أكبرَتْ مافيه، وبنت على هَدْم مبانيه، وبعض[3] معانيه، وعرّفت الورد بما عليه فيما نُسبَ إليه من استحقاقه مالايستحقّه واستئهاله[4] مالايستأهله، وقالت له: «من مَدَح أمرأً بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه»[5] وبيَّنت ذلك له بياناً رأى الرُّشْدَ فيه عِياناً، وأجمعت على مجاوبة مُكاتبيها، ومراجعة مخاطبيها بما بدا لها من سوء تدبيرها، وضعف رأيها، ثمَّ رأتْ[6] أنّ مخاطبة من أخطأ تلك الخطيّة، وأدنى من نفسه تلك الدّنيّة، تدبيرٌ دبَريٌّ[7]، والتّخلّي عنه رأيٌ غير مُرْضيّ. فكتبت إلى الأقحوان والخِيريّ الأصفر إذ هما يجاوران تلك في أوطانها ويصاحبانها في أزمانها.

---

(١) «والنّرجس الأصفر» ساقطة من ط٢، وسقطت كلمة «الأصفر» من ط١.

(٢) في ط١ وط٢: «خيرة».

(٣) في الذخيرة: «ونقض».

(٤) في ط١ وط٢: واستبها له.

(٥) لم أجد هذا القول فيما رجعت إليه من مصادر.

(٦) في الذخيرة: «ورأت».

(٧) الدَّبريّ: رأي يسنح أخيراً بعد فوت الحاجة.

ونسخة الكتاب

من نواوير فصل الرَّبيع الأزهر إلى الأُقحوان والخِيريّ الأصفر:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وَصَلَت إلينا بيعة اشترى بها من سعى فيها، وفغر[1] [٧٤/آ] عن فِيها، ﴿خَسِرَ الدُّنيا والآخِرَةَ، ذَلك هو الخُسْرانُ المُبينُ﴾[2] ولو استحقَّ الوَرْدُ إمَامَةً، أو استوجب خلافة، لبادر بها آباؤنا، ولعَقَدها أوائلُنا الّتي لم تزل تجاوره في مكانه، وتجيء معه في أوانه.

وأمّا من عقد تلك البيعة، وكتب تلك الصَّحيفة فلم ير له قطُّ صورة [ولاتلا من ذمّه سورة]، فإذا قد جهلَت قدره، و لم تعلم أمره، هلاّ شاورت مَصاحبيه واستخبرت[3] مختبريه حتّى تقف على حقيقة خُبْره[4] ، وتعلم جليّة خيره، فبأيّ شيء أوجَبَتْ تقديمه، ورأت تأهيله لما غيره أشْكل له، وأحقُّ به، وهو نور البَهار البادي فضلُه بُدُوَّ النّهار، والذي لم يزل عند علماء الشُّعراء، وحكماء البُلَغاء، مُشَبَّهاً بالعيون الّتي لايحولُ نظرُها، ولايحورُ حَوَرُها، وأفضل تشبيهٍ للورد الخَدّ عند من تشيّع فيه، وعُني به، وأشرف الحواس العينُ، إذ هي على كُلّ مُتَوَّلٍ[5] عونٌ، وليس الخدّ حاسَّةً، فكيف تَبْلُغُهُ رياسة؟[6] : [الكامل]

أَيْنَ الخُدُودُ مِنَ العُيُونِ نَفَاسَةً ... وَرِيَاسَةً لولا القِياسُ الفاسِدُ؟[7]

---

(١) فغر فاهُ: فتحه.

(٢) سورة الحج ١١.

(٣) في الأصل: «واختبرت».

(٤) في الذخيرة: «وأفضل تشبيه الورد بنضرة الخدّ».

(٥) في الذخيرة: «متولّ عين».

(٦) البيت لابن الرومي في ديوانه ٦٤٤/٢.

(٧) رواية الديوان:

أين العيونُ من الخدودِ نفاسةً ... ورياسةً لولا القياسُ الفاسِدُ

ورواية ط١ وط٢: «رياسةً... ونفاسة».

وأصحُّ تشبيهٍ للوَرْد وأقْرَبُه من الحقّ قول الحكيم ابن الرّومي في شعره الطّائي[1].

لقد وافق ووفّق وشبَّه وحقّق، فقفا[2] ـ وَفّقكما الله ولا أخلاكما من هـداه ــ بـالنّواوير المخاطبة لنا، المُسْخِنَة لأَعْيننا، واعْرِضا عليها مَطْلَبَنا، وَبيِّنَا لها مَذْهَبَنا، وأَنِّبا البَهار مُفْـرداً تأنيباً يُقيمهُ ويُقعدُه، ويُقصِدُهُ فَيُقْصدُه، علـى مشـاركته علـى نفسـه وسـعايته في إبطـال حقّه، فلولا استجابتُهُ لها، وكوْنه معها، ماتحصّن لتلك مُرَادٌ، ولاتحسّنَ لها مَـرادٌ، وحَيِّـاه عنّا بالسَّلام الأثير بعد الملام الكثير، وواللهِ العظيـم حَقّـه الواسِـع رِزْقُـهُ، لـو جاورنـاه في وَطَنٍ، أو صَحِبْناه في زمـن، لبَايعنـاه منـذ مُـدّة مبايعـة العبيـد، ونفديـه[3] لفضلـه علينـا بالطّريف والتّليد، وراجعَانا[4] بعد هذا بالمذهب التي تبني عليه، وتجري إليه، فإن وافقت لم يشذَّ عنّا من النّواويـر[5] إلاّ مـن لم تَشْـهُر عينُـه، ولايُعَـدُّ فينـا صيتُـه وأَيْنُـه[6] مـع أن جماعتَنَا [٧٤/ب] تعلـم فضـل ماصنعنـاه، وتـوالي مـن ولّينـاه، وإنْ خـالفت لم تسـتضرّ مخالفتها و لم نضطر إلى محالفتهـا، فنحـن جُـلّ النّواويـر، وعمـدة الأزاهـير، نعقـد للبَهـار ونقدّمه على جميع الأنوار.

فوصل كتابُها إليهما، وورد خطابها عليهما وعندهما البَنَفسج والخِيريّ النّمـام، والنّرجس مشاورة لهما، ومستمدّة بآرائهما في الخروج عمّا دخلت فيـه، والتخلّـص ممّـا

---

(١) أراد المؤلف بشعر ابن الرومي الطائي أبياته الطائية في هجاء الورد في ديوانه ١٤٥٢/٤ وهي:

وقـائلٍ لم هجــوتَ الـوردَ معتمـداً	فقلتُ من قبحه عنـدي ومـن سـخطهْ
يامـادحَ الـوردِ لاينفـكُّ عـن غلطِـهْ	ألســتَ تبصُـرهُ في كـــفِّ مُلْتَقِطِـهْ
كأنّـهُ سُـرْمُ بَغْـلٍ حـين يخرجـهُ	عند الرِّياثِ وباقي الرَّوثِ في وَسَطهْ

(٢) في ط١: «فقنا» وفي ٢: «فقيانا».

(٣) في ط١: «وتفديه».

(٤) في الأصل: «واصفاً» تحريف.

(٥) في الأصل: «بالنواوير».

(٦) الأينُ: التّعب.

اكتسبَتْ به سوء الأثر. وقبيح الخبر من تقديم الورد على البهار على أنّه ملـك الأنـوار. والخيريّ الأصفر والأقحوان يكثران تأنيبَها[1]، ويسـفّهان أراءَهـا، ويجـدّدان الشُّكر لله على استنقاذهما ممّا ورّطها فيه، وتأخيرها عمّا ألحقها به.

فلمّا وصل كتاب النّواوير الربيعيّة وهي مُتّصلة من تلك الخطيئة وقع منها مواقِعَ الماء من ذي الغُلّة[2] الصّادي[3]، وقالت: الآن يُصْقَل مـن أذهاننـا الصّـادي[4]. وأعـاد الخيريّ الأصفرُ والأُقحوانُ التّأنيبَ لها والتّعديد عليها فقالت:

لاتُكثرا لومَنا، ولاتطيلا تأنيبنا[5]، فلو لم تكن لنا سقطة، ولانُسبت إلينـا غلطـة، لخرجنا عن الأمر المعلوم والحدّ المعروف، فلابدّ للكُلِّ من تدبير دَبَريّ ورأي غير مرضيّ، وقد قيل: «اللّبيبُ مَـن عُـدَّتْ سـقطاته، والأريـبُ مـن حُصّلـت هفواتـه»[6]. وإذْ قـد استيقظنا من نَوْمَة الجَهْل، فأغمِدْ عنّا سيف العَذْل، ووالله إنّنا لأحقّاء بالتّـأنيب، أحريـاء بالتّثريب[7]، إذ عجلنا عظيمةً لم نُنْعم النَّظـر فيهـا، وأنفذنـا[8] كـبيرة لم نعـانِ عويـصَ معانيها، وقديماً حُمِدَ التَّأنّي وذُمَّتِ العَجَلَةُ. ومن أمثالهم: «رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَـبُ رَيْثـاً»[9].

ورحم الله القائل[10]: [البسيط]

---

(١) في ط١: «تأنيبهما».

(٢) الغلّة: شدة العطش.

(٣) الصّادي: العطشان.

(٤) أراد بالصّادي: الذي أصابه الصَّدأ.

(٥) في ط١: «تأنيبها» وهو تحريف.

(٦) لم أقف عليه فيما رجعت إليه من مصادر.

(٧) التّثريب: التّقبيح والتعيير.

(٨) في الأصل: «وأنفدنا» بالدال المهملة.

(٩) في ط١ وط٢: «تبعث ريثاً». والمثل في الميداني ١/٢٩٤ ـــ وأمثال أبي عبيد ٢٣٢، وفصل المقال ٣٣٥.

(١٠) هو عجز بيت للقطامي في (ديوانه ٢٥). وصدره: قد يدرك المتأنيّ بعض حاجته. وهـو مـن الأبيات السّوائر.

وَقَـدْ يكـوُنُ مـع الْمُسْتَعْجِـلِ الزَّلَـلُ

لكنّنا نصفع قَفا الحَوْبَة[1] بيدِ التَّوْبَة، ونجلو دُجَا الاقْتِراف بصُبْح الاعتراف.

فَسُرَّ الخِيريُّ والأُقحوان بما بدا منها من الإقرار بذنوبها، والاعتذار من خَطاياهـا وبَنَتْ معاً على مجاوبة الأنـوار الرّبيعيّـة بإنفـاذِ مارَغِبَتْـهُ وإكمـال ماابتدأتـه. [٧٥/آ] ثـمّ خرجت بأسْرِها إلى البَهار معتذرة إليه، متنصّلة ممّا جَنَتْهُ عليه، وسألَتْه العَفْو عن ذنوبها، والإمساك عن تأنيبها، والطاعةَ لها بالتّقدُّم عليها، والتّملّك لجميعها.

فأجابها إلى رغبتها، وأطْلَبَها في طَلِبَتِها، وأنشدها قول بن المعتّز[2] :[الخفيف]

دِيَّـةُ الـذَّنْبِ عِنْـدَنا الاعْتِـذارُ

ثمّ قرأ عليه الأُقحوانُ والخِيريُّ الأصفـر كتـاب النّواويـر الرَّبيعيّـة إليهمـا، فلمـا وصلا إلى الفصل الذي سألوهما فيه التّعديد عليه والتّانيب له قال:

واللهِ مـادَخَلْتُ معهـم فيمـا أحدثـوه، ولاتـابَعتُهمْ علـى مـاصنعوه إلاّ حيـاءً مـن تعريفهم بما لايجهله الجاهلون، ولايغلَط فيه الغالطون، وليس من تَرَك حقّـه ملومـاً، إنّمـا الملوم من تَسوّر علـى غـير حقّـه، وادّعـى سـوى واجبـه، ولـولا بُـدوّ ذلـك لجميعكـم، وظهوره إلى رفيعكم ووضيعِكمْ، ورغبتي في استنقاذكم من رقّ الضّلالـة، وفَكّكـمْ مـن رَبْقِ الجهالة، ماأطعتُ فيما رغبتموه، ولاصَبَرتُ لما أردتموه، ولاعرّفْتكـم مـن فَضْلـي بمـا سَكَتّ أوّلاً عليه، ولاندبتُكُمْ من حقّي إلى ما لم أَنْدبْكُم قبلُ إليه. فقالت:

مِثْلُكَ انقادَ إلى رغبَةِ مُؤَمّليه، وأيّدَ سالِفَ أياديه، وغَفَر ذنوب عشـيرته، وصَفَـح عن جِيرتهِ، وجرى على أخلاقِ الملوكِ في الصّفح عن المملوك.

وجاوب الأُقحوانُ والخِيريُّ الأَصْفر نواوير الرّبيـع الأزهـر، بمـا نَفَـذ مـن حسـن القَدَر ونسخة كتابهما:

---

(١) الحوبة: الإثم.

(٢) لم أقف على هذا الشَّطر في المطبوع من ديوان ابن المعتز. وهو عجز بيـت للإمـام الشـافعي في ديوانه ٤٩ وصدره:

قلتُ قد جاءني وأحدثَ عذراً

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

وصل إلينا كتابُكُمْ، وورَد علينا خِطابُكم تُبيّنون فيه ضُعْـف مَـيْز مُقدِّمـي الـوَرْد ومبايعيه، وسوء رأي مُوَلّيه ومؤمّليه، وتلك قصّة غـابت عَنّـا، وبَعُـدَت بفضـل الله منّـا، وقد ظهر ضُعْفُها إلى من تولّى، وتبيّن سُـخفها لمـن وَلّـى، وإذ وَقَّفْتموهـا[1] فوافقتمونـا فهي النّعمةُ الجزيلة، والمنّة الجليلة، ونحن على مبايعة البهار، والكتاب إلى جميـع الأنـوار. وسيصل إليكم ويَرِدُ عليكم.

فلما نفذ هذا الكتاب إلى النّواوير الرَّبيعيّة بتمام القضيّة المرضيّة قالت للبَهار: مِن تمام [٧٥/ب] كَرَمِكَ، وكَمَال نِعَمِكَ إباحةُ العَقْدِ لـك بالاتّفـاق[2] عليـك، وإنفاذه إلى صنوف الأنوار وضروب الأزهار.

فأباح لها ذلك، وكَتَبَتْ بين يديه هنالِك:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

هذا كتابُ مُبَكِّري الأنوار، وسابقي الأزهار إلى من غـاب عنهـا بشَـخْصه، ولم يَحْضُرها بنفسه.

أما بعد:

فإنّا نَحْمَدُ إليكم الله الّذي لاإلـه إلا هـو مستنقذنا مـن الفَعْلَـة القبيحـة والدَّنيّـة الصَّريحة الّتي نفذ بها كتابُنا إليكم، وورد بإكمالها خطابنا عليكم، وتلك غلطـة ظهـرت لكم، وسقطة لم تغب عنكم، ولعمر الحقّ الّذي إليه نرجـعُ، وبـه في أمرنـا نقطـع، لقـد ظهر إلينا فساد ماخُصِصْنَا عليه، وقُبْحُ مانُدِبْنا إليه، بعد إنفاذه وإكماله، والتّدبّـر لجميـع

---

(١) في الأصل: «وقفتمونا» تحريف.

(٢) في الأصل: (بالإنعام) وهو تحريف.

أحواله، و لم نسقُط إلاّ بتعجيـل التدّبـير، ولاخـير في الـرّأي الفطـير[1] ، وإذْ قـد اجتمـع الرّأي من سَرَاتِكُمْ ومِنّا، وصدر الاتّفاق عن كُبرائِكُمْ وعنّا، فهي النّعمة الّتي بها تنتظـمُ أمورُنا، ويُراعى أميرُنا، وقد بايعنا البَهارَ الباهِرَ جمالُهُ، والظّاهِرَ كمالُه على مارضيتُمْ بـه، ورغبتم فيه، وقد وضعنا شهاداتنا[2] على صدقٍ من نيّاتنا.

وكان كاتب الصّحيفة البنفسج، فقيل له: ابْدأ شهادَتَكَ

شهادة البنفسج

النّثْرُ: واللهِ ماأَضْعَف أَمَلي، وضاعف عِلَلي، وأوهـن مـني[3] السُّـوق، وقلّلـني في كُلّ سوق، إلاّ الدُّخول في تلك الوحول، والبعد عن الخُلق الكريم، والصِّراط المسـتقيم، في تأخير هذا المَلِكَ العظيم، الّذي بتقديمه الآن أرجو أن دائي قد لان:

والنَّظْمُ لَهُ: [الكامل]

أَمَّـا البَنَفْسَـجُ فَهْـوَ يَشْـهَدُ أنَّـهُ ... مُتَذَمِّـمٌ مِمَّـا جَنَـى مُتَنَصِّـلُ[4]

مُتَـبَرِئٌ مِـنْ بَيْعـةِ الـوَرْدِ الّـتي ... لم يَـبْرَ مِنْهـا دَاؤُهُ المُتَـأَصِّلُ

مُتَبَيِّـنٌ فَضْـلَ البَهـارُ وَعـالِمٌ ... أَنَّ البَهـارَ هـو المَليـكُ الأفضَـلُ[5]

شهادة النَرجس

النّثْرُ: تبّاً لتلكَ الفَعْلة الدَّميمة[6] ، والقضيّة الذّميمة الّتي جَلْبَبَتْني جلباب السَّـقَم، وسَرْبَلَتني سِرْبال الهَرَم، ولولا بِدَاري[7] إلى نَسْخِها [٧٦/آ] وتَحيُّلي في فَسْخِها، لَذَهَبَ نَفسيَ الأَرِجُ الّذي بهِ أبْتَهِجُ.

(١) الرَّأيُ الفَطيرُ: هو الّذي أعجلته عن إدراكه، ويقال: شرُّ الرَّأي الفطير، وإيّاك والرَّأي الفطير.

(٢) في ط١ وط٢: «شهادتنا».

(٣) في ط١ وط٢: «سوقي منّي».

(٤) متذمّم: ملوم.

(٥) في ط١ وط٢: «الأفصل» بالصاد المهملة، تصحيف.

(٦) الدّميمة: القبيحة.

(٧) بداري: إسراعي.

والنّظمُ له: [الرمل]

أَشْهَدَ النَّرْجسُ إشْهادَ مُحِقّ … أَنَّ بَدْرَ الوَرْدِ في المُلْكِ مُحِقْ[1]

وَرَأى أَنَّ البَهَارَ المُجْتَلَى … في سَمَاءِ الحُسْنِ بالمُلْكِ أَحَقْ

فَمَتَى كُذِّبَ قَوْلٌ أَبَداً … قِيلَ في قَوْلَتِهِ هَذِي صَدْق

شهادة الخِيريّ

النَّثْرُ: واللهِ ماأَرَّق بَصَري، وأَرَقّ بَشَري[2] ، [وأغاضَ نهاراً ماءَ بِشْري][3] ، وأغْمَدَ فيه سِيْفَ نَشْري، إلاّ معصية الحقّ في تلك القضيّة، وطاعة الهوى في تلك الخطيّة، فالحمد لله الذي أحال الحالةَ الموبقةَ لي لامحالة.

والنّظْمُ له أيضاً: [الرمل]

أشْهَدَ الخِيريُّ أن الخَيْرَ في … نَقْضِ مَاأَخْطَأ فيهِ أوَّلاَ

مُوْقِناً أنَّ البَهارَ المُرْتَضَى … بَهَرَ الأمْلاكَ حَالاً وَحُلَى

فهو الموقِظُ أَنْوارَ الرُّبَا … مِنْ سِنَاتٍ سَنَّها فيها البِلَى[4]

شهادة الأقحوان

النّثْرُ: إن رُمْتُ أداء شُكْر الله على فضْله المتناهي في استنقاذِه لي من تلك القبيحة، والدّنيّة الصّريحة لم أؤدِّ الفَرضَ، ولااستطعتُ القرض، فالإقرار بالعجز نهاية،والاعتراف بالقصور غاية، فاستثنائي هناك، وسكوني إذ ذاك أنْبَتا ورقي وَرِقَا[5]، وجَعَلا فَلَقي فَلَقا[6] .

---

(١) مُحِق الأولى: «مُحِقّ» من الحقّ. ومُحِقْ الثانية بمعنى: ذهب خيره وبركته.

(٢) البَشرَ: جمع بَشَرة: وهو ظاهر الجلد.

(٣) البِشْر: الطلاقة.

(٤) سِنات، واحدها سِنَةٌ: النُّعاس، وأوّل النّوم.

(٥) الوَرِقُ: الكثير.

(٦) الفلق: الصّبح.

نظمُهُ: [المنسرح]

أَشْهَدَ الأُقحوانُ أنَّ جنَاهُ   كافِرٌ بالّذي سِواهُ جَنَاهُ

قَائلٌ قولَ مَنْ تَبَرَّأَ قِدْمَاً   مِنَ هَوَى مَن قَضَى عَلَيْهِ هَواهُ

إنَّ نَوْرَ الرُّبَا عبيدٌ وكُلٌّ   للبَهارِ البهيّ يقضي وَلاَهُ

شهادة الخِيريّ الأصفر

النّثر: الحمد لله الذي عصمني من تلك الدَّنيّة، و لم يُخَيِّبْني عن هذه النّيّة، وبها بَقيتْ غضارتي[1]، وتأكّدَت نَضارتي، ووُهِبَ لي الذّهبُ الإبريزُ مَلْبَسا، والمِسْكَ النّفيسُ نَفَسا.

النّظمُ لهُ: [الرّمل]

أَصْفَرُ الخِيريِّ يَشهَدْ   أَنَّ عَقْدَ الوَرْدِ قَدْ رُدْ [٧٦/ب]

وَيَرى أنَّ البَهَارَ الْـ   مُنْتَقَى أعْلَى وَأَمْجَدْ

مَلِكٌ يَقْظانُ يَأْتي   وَصُنُوفُ النَّوْرِ هُجَّدْ[2]

هذا ياموِلاي ماستطعْتُ عليه، وانتهَتْ مَقْدُرتي إليه، فإن وافقك فَبِفَضْلِكَ المشهور، أو كانت الأخرى فبالباعِ[3] المَنْزور[4]. ولك المَنُّ على الوجهين، والطَّوْلُ في الحالتين. أبقاك الله لأحوالنا تُصلِحها، ولآمالِنا تُنْجِحُها، وصنعَ لكَ، وبلّغك أمَلَكْ.

ولأبي جعفر بن الأبّار في عدّة من الأنوار أوصاف ساطعةُ الأنوار في رسالة كتب بها إلى صاحب الشّرطة أبي الوليد بن العُثمانيّ، وكان سبَبُها أنّي خرجْتُ مُتنزّهاً في فصل الرّبيع لأُشرفَ على منظرِهِ البديع، وكان أبو جعفر بن الأبّار في جملة من صَحِبَني، وخاصَّةِ مَن تَبِعَني، وتخلّف أبو الوليد لِعُذرٍ لحقه أوجب تخلّفه.

---

(١) الغَضَارةُ: النَعَمة والسَّعة في العيش.

(٢) هُجَّد: نيام.

(٣) الباعُ: السَّعة في المكارم.

(٤) النَّزر: الإلحاح في السُّؤال.

فلمّا انصرَفْنا سأل أبا جعفروَصْف نَزاهتنا، وَذِكْرَ راحتنا، وإيراد ماطّلعنـا عليـه، ونَظَرْنا إليه، ممّا تأسّف على البُعدِ منه، والانتزاحِ عنه.

فكتبَ إليه بهذه الرّسالة وفيها فنون الرّقّة والجَزَالَةِ[1]، ووصلها بمدح الحاجب ـ وصل الله حرمته وأدام عزّته ـ وهي بعد صدرها:

«كتبْتَ تسألني ـ لاخاب سائلُكَ ولاحُرِمَ آمِلُكَ ـ كيف كـان تَنَزُّهُنـا وتوجُّهُنـا مع أبي الوليد شاكرِ خُلّتِكَ، وحامد صُحْبَتِكَ. أراد ـ أبقاه الله ووقاه ـ التّـنزُّهَ إلى بعـض ضِياعـهِ في فَصْـل الرَّبيـع عندمـا أشـفق مـن انصرامِـهِ وضَياعِـه، وكنــتُ في جملــة مــن اصطحَبَ، لافي صفوة من انتخَب. فـأمكنتْ مـن السّير غُرّتُـه، والصُّبـح قـد شـدخَتْ غُرّتُهُ[2]، وَجَبينُ الجَوِّ طَلْق، وغَلائـلَ السَّـماء زُرْق، وحـاجب الشَّـمس متطلّـع، وجيـدُ الأُنْس مُتَتَلِّع، وريق العيش خَصِر[3]، وبُرْدُ الأرض خَضِر، قد فُوِّفَ[4] من الزّهـر، بمثـل الأَنْجُمِ الزُّهر، والرّياضُ راضيَةٌ من الحَيا مُتَبرّجةٌ بعـد الحَيـاء، أهـدت لهـا المُـزنُ دَرَرَهـا، فأبدت يواقيتَها ودُرَرَها، وخشيت بـالكَتم عُقوقَهـا، فاستنفدت زُمُرُّدَهـا وعقيقهـا. إن حيّتْـكَ بالشّـقائق (٧٧/آ) فكـاللّداتِ[5] الشّـقائق، مُغلّفـات العصـائب، مُنشّـرات الذّوائب[6]. أو بالنّرجس والورد فكالعيون النّواظر إلى الخدود النّواضر، بـل ذاك صُبْـحٌ مُشتمل على شمس أصيل، وهذا خجل مستَوْلٍ على خدٍّ أسيل، أو سَفَرَت عن البَنفسـج الأنيق، فَكَلابِسٍ ثوبَ المِسْك الفتيق[7]، وكأنّما كسته لَعَسَها[8] الشّفاهُ، فإذا تنسّمَهُ أو

---

(١) في ط١: «والجذالة».

(٢) شدخت الغرّة: انتشرت.

(٣) في ط١ وط٢: «خَضِر». وخَصِر: بارد.

(٤) فُوِّف: زُيِّنَ، ونُقشَ.

(٥) اللّداتُ، واحدها: اللِّدَةُ: الذي وُلد معك في وقت واحد.

(٦) الذّوائب، واحدها ذؤابة: النّاصية.

(٧) فَتْقُ المِسْكِ بغيره: استخراج رائحته بشيء ندخله عليه.

(٨) اللّعس: سواد اللثة والشفة.

توسَّمَهُ المحزونُ شَفاه، قد شَرِقتْ بالطَّلِّ مُقَلُها، وضُمِّخَتْ[1] بالمِسْكِ حُلَلُها، فما زلنا في أحسن مَراد،[2] وأقرب غاية مُراد، من التماحِ يانع ذلك الزّهر، حتّى احتلَلْنا قرية بشاطئ النّهر، ولسان الهجير قائلة: لاتُخْطِئْكم بها القائلة، فأرَحْنَا الجياد من البُهْر[3]، ونِمْنا بها إلى صلاة الظُّهر، ثمّ قضينا الفَرْضَ، وشدَدْنا الغَرْضَ[4]، نَؤمُّ جانبَ الشّرَفِ مُتيامنين، ونَقْصِدُ سَمْتَهُ متبادرين[5]، حتّى أرَتْنا غُرّتُه[6] جمالَها، وكستْنَا أشجارُه ظِلالَها، فما زلنا نستعرضُ قراه إلى أن دعانا إلى قِراه[7] بواسطةٍ منه، ومُقْلةُ الشّمس غضيضة، وحشَاشَتُها مَريضة، فأجبناه إلى رغبته وحللنا بعَقْوته[8]، وَبِتْنا نتفدّى بالنّفوس، ونتعاطى نَخْبَ الكؤوس، من مُدام الآداب، لامن مُدام الأعْنَاب، يتضوّع عنها خَلوقُ[9] الشِّيَم، ويضحكُ عليها حَبَابُ الكَرَم، ورُبَّما مزجناها بماء المِزاحِ من غير لَغْوٍ ولاجُناح، فما زِلْنا نأخذُها بالآذان، ونَشْرَبُها بالأذْهان، حتّى تبسَّم اللّيل عن صُبْحِهِ، وقُصَّ جناحُ جِنْحِهِ، فاشتملنا بُردَ الائتلاف، واتّفقَتْ آراؤنا على الانصراف إلى حضرة المجد العُليا، مقرّ عماد الدّين والدُّنيا إسماعيل بن محمد بن عبّاد، خير واطئٍ للصّعيد[10]، ومُروٍ للصّعاد، مَن بَخّلَ نَداهُ،وقَيَّد البَرْقَ مَداه، وضَمَّخ الآفاقَ ثناؤُهُ، وبَهرَ

(١) في ط١: «ضمنت» تحريف.

(٢) المَرَادُ: المكان الذي يُذهَبُ فيه ويُجاء.

(٣) البُهر: تتابع النَّفسَ من الإعياء.

(٤) - الغَرْضُ: حزام الرَّحل.

(٥) في الأصل: «مبادرين».

(٦) في الأصل: «غرّة».

(٧) القرى: الطعام.

(٨) العقوة والعقاة: الساحة وماحول الدار والمحلّة.

(٩) الخَلوق: ضرب من الطيب

(١٠) في الأصل: «خير من وطئ الصعيد». والصعيد: الأرض.

العُيونَ سناؤهُ، ورجَح بالجِبال[1] حِلْمُه، وأحاط باللَّيْل[2] عِلْمُه، أدام الله له العِزّ، ووَصَل له التّاييد والحِرْز».

قولُه: «مُتَتَلِّعْ» مُتَفَعِّل، من التَّلَع وهو الإشراف [٧٧/ب] يقال: تَلِعَ جِيدُ الظّبي إذا أشرف. وقوله: «من الحيا وبعدَ الحياَء»، الأوّل منهما مقصور والثّاني ممدود وهو الاستحياء. وقوله: «من البُهْر» البُهْرُ: الكلل.

واتّدَعنا: افتَعَلْنا من الدَّعَة، وقوله: «مُرْوٍ للصِّعاد» الصِّعاد، جمع صَعْدة: وهي القناة النّابتة مستقيمة.

قال أبو الوليد: وممّا يصلح أن يكون في هذا الباب ماوقع في النّواوير من تفضيلٍ وتغليب، أو جَرى بينها من تفاضل وتفاخُر. فإنّ تلك القِطَع تشتملُ على مدحِ نَوْرٍ، وذَمِّ آخَر، فهما موصوفان، ولم تتفرّدِ القطعة بِنَورٍ وإنّما اشتملت على نَوْرين، وتضمّنت وصف شيئين، وأكثر ماوقع هذا قديماً في الوَرد والبَهار وأنا ذاكِرٌ ماوقع إليَّ في ذلك من المختار، وقد وقع إليّ في غيرهما قليل، وكلُّه يقع هنا إن شاء الله.

فما وقع إليّ في الرّدّ على ابن الرّومي في تفضيله البَهار على الوَرْد قول أبي عثمان سعيد بن فرج الجيّاني، وقول ابن الرّومي في ذلك كثير، ومذهبه مشهور، وقصيد أبي عثمان ردٌّ على قصيد ابن الرّومي الّذي أوّله[3] : [الكامل]

خَجِلَتْ خُدُودُ الوَرْدِ مِن تَفْضِيلِهِ ... خَجَلاً، تَوَرُّدُها عَلَيْهِ شَاهِدُ

وهو من أوّله إلى آخره، أعني قصيد أبي عثمان[4] : [الكامل]

عَنّي إِلَيْكَ فَمَا القِيَاسُ الفَاسِدُ ... إلاّ الّذي أدّى العِيانُ الشّاهِدُ[5]

(١) في ط١ وط٢: «بالجمال» وهو تحريف.

(٢) في ط١ وط٢: «بالليال».

(٣) ديوان ابن الرومي ٢/٦٤٣ وهو مطلع القصيدة في تفضيل النرجس الورد.

(٤) الأبيات من ١ ـ ٥ في جذوة المقتبس ٢١٢. وبغية الملتمس ٣٠٦.

(٥) في جذوة المقتبس: «ردّ العيان». وفي بغية الملتمس: «رمز العيان».

أَزَعَمْتَ أنَّ الوَرْدَ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجِلٌ «وَنَاحِلُهُ الفَضِيلَةَ عَانِدُ»[1]

إنْ كانَ يَسْتَحْيِي لفَضْلِ جَمالِهِ فَحَيَاؤُهُ فِيهِ جَمالٌ زائِدُ[2]

والنَّرْجِسُ المُصْفَرُّ أَعظَمُ رِيبَةً مِنْ أنْ يَحُولَ عَلَيْهِ لونٌ وَاحِدُ[3]

لَبِسَ البَيَاضَ لصُفْرَةٍ في وَجْهِهِ صِفَةٌ كَما وُصِفَ الحَزِينُ الفَاقِدُ[4]

والآنَ فَاسْمَعْ للبَرَاهِينِ الَّتي قَطَعَتْ فَلَيْسَ يَحِيدُ عَنْها حَائِدُ

الوَرْدُ تِيجانُ الرَّبِيعِ فأيُّمَا إِخْ ـتارَ الفَخارُ مُتَوَّجٌ أو سَاجِدُ [٧٨/آ]

ولِمَنْ يَكُونُ الفَضْلُ في حُكْمِ العُلا الـ ـمَوْعُودُ عَنْهُ أو النَّدِيمُ الواعِدُ

مَهْلاً فَما هُوَ بالتَّقَدُّمِ قائِدٌ كَلاًّ وَلا ذَا بالتَّأخُّرِ طَارِدُ

وَانْظُرْ إذا اعتَدلَ الزَّمانُ وغَنَّتِ الـ ـأَطْيارُ فَهْو لِشَجْوِهِنَّ مساعِدُ

مُوفٍ عَلى الغُصْنِ النَّضيرِ كأنَّهُ في مَنْبَرٍ بَيْنَ الحَدائِقِ قاعِدُ

والنَّرْجِسُ المُنْحَطُّ إمَّا رَاكِعٌ ذُلاًّ إلى عَفَرِ الثَّرى أو ساجِدُ[5]

وجَعَلْتَ للأَسْماءِ حَظّاً زائِداً مَهْلاً فَما هَذا سَبِيلٌ قَاصِدُ

اسمُ الَّذي فَضَّلْتَ إنْ فَتَّشْتَهُ وخَرَمْتَ أوَّلَهُ فَرِجْسٌ رَاكِدُ[6]

والوَرْدُ كيفَ خَرَمْتَهُ وخَبَنْتَهُ وُدٌّ تَوَدُّ بِهِ وَرَدٌّ عائِدُ[7]

وَدَعِ البَقاءَ فَما تَرَى مِنْ جُمْلَةٍ إلاّ وأفضَلُها يَكُونُ البائِدُ

يَفْنى خِيارُ الخَلْقِ في الدُّنيا ومَا شَيءٌ سِوى إبْلِيسَ فيها خالِدُ

---

(١) عاند: مائل عن الطريق. ومابين هلالين تضمين من قصيدة ابن الرومي السّالفة.

(٢) في بغية الملتمس: «فحياته فيه..».

(٣) في بغية الملتمس: «أعظم رتبة».

(٤) في البغية والجذوة: «بصفرة».

(٥) العَفَر: ظاهر التّراب.

(٦) أراد حذف حرف النون من كلمة. «برجس».

(٧) أراد بخرمه حذف حرف الواو من «ورد»، فتصبح «ردّ». وبخبنه حذف الرّاء فتصبح «ودّ».

والضِّدُّ كلُّ الضِّدِّ قولُكَ إنَّهُ — يَنْهَى النَّدِيمَ بلحْظِهِ ويُسَاعِدُ
فَأَعَرْتَهُ عَيْنَ الرَّقيبِ فَلِلعَمى — والسَّمْلِ طَرْفٌ للأَحِبَّةِ راصِدُ[1]
وإذا فَخَرْتَ على الخُدودِ بمُقْلَةٍ — يَرَقانُها بَادٍ فأصْلُكَ فاسِدُ[2]
ولو آنَّ فِعْلاً للكَواكبِ في الثَّرى — رَبَّى الرِّياضَ «كما يُربِّي الوالِدُ»
وتَنَازَعَ النُّوَّارُ شِبْهُ صِفاتِها — ماكانَ غَيْرُ الوَرْدِ فيها المَاجِدُ
الوَرْدُ وَقَّادُ التَّوَقُّدِ نَاضِرٌ — والنَّجْمُ نَارِيٌّ مُضِيءٌ واقِدُ

قوله: «ولمن يكون الفَضْل في حكم العلا..» البيت ردٌّ على قول ابن الرّومي[3]:

[الكامل]

شَتَّانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ هذا مُوْعِدٌ — بِتَسَلُّبِ الدُّنْيا وهذا واعِدُ

فجَعَلَ الوَرْدُ لِتَأخُّرِهِ موعداً بانقضاء الرّبيع والبهار لتبكيره واعِداً به، وَرَدُّ الجيَّاني عليه مُقْنِعٌ لأنَّ الموعودَ به أجَلُّ من النّذير[4] الواعد عنه[5]:

وقوله: «يفنى خيار النّاس..» البيت، ردٌّ على قوله[6]:

وإذَا احْتَفَظْتَ بهِ فأمتَعُ صَاحِبٍ — ببقائِهِ لو أنَّ حَيَّاً خالِدُ [٧٨/ب]

لأنّ البهار يبقى بنضرته أيّاماً، والوردُ أسرعُ ذبولاً[7].

وقول الجيّاني: «وجعلت للأسماء حظّاً زائداً..» ردٌّ على ابن الرّومي في قوله[8]:

---

(١) سَمْلُ العين: فقؤها.
(٢) اليَرقان: داء معروف يصيب النّاس، ويريد اصفرار بياض العين.
(٣) ديوان ابن الرومي ٢/٦٤٣.
(٤) في الأصل: «الغزير» وهو تحريف.
(٥) في المطبوع «عنه».
(٦) ديوان ابن الرومي ٢/٦٤٤.
(٧) في ط٢: «ذيولاً» تصحيف.
(٨) ديوان ابن الرومي ٢/٦٤٤.

اطْلُبْ بِعَيْشِكَ فِي المِلاحِ سَمِيَّهُ   أَبَدًا فَإِنَّكَ لامَحالَةَ وَاجِدُ[1]

جَعَل من محاسنه التّسمّي بِهِ عندهم، فنرجسٌ في أسمائهم كثير. وذلك لاحُجَّةَ لَهُ ولاعليه.

وقوله: «ولو آنَّ فعلاً للكواكب في الثّرى..» الأبيات، ردٌّ على بيتي ابن الرُّومي وهما[2]:

هَذي النُّجومُ هِيَ الّتي ربَّتْهُما   بِحَيَا السَّحابِ كَما يُرَبّي الوالِدُ

فانظُرْ إلى الأَخَوينِ مَن أَدْنَاهُما   شِبْهاً بوالِدِهِ فَذاكَ الماجِدُ[3]

شبّه البَهار بالنّجوم.

ولصاحب الشّرطة أبي بكر بن القُوطيّة في المعنى والقافية، قصيدٌ مُسْتولٍ على غاية الكمال، مُستوفٍ نهاية الجمال موصول بمدح ذي الوزارتين القاضي الأجَلّ، الرَّفيع المَحلّ. وهو من أوّله إلى آخره: [الكامل]

كُسِفَتْ خُدودُ النَّرجْسِ المُصَفَّرِّ مِنْ   حَسَدٍ، وَقَدْ يَذْوي العَدُوُّ الحاسِدُ[4]

واصْفَرَّ حتّى كادَ أَنْ يَقْضِي أَسًى   لَمّا رَأى الوَرْدَ الّذي هُوَ وارِدُ[5]

هَيْهاتَ للوَرْدِ الفَضائِلُ كُلُّها   وإنْ ادَّعَى التّكذيبَ فيهِ مُعَانِدُ

فَصْلُ القَضيَّةِ أَنَّ هَذا مُمْتِعٌ   فَصْلَ الرَّبيعِ، وَكُلُّ نَوْرٍ بائِدُ

يَأْتي ونُوَّارُ الثَّرَى مُتَزَحْزِحٌ   وَكَذا الرئيسُ مِنَ المَشابِهِ واحِدُ[6]

هَذا مُقِرٌّ للسَّماءِ بِفَضْلِهَا   فيمَا غَذَتْهُ بِهِ وهَذا جاحِدُ

وتَرى تَبايُنَ ذاكَ في وَجْهَيْهِمَا   باللّونِ والنَّشْرِ الّذي هُوَ شَاهِدُ

---

(١) في الديوان: «اطلب بعفوك». وفي ط١: «سميّة».

(٢) ديوان ابن الرومي ٢/٦٤٤.

(٣) في الديوان: «فتأمل الاثنين مَن..».

(٤) في ط١ وط٢: «يُدوي».

(٥) في الأصل: «يقضي أسفاً» وهو تحريف يختلّ به الوزن. وفي ط١: «تقضي».

(٦) في ط١ وط٢: «ونوّار الرُّبا».

كَمْ بينَ مُصْطَنِعَيْنِ: هَـذا كـافِرٌ ... إفْضَالَ سَيِّدِهِ، وهـذا حـامِدُ

هـذا لَـهُ خَلْقُ العَجوزِ وهَـذِهِ ... عَـذْراءُ في حُمْرِ المَجَاسِدِ ناهِدُ[1]

وكَفَى افتخاراً أنَّ هَـذا نـافِقٌ ... غَضّاً ومُبْتَذِلاً، وَهَـذا كاسِدُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ للـوَرْدِ إلاّ أنَّـهُ ... يَفْنَى ويَبْقَى مـاؤهُ المُتَعَاهِدُ [٧٩/آ]

ولَـهُ مَنافِعُ لاتَجَمَّـلُ كَـثْرَةً ... وَمَرَافِقٌ مَشـكورَةٌ وفوائِـدُ[2]

والنَّرْجِسُ المُصْفَرُّ لَيْسَ بنـافِعٍ ... مَيْتاً وَلافِي الرَّوْضِ إذْ هُوَ وافِدُ

هَـذا عَقيمٌ لاَيُشَـادُ بذِكْـرِهِ ... أبَداً وعَقْبُ الـوَرْدِ بَـاقٍ خـالِدُ

أخَـوانِ مَقْرونـانِ لَـمْ يَتَنازَعـا ... شِـبْهاً، وبينَهُمـا إخَـاءٌ تـالِدُ[3]

هَـذا يُبَشِّـرُ بالحَيَـاةِ وذَاكَ يُنْـ ... ـذِرُ بالمَمَـاتِ إذْ أتَـاهُ العَـائِدُ

«أيـنَ الحَيـاةُ مِـنَ المَمَـاتِ نَفَاسَـةً ... ورِيَاسَـةً لـولا القيـاسُ الفَاسِـدُ»

ومن هنا دخل إلى مدح ذي الوزارتين القاضي الجليل فقال: [الكامل]

ياأيُّهـا القـاضي المُصَفَّى جَوْهَـراً ... والسَّيِّدُ النَّـدْبُ الشَّـريفُ المـاجِدُ

احْكُـمْ فـإنَّ العَـدْلَ شِـيمتُكَ الّـتي ... أوْصَـى بهَـا جَـدٌّ إليْـكَ ووالِـدُ

فغَدَوْتَ طِفْلاً في المهـادِ وأنْـتَ للـ ... ـحُكْمِ الّـذي أعْيَـى البَرِيَّـةَ مـاهِدُ

قوله: «أين الحياة من الممات..» البيت هو لابن الرّومي وأتقـنَ الـرَّدَّ عليه فيه، وبيت ابن الرّومي[4]: [الكامل]

أيْـنَ العُيـونُ مِـنَ الخُـدُودِ نفاسَـةً ... ورياسَـةً لَـوْلا القِيـاسُ الفاسِـدُ

---

(١) المجاسدُ: واحدها مجْسد: هو الثوب المشبع بالصّبغ الأحمر.

(٢) لاتَجمّل: أي لاتُجمع.

(٣) في ط١ وط٢: «أخوان مغزوّان» والتّالد: القديم.

(٤) ديوانه ٢/٦٤٤.

وأنْشد لنفسه الشّيخ أبو عبد الله بن مسعود قطعة بديعة تضمّنت أوصافاً مطبوعة يصف البَهار، ويفضّل الورد عليه وهي: [مجزوء الرجز]

وَلابسٍ ثَوْبَ الضَّنَى ... مِنْ حَسَدٍ قَدِ اكْتَأبْ[1]

كأنَّمَا أحْدَاقُهُ ... أقداحُ تِبْرٍ مُنْتَخَبْ[2]

مِنَ الحَيا مُتْرَعةٌ ... أجَلُّ مَشْرُوبٍ شُرِبْ

يَسْعى بِهَا مُحْتَسِباً ... بلا أذىً وَلاَ نَصَبْ[3]

سَاقٍ على سَاقٍ لَهُ ... تُزْهى بمُخْضَرٍّ قَصَبْ

زَبَرْجَدٌ مُبْتَهِجٌ ... يَكادُ لِيناً يَنْقَضِبْ[4]

إذا الصَّبَا غَنَّتْ لَهُ ... ومَاسَ عن ثِقْلِ الحَبَبْ[5]

صَبَا لِبَعْضٍ بَعْضُهُ ... فَيَلْتَقي ويَصْطَحِبْ

يقولُ للوَرْدِ: أنَا ... بِرٌّ حَبيبٍ يقتَرِبْ

قالَ لَهُ الوَرْدُ: لَقَدْ ... أخْطأْتَ يامَنْ لَمْ يُصِبْ

أَنْتَ إذا ماصَحَّفُوا ... وأنْصَفُوا بَيْتٌ خَرِبْ[6]

أنا الّذي لَمْ أخْتَلِقْ ... ماقُلْتُهُ وَلَمْ أحُبْ

أَشْبَهُ شيءٍ بالخدو ... دِ الزُّهْرِ رِيعَتْ مِنْ كَثَبْ[7]

وَأَنْتَ عَيْنٌ دَهْرَهَا ... في مِثْلِ دَهْرٍ قَدْ كَلِبْ [۷۹/ب]

---

(١) الضّنى: السّقَمْ والمرض.

(٢) في الأصل: «أحداج تبرٍ».

(٣) النّصَبُ: التّعَبُ.

(٤) ينقضبُ: ينقطع.

(٥) في ط١ وط٢: «عنّت» وعنّت: ظهرت.

(٦) سينبّه المؤلّف على ماأراد عقب الأبيات.

(٧) من كثب: من قرب.

فانْشَـــعَبَتْ أَسْـــرابُهُ خَوْفـــاً بِدَمْـــعٍ مُنْسَـــرِبْ

وَاصْفَـــرَّ مِـــنْ هَـــمٍّ كَمَـــا يفعَـــل مَخْصُـــومٌ غُلِـــبْ[1]

اَلفضْـــلُ للـــوَرْدِ وإنْ أَبَـــى عَلـــيٌّ وحَـــرِبْ

طِيـــبٌ وطِـــبٌّ وشَـــذاً ومَنْظَـــرٌ ينفـــي الكَـــرَبْ

سُـــلطانُ الآنـــوارِ عَلَـــى رَغْـــمِ الغَـــبيِّ المُضْطَـــرِبْ[2]

كمـــا ابـــنُ عَبَّـــادٍ حَمَـــى الـــ إسْـــلاَمَ سُـــلطانُ العَـــرَبْ

قولُه: «برّ حبيبٍ» هو تصحيف نرجس، و«بيت خربْ» تصحيفه مقلوباً أيضاً. «وإنْ أَبى عَليٌّ» هو ابن الرّومي لمّا فضّل البَهار على الورد. وحَرِب: مثل غَضِب، ومنه قيل: ليثٌ مُحَرَّب: أي مُغضَّب. وقوله: طيبٌ وطِبٌّ وشَذاً، الشَّذا: العَرْف والرِّيح الطّيِّبة.

وقال بعض الأندلسيّين يردّ على ابن الرّومي بيتيه الطّائيّين وأحدُهما[3] :

[البسيط]

وَقَـائِلٍ لِـمْ هَجَـوْتَ الـوَرْدَ مُعْتمـداً؟ فقُلْتُ: مِنْ قُبْحِ مَافيـهِ ومِـن عَمَطِـهْ[4]

ويقبح ذكر البيت الثّاني[5] وهو مشهور، والرّدّ عليه للأندلسيّ: [البسيط]

لِعَـائِبِ الـوَرْدِ قُـلْ مَـاأَنْتَ مِـنْ نَمَطِـهْ قَدْ قُلتَ هُجْراً فَتُـبْ في القَوْلِ مِن غَلَطِهْ[6]

الـوردُ خَـدُّ حَبيـبٍ حـينَ تَلْثُمُـهُ فَيَغْتَـدِي أَثَـرُ الأَسْـنَانِ في وَسَـطِهْ

---

(١) في ط١ وط٢: «مخضوم» تصحيف.

(٢) في ط١ وط٢ قطع همزة «الأنوار» فاختل الوزن.

(٣) ديوان ابن الرومي ٤/١٤٥٢.

(٤) في الديوان: «من بغضه عندي ومن سخطه». وفي ط١ وط٢: «معطه» والعَمطُ: العيب.

(٥) البيت في ديوان ابن الرومي ٤/١٤٥٢.

(٦) الهُجْرُ: القبيح من الكلام.

ولأبي جعفر بن الأبّار في إقرار البَهار بفضل الورد قطعة حسنة [السَّرد موصولة] بمدح ذي الوزارتين القاضي سيف الحقّ الماضي وهي: [الرمل]

طَلَعَ النَّرْجِسُ فِي أَكْفَانِهِ | قَائِلاً لِلْوَرْدِ: قَدْ بُرِّحَتْ بِي
لَمْ تَزَلْ تُورِثُ جِسْمِي سَقَماً | مُبْكِياً عَيْنِي بِدَمْعِ الحَبَبِ
كَيْفَ خَلَّطْتُ وغَلَّبْتُ على | سَيِّدِ الأَنْوارِ يالَلْعَجَبِ
إنّما اسْمي تَحْتَ شَكْواي فَلا | تُوقِعُونِي تَحْتَ رَيْبِ الرِّيَبِ
أَنَا لَوْلا طَمَعِي أنْ نَلْتَقِي | مَاأَقَلَّتْنِي حِيناً قُضُبِي[1]
فَضْلُهُ فَضْلُ ابنِ عَبّادٍ أبي الْـ | ـقاسِمِ القَاضي قريعِ العَرَبِ
مَلِكٌ لَوْ لَمْ يُمَجَّدْ بالثَّنا | قَالَ لِلعَالَمِ: حَسْبِي حَسَبِي

قوله: «إنّما اسْمي تحت شكواي» يعني برّحْتَ بي لأَنَّ بَرَّحت بي تصحيف نرجس.

وله أيضاً في تصحيفه مفضّلاً للورد بيتان استولى فيهما على غاية الإحسان وهما: [المجتث]

الوَرْدُ أَحْسَنُ وِرْدٍ | يَروى بِهِ لَحْظُ عَيْنِ
ونَرْجِسُ الرَّوْضِ مَهْمَا | صَحَّفْتَهُ بَرْحُ بَيْنِ [٨٠/آ]

هذا ماانتهى إليهِ ذِكْري في التّفاضُلِ بين البَهار والوَرْد.

وكتب الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيريُّ إلى المنصور بن أبي عامر ـ رحمه الله ـ عن بنفسَج العامريّة يوم الأضحى سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة، رسالة موصولة بشِعر، جمالُها باهر، وكمالها ظاهر، احتجّ له فيهما احتجاجاً طريفاً، عَضَده به عَضْداً ظريفاً[2]، وآثره على النّرجس والبَهار بإشارات جليلة المقدار.

---

(١) القُضُبُ: الأغصان.

(٢) في ط١ وط٢: «طريفاً» بالطاء المهملة.

والرُسالة[1] :

«مَنَحَ اللهُ مولايَ صِدْقَ النَّظر، وعرّفَهُ جليَّةَ الخَبَر، وأطال مُدَّتَهُ، ووصل سلامته وعزّته، إذا تدافعت[2] الخصوم - أيدّ الله المنصور مولاي - في مذاهبها، وتنافرت في مفاخرها، فإليك[3] مَفْزَعُها وأنت[4] المُقنع في فصل القضيّة بَيْنَها[5] لاستيلائك[6] على المفاخر بأسرها، وعِلْمِكَ[7] بسرِّها وجَهْرِها، وقد ذهب البَهار والنّرجس في وصف محاسنهما، والفخر بمُشابهِهما كل مذهب. ومامنهما إلاّ ذو فضيلة، غير أنّ فضلي عليهما أوضح من الشّمس التي تَعْلُونا، وأَعْرَف[8] من الغمام الّذي يَسْقينا، فإن[9] كانا قد تشبّها في شعريهما[10] المُرْتَفعين إلى مولاي - أبقاه الله وأيدّه - ببعض ما في الأرض[11] من جواهر الأرض[12] ، ومصابيح السّماء، وهي من الموات الصّامت، فإنّي أتشبّه بأحسن مازيّن الله به الإنسان، وهو الحيوان النّاطق من أدوات خلقه، وأنفس مارُكِّبَ فيه من موادّ حياته، مع أنّي أعْطَرُ منهما عِطْراً، وأحمدُ خُبْراً، وأكرمُ إمتاعاً

---

(١) الرسالة في الذخيرة ٤/١/٤٨ - ٤٩. ونفح الطيب ١/٥٣٠ - ٥٣١.

(٢) في ط١ وط٢: «ترافعت».

(٣) في الذخيرة والنفح: «فإليه».

(٤) في الذخيرة والنفح: «وهو».

(٥) في الأصل: «بينهما» تحريف.

(٦) في الذخيرة والنفح: «لاستيلائه».

(٧) في الذخيرة والنفح: «وعلمه».

(٨) في الذخيرة والنفح: «وأعذب».

(٩) في الذخيرة والنفح: «وإن».

(١٠) في الذخيرة والنفح: «شعرهما».

(١١) في الذخيرة والنفح: «االعالم».

(١٢) في الأصل: «وجواهرها».

شاهداً وغائباً، ويانعاً وذابلاً، وكلاهما لايُمْتِعْكَ إلاّ رَيْثَما يبدو للعُيون[1] ، ويَسْلَم من الذُّبول، ثمّ تستَكره[2] الأنوفُ شمَّهُ، وتستدفع الأكُفُّ ضَمَّه، فأين هذه الحال من الاستمتاع [بي] رَطْباً، وادّخاري في خزائن[3] الملوك جَافّاً، وتفضيلي على أَلْسِنة الحكماء، وتصريفي في منافع الأعضاء، وإنْ[4] فَخَرا باستقلالهما على ساقٍ هي أقوى مِن ساقي فلا غَرْو أنّ الوَشْيَ ضَعيف، والهَوى لطيف، والمِسْك خفيف[5] :

[الوافر]

وَلَيْسَ الْمَجْدُ يُدْرَكُ بالصّراعِ

كما قال حكيم الشّعراء، وقد أودعْتُ ـ أيدّ الله المنصور[6] ـ قوافي الشعر من وصف مشابهي ماأودعاه من وصف مشابههما وحضرت بنفسي[٨٠/ب] لئلاّ أغيب من[7] حضرتهما. فقديماً فضّلوا[8] الحاضر وإن كان مفضولاً ولهذا قالوا: «أَلَذُّ الطّعامِ ماحَضَر لِوَقْتِهِ» و «أَشْعَرُ النَّاسِ مَن أنتَ في شِعْرِهِ»[9] . ولمولاي[10] ـ أيدّه الله ـ أن يعدل باختياره الصّحيح، ويفصل بحكمه العدل إن شاء الله».

---

(١) في الذخيرة والنفح: «وكلاهما لايمتع إلا ريثما». وفي الذخيرة: «يمنع» وفي النفح «يمتع».

(٢) في الذخيرة والنفح: «ثم إذا ذبل تستكره».

(٣) في الذخيرة والنفح: «وأنا أمتع رطباً ويابساً، وتدخرني الملوك في خزائنها وسائر الأطباء وأصرف في منافع الأعضاء».

(٤) في الذخيرة والنفح: «فإن».

(٥) لم أقف على قائله.

(٦) في الذخيرة والنفح: «مولانا».

(٧) في الذخيرة والنفح: «عن حضرتهما».

(٨) في الذخيرة والنفح: «فضّل الحاضر».

(٩) القول في الشعر والشعراء ٨٢، دون عزو، وتمامه: «حتّى تفرغ منه»

(١٠) في الذخيرة والنفح: «فلمولانا».

والشّعر[1]: [الكامل]

شَـهِدَتْ لِنَـوَّارِ البَنَفْسَـجِ ألْسُـنٌ ... مِنْ لَوْنِـهِ الأحْـوَى وَمِـنْ إيناعـه[2]

بمشَـابهِ الشَّـعْرِ الأثيـثِ أعـارَهُ ... قَمَـرُ الجَبِين الصَّلْتِ نُـورَ شُـعاعِهِ[3]

ولرُبَّمـا جَمَـدَ النَّجيـعُ مـن الطُّلَـى ... بصَـوارِمِ المَنْصـورِ يـومَ قِراعِـهِ[4]

فحكـاهُ غَـيْرَ مُخـالفٍ في لَوْنِـهِ ... لافي روائحِـهِ وَطيـبِ طباعِـهِ

مَلِـكٌ جَهِلْنـا قَبْلَـهُ سُـبُلَ العُـلا ... حَتَّـى وَضَحْـنَ بنَهْجِـهِ وَشِـراعِهِ[5]

أمّـا نَـداهُ فَهْـوَ صِنْـوٌ لِلحَيـا ... في صَوْبِـهِ لم أعْـنِ في إقلاعِـهِ[6]

في سَـيْفِهِ قِصَـرٌ لطُـولِ نِجـادِهِ ... وكَمـالِ سَـاعِدِهِ وفُسْـحَةِ باعِـهِ[7]

قال أبو الوليد: ووقع بين الوزير أبي الأصبغ بن عبد العزيز وصاحب الشّرطة أبي بكر بن القوطيّة قطعتان[8]؛ يفضّل أبو الأصبغ الخِيريّ، وأبو بكر البنفسج، وقطعة أبي الأصبغ موصولة بمدح ذي الوزارتين القاضي - حرس الله حوباءه[9]، وأطال بقاءه - وهي: [الكامل]

مـا للبَنفسَـجِ يَدَّعـي التَّفْضيـلاَ ... مُتحـامِلاً ويَعُـدُّ ذاكَ جَميـلا

---

(١) الأبيات ماعدا السادس في الذخيرة ٤/١/٤٩ - ٥٠، ونفح الطيب ١/٥٣٢ - ٥٣٣ و٤/٦٧.

(٢) الأحوى: من الحُوَّة وهي الخضرة تضرب إلى السواد.

(٣) رواية البيت في الذخيرة والنفح:

لمشابه الشّعر الأثيث أعارهُ الـ ... قَمَرُ المنيرُ الطَّلْقُ نُورَ شُعاعهِ

وفي النفح: الشعر الأعمّ.

(٤) في طـ١ وطـ٢: «حفّ النجيع» في النفح: «جمع النجيع... من صارم المنصور» وفي الذخيرة: «في صارم المنصور».

(٥) في الذخيرة: «سبل الهدى».

(٦) في طـ١ وطـ٢: «صِنْفٌ». والصِّنْو: النّظير والمثل.

(٧) في الذخيرة والنفح: «وتمام ساعده».

(٨) في الأصل: «قطعة» تحريف.

(٩) الحوباء: النّفس.

هَيْهَاتَ قَدْ بَرِحَ الخَفَاءُ فَعُدْ إلى ... حُكْمِ التّنَاصف واتْرُكِ التَّخييلاَ[1]

الفَضْلُ للخِيريِّ إلاَّ أنَّهُمْ ... جَهِلوا ولَمّا يُحْسِنوا التَّأويلا

قَهَرَ البَنَفْسَجَ مَنْظراً ويفوقُهُ ... في الشَّمِّ بالمِسْكِ الّذكيّ دَليلا[2]

ورأى التَّسَتُّرَ بالنّسيم لصُبْحِهِ ... ظَرْفاً فَعَطَّلَ صُبْحَهُ تَعْطيلا

وإذا أتى اللّيلُ البَهيمُ بِنَشْرِهِ ... أبْدَى بِهِ لِلزّائرينَ قَبُولا[3]

كمُهذّب الأخلاقِ يهجُرُ بالضُّحَى ... خِلاًّ ويُدْني بالمَسَاءِ خَليلا

أوْ شَاربٍ تَرَكَ الصَّبُوحَ تَحفُّظاً ... فَإذَا أتى لَيْلٌ أسَاغَ شَمُولا[4]

هُوَ فَاتِكُ الأفْعالِ يَدّرِعُ السُّرَى ... وتَراهُ يطْلُبُ بالنَّهارِ خُمُولاَ[5] [٨١/آ]

والخَيْرُ في الخِيريّ حَتّى في اسْمِهِ ... هُوَ فَاضِلٌ فاسْتَأهَلَ التّفضيلا

ياأيُّها القَاضي الّذي مِنْ عَدْلِهِ ... أضْحى الزّمانُ بِغُرَّةٍ مَحْجولا[6]

أنْتَ الشَّهيدُ لَهُ وعِلْمُكَ حَاكِمٌ ... عَدْلٌ وحَسْبُكَ شاهداً مَقْبُولا

فاحْكُمْ عَلى مَنْ قدْ تعاطى ظُلْمَهُ ... وَاعْقِدْ بِمَا تَقْضي لَهُ تَسْجيلا

الرّأيُ منكَ مُهذّبٌ مُسْتَحْكِمٌ ... والعِلْمُ فيكَ وتُحْكِمُ التَّأويلا[7]

مَنْ كانَ إسماعيلُ والِدَهُ الرِّضى ... فَكفاهُ فخْراً أنْ يكونَ سَليلا

---

(١) في ط٢: «الحفاء». وبرح الخفاء: ظهر ماكان خافياً، وهو مثل في أمثال أبي عبيد ٦٠ وفصل المقال ٦٣.

(٢) الذكي: القويّ الرائحة.

(٣) البهيم: الأسود. النشر: الرائحة الطيبة.

(٤) الصَّبوح: شرب الخمر صباحاً، والشمول: الخمر لأنّها تشمل بريحها الناس.

(٥) السُّرى: السَّير بالليل.

(٦) الغُرَّة: البياض والحُسن. محجولاً: من الحجل: بياض في موضع القيد أو في رسغ الفرس.

(٧) في ط١ وط٢: «ويحكمُ».

أَنْتُـمْ حُلِـيٌّ للزَّمـانِ مُحَسِّـنٌ   قَـدْ كـانَ عُطِّـلَ قَبْلَكُـمْ تَعْطِيـلا[1]

وقصيدُ أبي بكر بن القوطيّة في الرّدّ عليـه مُمْتَزِجٌ بِمَـدح الحـاجب ـ أطـال الله عمرَهُ وأبقى علينا سِتْرَهُ ـ وهو: [الكامل]

نُبِـلَ البَنفسَـجُ فـاحْتَوى التَّفْضِيـلاَ   وَكَـذَا البَنَفْسَـجُ لَـنْ يـزالَ نَبيـلا
لَّمـا شَـأَى نَـوْرَ الرَّبيـعِ بطِيبِـهِ   وحَوَى مِـنَ الشَّـرَفِ الصَّريـح أثيـلا[2]
فَضَـلَ النُّـوَارَ فَحـازَ دُونَ جَميعِـهِ   قَصَـبَ السِّبَاقِ وَلَـمْ يَكُـنْ مَفْضُـولاَ
مُتَشَـبِّهاً في سَـبْقِهِ بالحـاجبِ الْـ   أَعْلَـى عِمـادِ الدِّيـنِ إسْـمَاعِيلا
مَلِـكٌ عَـلاَ غُـرَّ المُلـوكِ المُعْتَلِيـ   ـنَ أَبَـاً وَجَـدّاً في العُـلا وقَبيـلاَ[3]
كَـمْ طـاوَلوهُ في الفَخَـارِ فَفَـاتَهُمْ   عَرْضَـاً إلى المَجْـدِ التَّليـدِ وَطُـولا[4]
مُتَشَـبِّهينَ بِمَـا يُمَثِّلُـهُ لَهُـمْ   لَـوْ أَحْسَـنُوا التَّشـبيهَ والتَّمثيـلا
كَتَشَـبُّهِ الخِـيريّ بـالمُزْري بِـهِ   لِيَحُـوزَ مِـنْ تِلْـكَ الخِصَـال فَتِيـلا[5]
وإذَا اعْـتَزَى فـإلَى البنَفسَـجِ يَعْـتَزي   وَإلَيْـهِ يُنْسَـبُ كَـيْ يعـزَّ قَلِيـلا[6]
مـاللكُرُ نبْـيِّ الخَليقَـةِ يبتغـي   فَضْـلَ الرَّئيـسِ المُعْتَلـي تَخْيِيـلاَ[7]
أوَمَـادَرَى أنَّ البنَفْسَـجَ لم يَـزَلْ   فَـوْقَ الأَكُـفِّ جَلالَـةً مَحْمـولا
مِـنْ أيـنَ للخِـيريِّ اللّئيـم طلاقـةُ السَّـ   ـمْحِ الكريـمِ وَلَـنْ يَـزالَ بَخيـلا

(١) عُطّل: خلي من الحُليّ.
(٢) شأى، من الشَّأو: السَّبق. الأثيل: الأصيل.
(٣) القبيلُ: الجماعة. والأعوان والأتباع.
(٤) في ط١ وط٢: «ففاقهم». والتليد: القديم.
(٥) في ط١وط٢: «بالمزرى». فتيلاً: شيئاً.
(٦) اعتزى: انتسبَ.
(٧) أراد أنه من فصيلة الكرنب. وهي بقلة زراعية من الفصيلة الصليبية تسمّى الملفوف.

مُتَسَتِّرٌ طُولَ النَّهارِ بِعَرْفِهِ كَيْ لا يُرَى لِنَسِيمِهِ مَسْؤُولا [٨١/ب

حَتَّى إذَا طَرَقَ الظَّلامُ سَخَا بِهِ إذْ لا يَرَى إلاّ القَلِيلَ سَؤُولا

زَهِمُ المَشَمِّ إذَا تَقَادَمَ قَطْفُهُ شَيْئاً قَلِيلاً أو أحسَّ ذُبُولا[1]

وإذا قَرَأْتَ منافِعَ النُّوَّار لِلْـ حُكَمَاءِ أصْبَحَ بَيْنَهَا مَجْهُولاَ

والنَّفْعُ غَضَّاً إنْ تَشَأْ أو يابِسَاً هُوَ لِلْبَنَفْسَجِ كُلُّهُ مَحْصُولا

لا يَسْتَحِيلُ نَسِيمُهُ في الحالَتَيْـ ـنِ وَلاَ إذَا اسْتَنْشَقْتَهُ مَغْمُولا

وَذَخِيرَةُ الخُلَفَاءِ والأمْلاكِ لاَ يَخْلُونَ مِنْهُ مُجَنَّسَاً مَفْصُولا

فَلْيَحْظَ بالقِدْحِ المُعَلَّى فاخِراً وَلْيَرجِعِ الخِيرِيُّ عَنْهُ ذَلِيلاَ

وللوزير أبي عامر بن مسلمة قطعة بديعة مطبوعة أشار فيها إلى تفضيل البَهار على النّرجس [وهي]: [المجتثّ]

وَنَرْجِسُ هَبَّ يَرْنُو بِمُقْلَةٍ لَيْسَ تَطْرِفْ

مِثْلَ النُّجُومِ تَساقَطْ نَ في رِداءٍ مُفَوَّفْ[2]

يَحْكِي البَهَارَ وَلكِنْ بَهارُنَا مِنْهُ أصْلَفْ[3]

لَهُ فَضِيلَةُ سَبْقٍ لِغَيْرِهِ لَيْسَ تُعْرَفْ

فَعُجْ عَلَيْهِ فَدَتْكَ النْـ نُفُوسُ واشْرَبْ لِتَظْرُفْ

وللفقيه أبي الحَسَن بن علي قطعةٌ سَرِيَّة يُفضّلُ فيها الخِيريّ الأصفر على النّمّام وهي: [الطويل]

أرَى أصْفَرَ الخِيريِّ يُبدي مِنَ الضَّنَا تَبارِيحَ مَكْلُومِ الفُؤادِ سَقِيمِهِ[4]

---

(١) زهِم المِشمّ: منتن الرّائحة.

(٢) مُفوّف: موشّى.

(٣) الصَّلفُ: التّيه والكبرياء.

(٤) الضَّنا: المرض والهزال. التباريح: واحدها التَّبريح: الشّدة والأذى والمشقّة. مكلوم: مجروح. سقيم: مريض.

وَيُكْذِبُــهُ سِــحْرٌ بِــأَعْيُنِ نَــوْرِهِ — وَقُضْـبٌ لَــهُ تَنْـدَى بِمَـاءِ نَعِيمِـهِ

وَعَـرْفٌ ذَكِـيٌّ يَقْصُـرُ المِسْـكُ دُونَـهُ — وَلا يَبْلُـغُ الكـافُورُ طِيـبَ شَـمِيمِهِ

يُسَـاجِلُ آفَـاقَ السَّـمَاءِ بِرَوْضَـةٍ — وَأَنْجُمَهـا حُسْـنَاً بِصُفْـرِ نُجُومِـهِ[1]

وَذِي هَفْـوَةٍ قَـدْ ظَـنَّ أَنَّ شَـقِيقَهُ — وَحَارِسَـهُ قَـدْ بَـذَّهُ بِنَسِـيمِهِ[2]

فَقُلْتُ: اتَّئِدْ فِي الظَّنِّ واسْمَع لِمُنْصِفٍ — بَصِـيرٍ بِتَحْبِـيرِ النِّظَـامِ عَلِيمِـهِ[3]

أَفِي القَـدْرِ مَخْـدُومٌ لَدَيْـكَ وخَـادِمٌ — وَذو كَـرَمٍ فِي المَجْـدِ مِثْـلُ لَئِيمِـهِ[4]

وَسِـيّانَ طِيبَـاً لَيْلُـهُ وَنَهَـارُهُ — وَلَيْسَ خُصُوصُ الخَيْرِ مِثْـلَ عُمومِـهِ

وَمَـا تَفِلٌ فِي يَوْمِـهِ مِثْـلُ عَـاطِرٍ — وَلا لَحَـقٌّ فِي الفَخْـرِ مِثْـلَ صَمِيمِـهِ[5] [٨٢/آ]

فَقَـالَ: بِحَـقٍّ قُلْـتَ وَهْـيَ مَقَـالَتِي — وَلِلْحَـقِّ نُـورٌ لائِـحٌ فِي أَدِيمِـهِ

وللوزير أبي عامر بن مسلمة أبيات محكمة في تفضيله أنشدنيها موصولة بمدح ذي الوزارتين القاضي ـ أدام الله عُلوَّه وكبَتَ عدوَّه ـ وهي: [مجزوء الرمل]

أَصْفَـرُ الخِـيرِيِّ عِنْـدِي — أَرْفَـعُ الخِـيرِيِّ قَـدْرَا

فَهْـوَ لايَمْنَـعُ عَرْفَـاً — وَهْـوَ لايَحْمِيـكَ عِطْـرَا

مِثْـلَ لَـوْنِ الذَّهَـبِ الخَـا — لِـصِ لَكِـنْ فـاقَ نَشْـرَا

وغَـدا يَحْكِـي اليَواقِيـ — تَ إذَا مَـاكُنَّ صُفْـرَا

مِثْلُـهُ اسْـتَوْجَبَ مِنِّـي — أَبَـدَاً شُـكْراً وَسُـكْرا

مِثْلَمـا اسْـتَوْجَبَ قـاضِي الـ — ـعَـدْلِ مِـنْ ذا الخَلْـقِ شُـكْرا

---

(١) يساجل: يباري.

(٢) بذّه: غلبه وسبقه وفاقه.

(٣) التحبير: التزيين.

(٤) في ط ١: «مخذوم» تصحيف.

(٥) التَفِلُ: المنتن الرائحة.

مَلِـــــــكٌ غُـــــــرٌّ أَيَادِيــــــــــ ـــــهِ عَلَــى الأَسْـــمَاعِ تَـــتْرَى[1]

مَلِـــــــكٌ مَــــــازَالَ يُولِيــــــــ ـنِــــــيَ تَقْرِيَــــــاً وَبِـــــــرَّا

قَــــــــــارَضَ اللهُ أَيَادِيــــــــــ ـــــهِ مُطِيــــلاً مِنْـــه عُمْـــرا[2]

ولأبي جعفر بن الأبّار أبيات جليلة المِقدار أشار فيها إلى تفضيله وهي:

[مجزوء الكامل]

أَصْبَـــــاهُ حُـــــــبُّ سَــــــمِيِّهِ فَغَـــدا الضَّنَــــا مِـــــنْ زَيِّـــــهِ

وَهَـــــوَى الهَــــوَى بِفُـــؤادِهِ فَــــاصْفَرَّ غَـــــضٌّ جَنِيِّـــــهِ[3]

مُثْــــنٍ عَلَـــى المَلَوِيـــــنِ لاَ كَشَـــــــقيقِهِ وَسَـــــــــمِيِّهِ

حَسْـــــبُ الزَّمَـــــانِ تَفَـــاؤلاً بِـــــالخَيْرِ مِـــــنْ خِيرِيِّـــــهِ

فَــــاحْثُثْ كُــــؤوسَ مُدَامَـــــةٍ تَلْــــقَ الغَليــــلَ بِرِيِّـــــهِ

صَفْـــــراءُ قَلَّدَهـــــا المِــــزَا جُ لِشَــــرْبِهَا بِحُلِيِّـــــــهِ[4]

قوله: «على الملوين» يعني اللّيل والنّهار. «لاكشقيقه وسميّهِ» يعني الخِيريّ النّمام. وفي هذا البيت فضّل الأصفر.

ولصاحب الشّرطة أبي بكر بن القوطيّة في تفضيله أبيات [بديهيّة سريّة] وهي:

[البسيط]

وَأَصْفَـــرٍ نَرْجِســـيِّ اللَّـــوْنِ نَمَّـــامِ مُبَرَّأٍ مِـنْ صُنُـوفِ النَّقْـصِ والـذَّامِ[5]

زَهَـا اعْتِـلاءً علـى النَّمّـام يجمَعُـهُ بِــهِ اسْـمُهُ فِعْـلَ ذِي لُـبٍّ وإلْهـامِ

---

(١) تترى: متتابعة.

(٢) قارضه: جازاه خيراً.

(٣) رواية صدر البيت في الأصل: «وهدى للهدى بمراده» وبه لايستقيم الوزن ولاالمعنى.

(٤) الشَّرْبُ: الجماعة يشربون، ويجتمعون على الشراب.

(٥) الذّامُ: العَيْب.

فقالَ: لي الفَضْلُ إنّي في النّهارِ وَفي ... ليلي أَنِمُّ وفي صُبْحي وإظْلامِي

وَأَنْتَ يامُدَّعِي اسْمي طُولَ يومِكَ لاَ ... تُدْنَى اطّراحاً إلى خَيْشُومِ شَمّامِ(1)

وإنَّ لونَكَ مِنْ لَوْنِ النُّحاسِ وَلَوْ ... نِي في مَلاحَتِهِ ضَرْبٌ مِنَ السَّامي

قال أبو الوليد: لمّا كثر الكلام في تفضيل الخِيريّ الأصفر، صنعت قطعة رُبَّما كانَ فيها بعْضُ الرَّدّ على مَنْ فضَّلَهُ، وبَخسَ النّمّام أكثر حقّه، و لم يَرْعَ حُسْنَ خَلْقِهِ وَخُلُقِهِ [٨٢/ب]وهي:

[الكامل]

يامَنْ يَذُمُّ خَلائِقَ النَّمَّامِ ... وَيَحُطُّهُ عَن خُطَّةِ الإكْرَامِ

قَدْكَ اتَّئِدْ عَنْ لَوْمِهِ جَهْلاً بِهِ ... فَجَمالُهُ زَارٍ على اللُّوّامِ(2)

هُوَ أشْهَرَ الخِيريّ حُسْناً فاحْبُهُ ... مِنْ بَيْنِهِ بتَحيّةٍ وسَلاَمِ

مُتَنَزِّهٌ عَنْ أَنْ يُرَى مُسْتَهتِراً ... إلاّ إذا اكتَحَلَ الوَرَى بمَنَامِ

مُستَطْرَفٌ في خَلْقِهِ مُسْتَظرَفٌ ... في خُلْقِهِ مُسْتَحْسَنُ الإلْمَامِ

لم يَرضَ إلاّ المِسْكَ مَسْكاً جِسْمُهُ ... وبِهِ يَبوحُ إليكَ في الإظْلامِ

والُمنْتَمي أَبَداً إليهِ نُضَارُهُ ... في الفَضْلِ أنْ يُعزَى إلى النَّمّامِ(3)

اِصْفَرَّ مِنْ حَسَدٍ لَهُ وَكآبَةٍ ... لَمّا شَآهُ بِحُسْنِهِ البَسَّامِ(4)

أَيُقَاسُ مُنْفَرِدٌ بظَرْفٍ مُعْجِزٍ ... بمشارِكٍ أخلاقَ نَوْرِ العَامِ

لو كانَتِ الشَّمْسُ المُنيرةُ سَرْمَداً ... لم تُلْقَ بالإجْلاَلِ والإعْظَامِ(5)

قولي: «إلاّ المسك مَسْكاً» المَسْك: الجِلْد، والغَرَض تشبيه لونه بلون المسك.

---

(1) الخَيْشومُ: الأنف.

(2) قدك: كفاك. زارٍ: مستهزئ ساخر.

(3) في ط١ وط٢: «إليه قصاره».

(4) شآه: سبقه.

(5) السَّرمَدُ: الدَّائم الذي لاينقطع.

الفصل الثّالث

في القطع المنفردة كلّ قطعة منها بنَوْر على حدة

قال أبو الوليد: يجب أن نبدأ بأوّل الأنوار، وأبكر الأزهار، وهو من النّواوير الرّبيعيّة، نَوْر البَهار. ولكن ماكان من النّواوير باقياً في كلّ وقت، وثاوياً مع كلّ فصل، هو أوّل على الحقيقة، وصدرٌ في هذه الطّريقة كالآس والياسمين، فأمّا الآس فقد فُضِّل قديماً على ضروب الأنوار وصنوف الأزهار، وصيغت في ذلك حسان الأشعار، إذ شَجَرُه يقوم مقام النُّوار، ثمّ يزيده نُوَّاره جمالاً ثانياً، ويضيف إليه كمالاً زائداً. وأمّا الياسمين فإنّ نَوْرَه لاينقطع أبداً كلُّهُ، ولايذهب جميعه. فنبدأ بهما ثمّ نذكر النّواوير على أزمنتها.

الآس[1]

قال أبو الوليد: من حَسَنِ ماقيل فيه ماأَنشَدنيهِ لنفسه الشّيخ أبو عبد الله بن مسعود، وهو:

[مجزوء الرجز]

الآسُ آسٍ لأَسَى ... كُلِّ فُؤادٍ مُكْتَئِبْ[2]

في كُلِّ فَصْلٍ زاهِرٌ ... ومَاسِواهُ مُنْقَلِبْ [٨٣/آ]

إذا سَرَى مِنْهُ الشَّذا ... في آخِرِ اللّيلِ وَهَبْ

أهْدَى لأَرْوَاحٍ بِهِ ... أرواحَ رَوْحٍ وطَرَبْ

كأنّه في جنّة الـ ... خُلْدِ نَمَا ثُمَّ اقْتُضِبْ[3]

لَوْ نَافَرَ النَّوْرَ إلى ... عَدْلٍ صَحيحِ المُعْتَقَبْ

وَصُحِّفَتْ نَصْبَتُهُ ... جَاءَ نَبِيّاً فَغَلَبْ

---

(١) الاس: شجر طيب الرائحة، دائم الخضرة.

(٢) الآسي: الطبيب، والأسى: الحزن.

(٣) اقتُضب: قُطِع.

قوله: «أرواحَ رَوْحٍ» الأرواح هنا جمع ريح، والرَّوحُ: الرّاحة. والأرواح الأوّل: جمع رُوح. وقوله: «جاء نبيّاً» يعني أنّ[1] هذا اللّفظ تصحيف آسٍ مقلوباً.

وممّا فيه من حُسْنِ التّشبيه قول أبي عمر الرّماديّ في قطعة تضّمنت وصف غيره وهو[2]:

[الطويل]

خُلُوفٌ مِنَ الرَّيحانِ راقَتْ كأنَّها وَإنْ حَسُنَتْ في لَحْظِنا لِمَمٌ شُعْثُ[3]

وممّا يقربُ من هذا ـ وإن كانت فيه زيادة ـ بيتُ أبي الحسن بن أبي غالب:

[الطويل]

فَمَا شِئْتَ مِنْ آسٍ تَفَتَّحَ نَوْرُهُ كمَا أخْلَسَتْ هَامٌ لها شَعَرٌ جَثْلُ[4]

يقالُ: أخلسَ الرَّأسُ إذا بدا[5] شَيْبُهُ.

ومن الفائت الفائق، والرّائع الرائق في وصفه قطعة خاطبني بها الوزير أبو عامر ابن مَسْلَمةَ وبعث معها مطيّباً وهي:

[الكامل]

يَاوَاحِدَ الأُدَبَاءِ والشُّعَراء وَابْنَ الكِرَامِ السَّادَةِ النُّجَبَاء

إنّي بَعَثْتُ مُطَيِّباً نَمَّقْتُهُ مِنْ رَوْضِ دَاري دارِكَ الغَنَّاء[6]

مِنْ آسِهِ لازِلْتَ تَأْسُو عَاطِراً وَتُبيدُ مايَعدُو مِنَ الأَعْدَاء

يَحْكي بطِيِّبِ عَرْفِهِ وَبِحُسْنِهِ خُلُقاً خليقاً مِنْكَ بالإطْراء

هُوَ كالسَّماءِ إذَا بَدَتْ مُخْضَرَّةً لاَحَتْ عَلَيْها أَنْجُمُ الجَوْزَاء[7]

[فَاقْبَلْهُ مِنْ صَبٍّ بِحُبِّكَ وُدُّهُ ألاّ تَزالَ أخَا عُلاً وَعَلاَء]

---

(١) في ط١ وط٢: «يعني أن نبيًا هذا اللفظ».

(٢) ديوان الرّمادي ٥٧.

(٣) الخلوف: الوردة التي تطلع في غير أوانها.

(٤) في الأصل: «اختلست» تحريف. وجثل: طويل ملتفّ.

(٥) في ط٢: «إذا به».

(٦) نمّقته: زيّنتُهُ.

(٧) الجوزاء: أحد بروج السماء، ونطاق الجوزاء ثلاثة نجوم نيّرة مصطفّة وسط الجوزاء.

قال أبو الوليد: فجاوبته عن هذه الألفاظ البديعة، والمعاني الرفيعة بما يمكن أن يدخل في هذا الباب ويوافق بعض غرض هذا الكتاب، وهو: [الكامل]

يَـــامَنْ حَبَـــوْتَ بِـــودِّهِ حَوْبَــــاءِ ... وَهْــيَ الفِــداءُ لَــهُ مــنَ الأسْــوَاءِ[1]

وَصَـلَ المُطيَّـبُ مُعْرِبـاً عَـنْ طِيـبِ مَــنْ ... أَهْـــدَاهُ مُكتَئِبــــاً مِـــنَ الإهْــــدَاءِ

أظْمَيْتَـــهُ مِـــنْ بَعْـــدِ ماأرْوَيْتَـــهُ ... بِمُدامَــــــةٍ فيهـــــا دَواءُ الــــــدَّاءِ [٨٣/ب]

ماكـانَ أَشْـهَرَ طِيبَـهُ لـوْ لَـمْ يَكُـنْ ... مُتَسَـــــتّراً بالقِطعَـــــةِ الغَـــــرَّاءِ[2]

أرْبَـى عَلَيْـهِ نَظْمُـكَ الحُلْـوُ الحُلَـى ... فـــانْحَطَّ بَعْـــدَ الرُّتْبَـــةِ العَلْيـــاءِ[3]

إنْ كَـــانَ نَــوْرُ الآسِ في وَرَقاتِـــهِ ... نُـــوراً بَـــدا في لَيْلَـــةٍ ظَلْمَـــاءِ

فجَمَـالُ خَلْقِــكَ حِـينَ يَنْظِـمُ عِقْـدَهُ ... كـــالبَدْرِ يَنْظِـــمُ أَنْجُـــمَ الجَـــوزاءِ

ومن المستحسن المستغرب، والمستطاب المستعذب، ماأنشدنيه لنفسه فيه صاحب الشّرطة أبو بكر بن القوطيّة وهو: [السريّع]

أمَـــا تَـــرَى الرَّيْحَـــانَ أوْرَاقُـــهُ ... تَلْتَـــفُّ تَجْعِيـــدَاً ولاتَنْبَسِـــــطْ

دَقِيقَـــةُ اللِّمَّـــاتِ في رُؤوسِـــها ... كأنَّـــهُ أَسْـــوَدُ جَعْـــدٌ قَطَـــطْ[4]

وَقَـــدْ غَـــدا تَنْوِيـــرُهُ جَوْهَـــراً ... ففـــي المَوامِـــي والرُّبَـــا يُلْتَقَـــطْ

حَتَّـــى إذا مَـــامَلَّ مـــن مَكْثِـــهِ ... في عُـــودِهِ المُشْـــرِقِ فيـــهِ سَـــقَطْ

مُنْكَشِـــفاً عـــن ثَمَـــرٍ أَسْـــوَدٍ ... كَأَنَّـــهُ مِـــنْ نَفْـــضِ حِـــبْرٍ نُقَـــطْ

---

(١) حَبَوتَ: رعيت. الحوباء: النفس.

(٢) في ط٢ «طيبةُ».

(٣) أربى: زاد.

(٤) اللِّمات، واحدها اللِّمَّة: الشَّعر المجاوز شحمة الأذن. الأسْوَدُ: العظيم من الحيّات. الجَعْدُ: الملتوي. القَطَطُ: الشّديد الجعودة.

قوله: «المَوامي» جمع موماة وهي القفر، ويقال: بَوْبَاة[1] فيها أيضاً. والرُّبـا جمع رَبْوة وهو مارتفع من الأرض.

ومن المُشرقِ جمالُهُ، المونقُ[2] كماله، المعدوم مثالُه، ماأنشدنيه لنفسه أبو جعفر ابن الأبّار، وهو: [الوافر]

وَآسٍ كَاسْمِهِ للهَمِّ آسٍ ... تَتِيهُ بِهِ حُلَى الزَّمَنِ القَشِيبِ
تَرَسَّلَ كَالغَدائِرِ مُرْسَلاتٍ ... بِها قَطَطٌ ونَمَّ بِكُلِّ طِيبِ[3]
وَكُتِّمَ نَوْرُهُ فَبَدَتْ لآلٍ ... مُدَحْرَجَةٌ لَها عَرْفُ الحَبِيبِ
كَأنَّ الصُّبْحَ شَقَّ بِهِ جُيوباً ... فغادَرَ فيهِ أزْرَارَ الجُيُوبِ
وَنَافَسَهُ الوَرَى شَغَفاً وَحُبّاً ... فَعُوِّدَ سُودَ حَبَّاتِ القُلُوبِ

هذا الوصف مستوعب لجميع أحوال الآس لأنّ نَورَهُ أوّلاً مُبَيّضٌ ثمّ يسوَدُّ.

وله أيضاً فيه وصفٌ يوازي هذا [ويضاهيه]، وهو: [البسيط]

لاَ أَيْأَسَ الآسَ هَامِي السَّكْبِ مِدْرارُ ... فَهْوَ الوَفِيُّ وكُلُّ النَّوْرِ غَدّارُ[4] [٨٤/آ]
تكادُ تُثْمِرُ نَفْسُ الصَّبِّ مِن جَذَلٍ ... إذَا بَدا ثَمَرٌ مِنْهُ ونُوّارُ[5]
كأنَّما أَلْبَسَتْهُ المُزنُ خُضْرَ حُلًى ... لَها مِنْ الْمِسْكِ والكَافورِ أزْرارُ[6]

هذا ماوقع إليَّ في الآس، وحين أكملته أبدأ بما ورد عليَّ في الياسمين.

---

(١) انظر اللسان (بوب).
(٢) في ط١ وط٢: «الموبق» وهو تحريف.
(٣) الغدائر، واحدها غديرة: الذُّؤابة المضفورة من شعر النساء. القطط: الجعودة.
(٤) مدرار: الكثير الدّرّ.
(٥) في ط١: «جزل» وهو تحريف. وجَذِلٌ: فرِحٌ.
(٦) المزن: السّحاب.

الياسمين(١)

قال أبو الوليد: أَبْدَعُ ماقيل فيه، وأَبْزَعُ(٢) ماشُبِّهَ به، [وأرفع] ماأَمَلَّ عليٌّ لنفسه فيه ذو الوزارتين القاضي - حرس الله حوباءه وصان ذكاءه - وهو(٣) : [السريع]

ويـاسِـمِـيـنٍ حَسَـنِ المَنْظَـرِ ... يَفـوقُ في المَـرْأى وفي المخْـبَرِ

كأنَّـهُ مِـنْ فَـوْقِ أَغْصَانِـهِ ... دَرَاهِـمٌ في مِطْـرَفٍ أَخْضَـرِ(٤)

قال أبو الوليد: هذا التّشبيه معدوم الشّبيه.

وممّا يوازيه دقّة، ويضاهيه رقّة، قوله أمَلَّه عليٌّ - أبقاه الله - وهو: [السريع]

وَيَاسَـمِـينٍ حَسَـنِ المُجْتَلَـى ... كأَنَّـهُ في قُضْبِـهِ الضَّافِيَـهْ(٥)

زُمُـرُّدٌ رُصِّـعَ مابَيْنَـهُ ... مَدَاهِـنٌ مِـن فِضَّـةٍ صَافِيَـهْ(٦)

وأَمَلَّ - أعزّه الله، وأحسنَ ذكراه - عليٌّ فيه له قطعة قويّة الوصف، سريّة الرّصف وهي: [السريع]

سُـبْحَانَ مَـنْ أَنْشَـأَ ذا اليَاسَـمينْ ... خَلْقـاً بَديعـاً للنُّهَـى والعُيُـونْ

كأنَّمـا الأغْصَـانُ مِـنْ تَحْتِـهِ ... والـوَرَقُ المُخْضَوضِـرُ المُسْـتَبِينْ

زُمُـرُّدٌ نُضِّـدَ فَـوْقَ الرُّبَـا ... وَهْـوَ عَلـى أعْـلاَهُ دُرٌّ مَصُـونْ

آيَـاتُ صِـدْقٍ شَـاهِداتٌ بـأَنْ ... لَيْـسَ لِمَـنْ أبدَعَهَـا مِـنْ قَرِيـنْ

---

(١) الياسمين نبات متسلّق ذو ورود بيضاء أو صفراء أو زرقاء طيّب الرائحة.

(٢) في ط٢: «وأبرع». أبزع: أظرف وأملح.

(٣) البيتان في الحلة السيراء ٣٨/٢. لمحمد بن إسماعيل بن عباد.

(٤) المطرف: رداء أو ثوب مربع ذو أعلام مصنوع من الخزّ.

(٥) الضافية: الطويلة.

(٦) في ط١: «زمرّذ» وهي لغة. والمداهن، واحدها مدهن: قارورة الدّهن.

وهذه التّشبيهات كُلُّها، والصِّفَات بأسرِهَا إنّما هي فيه وهو في شجره، ولو لم يكن كذلك لم تُشبّه خضرته وأكثر ماوُصِف في هذه الحال، و لم يقع إليَّ في نُوّاره مُفرداً إلا قول أبي عُمرِ الرّمادي، وهو من الصّفات المطبوعة والتّشبيهات البديعة[1] :

[مخلّع من البسيط]

أُنْظُرْ إلى رَوْضِ ياسِمين　　لَمْ يَرِدِ الوَرْدُ وهْوَ وارِدْ

كأنَّهُ عِدَّةً ولَوْناً　　أَكُفُّ حُورٍ بلا سَواعِدْ

قال أبو عمر أحمد بن فَرج يصف بقاءَهُ، ويُقرّضُ وفاءَهُ:　　[الخفيف]

لَيْسَ كالياسِمينِ نَوْرُ الرِّياض　　هُوَ باقٍ والنَّوْرُ أجْمَعُ ماضِ [٨٤/ب]

فاقْضِ بالفَضْلِ للوَفاءِ عَلى الغَدْ　　رِ تَكُنْ إنْ حَكَمْتَ أعْدَلَ قاضِ

ومن السِّحر الحلال، المستوفي نهاية الكمال، قول ذي الوزارتين أبي عمرو عبّاد - أعزّه الله - وقد دخل بُستاناً لي اكتسبته من نوافل كرَمِهِ وسوابغ نِعَمِه، فرأى ياسميناً فيه فقال بديهة[2] :　　[المنسرح]

كأنّما ياسِمينُنا الغَضُّ　　كَواكِبٌ في السَّماءِ تَبْيَضُّ

والطُّرُقُ الحُمْرُ في جَوانِبِهِ　　كَخَدٍّ عَذْراءَ نالَهُ عَضُّ

شبّه النَّوْرَ بالكواكب، وخُضرة ورقهِ بخضرةِ السَّماء، و لم أسمع لأحَد قبله وَصَف حُمْرَتَهُ وهي تكثر عند قلّة الياسِمين في زمن الشّتاء وتَقِلُّ عند كثرته.

وللوزير أبي عامر بن مَسْلَمَة فيه وصف رائق، وتشبيه رائع، وصله بمدح ذي الوزارتين المذكور - أعزّه الله وأسبغ عليه نُعماه - وهو:　　[الرمل]

وَذَكِيِّ العَرْفِ لاقَا　　نا عَلى كُرسِيِّ مُلْكِهْ

---

(١) ديوان الرمادي ٦٣.

(٢) البيتان في نهاية الأرب ١١/٢٣٧، منسوبان للمعتمد.

أرْضُــــهُ الخَضْــــرَاءُ بَحْــــرٌ ... نَـــوْرُهُ فِيـــــهِ كفُلْكِـــــهْ[1]

يَاسِـــمينٌ قَـــدْ غَـــدَتْ أنْـــ ... ـوارُنـــا طَوْعَـــاً لِمِلكِـــهْ

طَـــوْعَ حُـــرِّ الشِّـــعْرِ عَبَّـــا ... داً وقَـــدْ أَوْمَـــى لِسِـــلْكِهْ

مَـــاجِدٌ يَنْقَـــادُ مِنْـــهُ الْــ ... أَدَبُ الغَـــضُّ لِمَلكِـــهْ

مالُـــهُ يُوقِـــنُ منـــهُ ... ومُناوِيـــهِ بهُلْكِـــهْ

ومن المعاني الدّقيقة في الألفاظ الأنيقة ماأنشدنيه [لنفسه فيه] الوزير الكاتب أبو الأصبغ بن عبد العزيز وهو: [المنسرح]

وياسَـــمين بعَرْشِـــهِ أشـــرَفْ ... عَرَّفَــهُ العَـــرْفُ قَبْـــلَ أنْ يُعْـــرَفْ

تكـــامَلَ الطِّيـــبُ والجَمـــالُ لَـــهُ ... فَهْـوَ مِـنَ الفَضْـلِ فَـوْقَ أَنْ يُوصَـفْ

كأنَّمــــا خَلْقُــــهُ البَديــــعُ إذَا ... تَزَاحَـمَ النَّـــوْرُ قَبْـــلَ أنْ يُقطَـــفْ

سَـــريرُ مُلْـــكٍ عَليـــهِ مَشْـــمَلَةٌ ... خَضْـراءُ والقُطْـنُ فوقَهـا يُنْـدَفُ[2]

ومِن التّشبيه السَّريّ والتّمثيل السَّنِيّ، قول الفقيه أبي الحسن بن علي وشبّه مجلسَ الأنس بالحرب وهو: [الوافر]

وَشَـــرْبٍ أَدْلَجُـــوا لِلأُنْـــسِ لَمَّـــا ... أُصِيـغَ عَلـى يَـدِ الشَّـجَرِ الذِّمَـارُ[3]

سَـــرَتْ بِهِـــمُ إلى ثَغْـــرِ التّصَـــابي ... رِكَـــابٌ لايُخـــافُ لهـــا عِثـــارُ[4] [٨٥/آ]

فَخَلُّـــوا آمنـــينَ علـــى الأمــــاني ... فكـانَ لَهُـمْ مـن الشَّـجَرِ انْتِصَـارُ

عَريـــشُ الياسِـــمينَ لَهُـــمْ سَـــماءٌ ... وخُضْـــرَةُ أرْضِـــهِ لهُـــمُ قَـــرارُ

---

(١) الفُلْكُ: السفينة والسُّفن.

(٢) المشملة: كساء من القطيفة يشتمل به. يندف: يضرب بالمندف ليزال تلبده.

(٣) في ط٢: «الدَّمار». وهو تصحيف. الشَّرْبُ: القوم يشربون ويجتمعون على الشراب. أدلجوا: ساروا من أول الليل، أو ساروا الليل كله. الذّمار: مايجب على المرء حفظه والذّمار من الذّمـر: الملامة والحضّ والتهديد.

(٤) العِثار: الزّلل.

بـهِ حَجَـفٌ مِـنَ النُّـوارِ بيـضٌ مُفَضَّضَـةٌ وأرمـاحٌ صغـارُ
فَوَجْـهُ نَهـارِهِمْ بـالظِّلِّ لَيْـلٌ وَلَيْلُهُـمُ بأَنْجُمِـهِ نَهَـارُ
فَـإِنْ أُوحِشْـتَ مِـنْ شَـمْسٍ تَبَـدَّتْ عَلَيْـكَ بِشَـمْسٍ كَفَّرَهـا العُقَّـارُ[1]
ومَاشَـهِدَ الكِـرامُ وَغًـى كَحَـرْبٍ جـراحُ المُقْصَدِيـنَ بهـا جُبَـارُ[2]

قوله: جُبار: أي لاديّة فيها ولامطالبة بها. وقولـه: بـه حَجَـفٌ، الحَجَـفُ صغـارُ التّرسَة. وأرماحُ صغار: يعني النّواوير المتعلّقة منه أوّل ماتبدو.

ومن الصّفات السّريّة وصف صاحب الشّرطة أبي بكر بن القوطيّة وهو:

[الوافر]

وأبيـضَ نَـاصِعِ صَـافي الأديـمِ تَطَلَّـعَ فَـوْقَ مُخْضَـرٍّ بَهيـمِ
نَزيـهُ النَّفْـسِ هِمَّتُـهُ المَعَـالي ذَكـيُّ العَـرْفِ مِسْـكيُّ النَّسـيمِ[3]
فَلَسْـتَ تـراهُ إلاّ عِنْـدَ مَلْـكٍ وإلاّ عِنْـدَ خـاصِيٍّ كَريـمِ
شَـأى النُّـوَارَ فَـارْتَفَعَ اعْتِراشَـاً عَلَيْـهِ كَهَيْئَـةِ المَلْـكِ العَظيـمِ[4]
كـأنَّ ثِمـارَهُ المَجْنِـيَّ مِنْهَـا سَـماءٌ قَـدْ تَحلَّـتْ بـالنُّجومِ

وأنشدني لنفسه فيه أبو علي إدريس بن اليَمان قطعة حسنة التّشبيه وهي:

[الوافر]

أَمـيرُ النَّـوْرِ يـأْمُرُني بِشُـرْبٍ وَلَسْـتُ أُطيـقُ عِصْيَـانَ الأَمـيرِ
فَخُـذْ كَـأْسَ السُّـرور فَاسَـقِنيها علـى وُدِّ الأَمـيرِ علـى السَّـريرِ[5]
نُجـومٌ مـن لُجَيْـنٍ تَجْتَليهـا سَـماءُ زَبَرْجَدٍخَضِـلٍ نَضـيرِ

---

(١) في ط١ وط٢: «بِشَمْسٍ كبرها العُقار». وكفرها : سترها. والعُقار: الخمر.
(٢) المقصَدين، واحدها مُقْصَد: الذي أصابه سهم.
(٣) في ط١ وط٢: «مسكيّ الأديم».
(٤) شأى: سبق.
(٥) في ط١ وط٢ «فسَقّينها»

تزيـدُ علـى الأقـاحي في ابْتِسـام ... كَمَـا زَادَ الكَبِـيرُ علـى الصَّغـيرِ
وَيَنْخَفِـضُ الشَّـذا المِسـكيُّ عَنْهـا ... كمـا انخفَـضَ الصَّغـيرُ علـى الكَبِـيرِ

قال أبو الوليد: هذا ماوقع إليّ في الياسمين البُستانيّ وعثرت على [٨٥/ب] قِطَعٍ في الياسمين البريّ وهو الظَّيّان، وليس يبقى مُدّة العام، إنّما هو ربيعيٌّ، ولكن قدّمته على الرّبيعيّة لتَسمّيه باسم المتقدّم، وانتسابه إليه[١]، واشتباهه به[٢]، فوصلت ذكرَهُ بذكره. وماقيل فيه ممّا قيل فيه مع أنّ وصفه لم يكثُر، وذكره لم يتكرّر، فليس يحتمل إفراداً وإنّما يجب أن يكون تبعاً لهذا[٣]، وخَلْقُ شجره ونَوْرِهِ كخلق البستاني إلاّ أنّ نَوْره أصغر.

فمن أطبع[٤] ماقيل فيه [وأبدعه، وأعلى ماشُبّه به وأرفعه] أبياتٌ لذي الوزارتين القاضي الجليل المنقطع المثيل أمَلّها عليَّ وهي[٥]: [الطويل]

تَـرَى نـاضِرَ الظَّيّـانِ فـوقَ غُصُونِـهِ ... إذا هُـوَ مِـنْ مَـاءِ السَّحَائبِ يَغْتَـذي[٦]
وحَفَّـتْ بِـهِ أَوْراقُـهُ في رِيَاضِـهِ ... وَقَدْ قُدَّ بَعْـضٌ مِثْـلَ بَعْضٍ وَقَـدْ حُـذي[٧]
كَصُفْرٍ مِـنَ اليَـاقوتِ يَلْمَعْـنَ بـالضُّحَى ... مُنَضَّـدَةً مِـنْ فَـوْقِ قُضْـبِ الزُّمُـرُّذِ[٨]

ولهُ ـ أعلى الله ذكره وأيّد أمره ـ في صفرتـه خاصّةً تشبيه بديع، وتمثيل رفيع [أملّه عليّ]، وهو[٩]: [المنسرح]

---

(١) في ط١ وط٢ «به».
(٢) «واشتباهه به» سقطت من ط١ وط٢.
(٣) في ط١ وط٢: «لهذا تبعاً».
(٤) في الأصل: «أبدع».
(٥) الأبيات في الحلّة السّيراء ٣٩/٢ لمحمد بن إسماعيل بن عباد.
(٦) في الحلة السيراء: «ناظر الظّيان في لون».
(٧) حفّت: أحاطت. قدّ: شقّ.
(٨) الزّمرذُ: لغة في الزُّمرد.
(٩) البيتان في الحلة السيراء ٣٩/٢.

كــأنَّ لَــوْنَ الظَّيّــانِ حــيْنَ بَــدا نُــوَّارُه أَصْفَــراً عَلـــى وَرَقِـــهْ
لـــونُ مُحِـــبٍّ جَفـــاهُ ذُو مَلَـــلٍ فَــاصْفَرَّ مِــنْ سُــقمِهِ وَمِــنْ أَرَقِــهْ

وأنشدني فيه لنفسه الوزير الكـاتب أبـو الأصبغ بـن عبـد العزيـز أبياتـاً معجبـةً [تضمّنَتْ أوصافاً مغربة] وهي: [السّريع]

فَضَـــائِلُ الظَّيّـــانِ مَعْروفَـــةٌ تَـــروقُ في المَنْظَـــرِ والخُـــبْرِ
فـــاقَ النّواويـــرَ معـــاً أنَّـــهُ مُـــنَزَّةٌ يَـــأوي إلى الـــبَرِّ
وأنَّـــهُ يـــأنَفُ أنْ يُقتَنَـــى عَلَـــى سَـبِيلِ المِلْـــكِ والقَسْـــرِ
فَـــآثَرَ الصَّحْـــراءَ مُسْتَأنِسَـــاً في لَيْلِـــهِ بـــالأنْجُمِ الزُّهْـــرِ
مَتـــى تَـــزُرْهُ تَلْـــقَ مِـــنْ عَرْفِـــهِ ماشِـئتَ مِـنْ طِيـبٍ ومـن عِطْـرِ
أَبْـــرادُهُ خُضْـــرٌ وَلَكِنَّهَـــا مَخْصوصَـــةٌ بـــالّلبنِ الصُّفْـــرِ

وللفقيه أبي الحسن بن علي فيه وصف رائعٌ [وتشـبيه بـارع] في قطعـة موصولـة بمدح ذي الوزارتين القاضي وهي: [الطويل]

إذا نَـوَّرَ الظَّيّـانُ في خُضْـرِ قُضْبِـهِ وراحَ بِثَـوْبٍ مِـنْ دُجَـا الـرِّيِّ قَـدْ حُـذِي [٨٦/آ]
أَفَـادَكَ مِـنْ صُفْـرِ اليَواقيـتِ أَنْجُمـاً لَــهُ طالِعَــاتٍ في سَــماءِ زُمُــرُّذِ
كـأنَّ سَـناهُ في الرِّيـاضِ وحُسْـنَهُ بِحُسْـنِ ابـن عَبَّـادٍ وريّـاهُ مُحْتَـذي

قال أبو الوليد: [وحين] أوردتُ ماوقع إليَّ في الآس والياسمين مـن بديـع الشّعر الموزون نذكر الأنوار على أزمنتها ونبدأ بالأوّل منها وهو نَوْر البَهار.

[البهَار]

وقال أبو الوليد: ويسمّى البَهارُ الـنَّرجِسَ، وأكـثر أشـعار المشـرقيِّين اسمـه فيهـا النَّرْجِسُ، وأمّا الأندلسيون[1] فاستعملوا الاسمين، وذكروا اللّغتين.

(١) في ط١ وط٢: الأندلسيين، وهو وهم.

فمن أبدع تشبيه وقع إليَّ فيه قول أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد الخير ابن الإمام الحكم، وقد بعث به إلى الإمام عبد الرّحمن النّاصر لدين الله وهو: [الخفيف]

يامَليكاً مِنَ المُلوكِ مُصَفّى ... والّذي جلَّ أنْ يُحَدَّدَ وَصْفَا

عَبْدُكَ الشّاكِرُ المؤمّلُ أهْدَى ... نَرْجِساً كالعَبيرِ نَشْراً وَعَرْفَا[1]

كُلَّما فاحَ نَشْرُهُ قُلْتَ: إلْفٌ ... في دُجَا اللَّيْلِ عاطِرٌ زارَ إلْفَا

وَإذَا مَالَحِظْتَهُ قُلْتَ: ألْحَا ... ظُ خَليعٍ قَدْ مالَ سُكْراً فَأغْفَى

مِنْهُ مِثْلُ الإبْريزِ في صُفْرةِ اللَّو ... نِ وَمِنْهُ مِثْلُ الجُمانِ المُصَفّى[2]

فكأنّي بِمَا أُقَلِّبُ مِنْهُ ... صَيْرَفِيٌّ أضْحَى يُحاوِلُ صَرْفَا

وقول إسماعيل بن بدر وهو حلال من السِّحر: [البسيط]

أُهْدِي إليكَ مِنَ النُّوَّارِ أحْسَنَهُ ... قَدْ ضَلَّ في وَصْفِهِ مِنْ قَبْلِيَ النّاسُ

كَأنّها نُقَرٌ مِنْ فِضَّةٍ وُضِعَتْ ... فِيها مِنَ الذَّهَبِ الإبْريزِ أكْواسُ[3]

على الزُّمُرُّدِ قامَتْ عِنْدَ مَنْبِتِها ... في كُلِّ نُوَّارَةٍ مَفْتوحَةٍ كَاسُ

وقال الحاجب [أبو الحسن جعفر بن عثمان][4] المُصْحَفيّ يصفه بألفاظٍ رطبة، [ومعانٍ عَذْبة]، وأشار في أوّل بيت إلى ممدوح لم يُسمّه، وهي: [الطويل]

بِنَفسي وَأهْلي طالِعٌ خِلْتُ أنّهُ ... بأخلاقِ مَعْشوقِ العُلا يَتَخلَّقُ

حَكَى فِضَّةَ البَيْضاءَ والتِّبْرَ مَنْظَراً ... ولكنَّهُ بالنَّفْسِ ألْطَى وأعْلَقُ[5] [٨٦/ب]

فَصيحٌ إذا استنطقتَهُ عن زَمَانِهِ ... ومَاخِلْتُ أنَّ النَّوْرَ مِنْ قَبْلُ يَنْطِقُ

يَبُثُّكَ أنْفاسَ الحَبيبِ وإنّها ... لأذْكَى مِنَ المِسْكِ الذّكيِّ وأعْبَقُ

---

(١) في ط١: «أهوى» وهو تحريف.

(٢) الإبريز: الذّهب الخالص. الجُمان: اللؤلؤ.

(٣) النُّقَر، واحدها نُقرة: الحُفرة الصغيرة المستديرة.

(٤) في الأصل: «أبو جعفر».

(٥) ألْطى: ألْصَق.

أَتَانَا عَلَى عَهْدِ الشِّتَاءِ مُبَشِّراً ... بِعَهْدٍ يَروقُ النَّاظِرِينَ ويُونِقُ[1]

وقال أبو عمر أحمد بن فَرَج ـ وقيل: أخوه عبد الله ـ يصفه: [السّريع]

ونَرْجِسٍ تَطْرِفُ أَجْفَانُهُ ... كمُقْلَةٍ قَدْ دَبَّ فيها الوَسَنْ[2]

كأنَّهُ مِنْ صُفْرَةٍ عاشِقٌ ... يَلْبَسُ لِلْبَيْنِ ثِيَابَ الحَزَنْ

قال أبو الوليد: جرى في «ثياب الحُزن» على مذهب أهل الأندلس، إذ ثيابُ حُزْنِهِمْ بيضٌ. وهو تشبيه بديع، [وتمثيل رفيع، ومعنى مطبوع].

ومن التّشبيهات العقم التي تدلُّ على يقظة الفهم، قول ابن القرشيّة عبد العزيز ابن المنذر بن عبد الرَّحمن النّاصر لدين الله ـ رضي الله عنهم ـ وهو[3]: [الطويل]

كأنَّ الثَّرَى سِتْرٌ تَمُدُّ خِلاَلَهُ ... بِأَكْواسِ راحٍ رَاحَهُنَّ الكواعِبُ[4]

يُسَتِّرْنَ مِنْ فَرْطِ الحَيَاءِ مَعَاصِماً ... بِأكَمَامِهِنَّ الخُضْرِ عَمَّنْ يُراقِبُ

جعل قُضْبَهُ الخُضْرَ معاصم مستورة بأكمام خضر، وجعل أكفَّها مُبْيضَّة وكؤوسها مصفرّة.

وأنشدني الفقيه أبو الحسن بن علي الأشجعيّ [النّحويّ] يصف بهاراً أخرجه إليه أحد «بَني بَخْتٍ» وسأله وصفه، فقال [على البديهة]: [البسيط]

مَالِلبَهَارِ نَظِيرٌ في النَّواويرِ ... إذْ صَارَ أَوَّلَ مَخْصُوصٍ بتَبْكِيرِ

أمَا تَرَى الصَّبَّ والمَعْشوقَ قَدْ جُمِعَا ... في لَوْنِهِ بَيْنَ تَبْييضٍ وتَصْفِيرِ

كأنَّما رَقَّ للعُشَّاقِ مَنْظَرُهُ ... فَعَجَّلَ النَّوْرُ مِنْ بَيْنِ النّواوِيرِ

أَحْبِبْ بِهِ فلَقَدْ أنْبَا بطَلْعَتِهِ ... عَنِ السُّرورِ وَإِتْمَامِ التَّبَاشِيرِ

---

(١) يونق: يعجب.

(٢) في الأصل: «تطرف». الوَسَنُ: النُّعاس.

(٣) البيتان في الحلة السيراء ١/٢١١.

(٤) في الحلة السيراء: «بأكْؤسٍ».

وكتب الوزير أبو مروان بن الجَزيري إلى المنصور أبي عامر بن أبي عامر، وهو بأرْمِلاّط، عن بَهار العامريّة في كانون الأوّل الكائن في سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

«أطالَ اللهُ بقاء المنصور مولاي، وأدام عزّه، وهنّأهُ سرورَهَ، وسَوّغهُ نِعَمه عنده، إنّي - أيدّ الله المنصور مولاي - لمّا استقلّت زَهْرَتُها[1] مَائِلَةَ قُضْبِي، وتنبهّتْ من سِنَتِها[2] نائمةُ جُفوني، ونمّت[3] بعطرها ساطعةُ روائحي، وافترشتُ ديباجَ حديقةٍ بَكّر وَسْميُّها[4]، وتتابعَ وَلِيُّها[5]، فالتقى ثرياها، وأخذت الأرض زُخْرُفَها، وازّينت وطابَ صعيدها حتّى كأنّ[6] ترابَها فتيتُ المِسْكِ، أو سحيقُ الكافور، [عنّ لي زهوٌ بحُسني وارتياحٌ لحالي، وإعجابٌ بمكاني]، وشاركت ذلك دواعي هزّة الشّوق إليك، وشَواجي لَوْعة البُعد عنك حين فارقتَ محلّي، وآثرت بالزّيارة غيري فحرّكْنَ منّي ساكناً، وبعَثْنَ لي على مناجاةِ الشِّعْر خاطراً. فأجابني منه ماضَمَّنته غرائبَ وَصْفي، وأهديته إلى مولاي مع محاسنِ شَخْصي الّذي هو غَرْسُ همّته، وابنُ نِعْمته، لعلّ فِعْلي أنْ يوافق منه قَبُولاً، ويقسم لي من حُسْن تذكّره نصيباً بواسعِ تفضُّله وسابغ تطوّله، وكريم تحاورِه».

والشّعر[7]: [الكامل]

حَدَقُ الحِسانِ تقرُّ لي وتغارُ ... وتَضِلُّ في صِفَةِ النُّهَى وتَحارُ[8]

---

(١) في طـ١ وطـ٢: «بزهرتها مائلة».
(٢) السِّنَةُ: النُّعاسُ.
(٣) نمّت بعطرها: ظهر ريحها.
(٤) الوسميُّ: مطر الربيع الأوّل.
(٥) الوليّ: مطر الشتاء، وهو يلي الوسميّ.
(٦) في طـ١ وطـ٢: «كان».
(٧) الأبيات ١ - ٥ في الذخيرة ٤/١/٤٨، ونفح الطيب ١/٥٣١.
(٨) في الذخيرة والنفح: «صفتي».

طَلَعَتْ على قُضُبي عُيُونُ كَمائِمي ... مِثْلَ العُيُونِ تحفّها الأشْفارُ[1]
وَأخَصُّ شيءٍ بي إذَا شَبَّهتني ... دُرَرٌ تَنَطَّقَ سِلْكَها دِينَارُ
أَهْدَتْ لَهُ قُضُبُ الزُّمُرُّدِ ساقَهُ ... وحَبَاهُ أنْفَسَ عِطْرِهِ العَطَّارُ[2]
أنَا نَرْجِسٌ حَقّاً بَهَرْتُ عُقولَهُمْ ... بِبَديعِ تركيبي فقيلَ: بَهَارُ
إنّي لَمِنْ زَمَنِ الرَّبيعِ تَرُبُّني ... قِطَعُ الرِّياضِ وتُلْقِحُ الأمْطارُ[3]
فأكونُ عِطْراً للأُنُوفِ ومَنْظَراً ... بَهِجاً تَهَافَتُ نَحْوَهُ الأبْصَارُ
وتحيّةً بينَ النِّدامِ تُحَثُّ لي ... نُخَبُ الكُؤوسِ وتَنْطِقُ الأوْتَارُ
وأقَلُّ جُودِ العَامِريِّ مُحمّدٍ ... أَلْفٌ حَكَتْ حَدَقي وتِلْكَ نُضَارُ
عَشْرٌ تُعَدُّ مِنَ المئينَ لأَنْمُلٍ ... عَشْرٍ يُصَرِّفُها وَهُنَّ بِحَارُ [٨٧/ب]

قوله: «أَلْفٌ حَكَتْ» إنّما أنّث الألف لِصَرْفِها إلى الدّراهم، وأمّا الألف فمُذكّر.

ولايُحتاج[4] إلى ذكر أكثر من هذا المدح، كما لايحتاج إلى إطراء النّظم والنّثر بأكثر من أنّهما حلالٌ في السِّحْرِ.

ومن الحَسَنِ السَّريِّ قول أبي عُمر القَسْطَليّ يصفه في قطعة موصولة بِمَدْحِ المَظفَّر بن أبي عامر، وهي[5] : [المتقارب]

دُعيتَ فأصْغِ لِدَاعِي الطَّرَبْ ... وَطَابَ لكَ الدَّهْرُ فاشْرَبْ وَطِبْ[6]
وَهَذَا بَشيرُ الرَّبيعِ الجَديدِ ... يُبَشِّرُنا أنّهُ قَدْ قَرُبْ
بَهارٌ يَروقُ بِمِسْكٍ ذَكيٍّ ... وَصُنْعٍ بَديعٍ وخَلْقٍ عَجَبْ

(١) الأشفار: واحدها الشّفر: حرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر.
(٢) في الذخيرة والنفح: «أهدى له».
(٣) تربُّني: تتعهّدني بما يغذيني.
(٤) في ط١ وط٢: «نحتاج».
(٥) ديوان ابن درّاج ٣٢ ـ ٣٣.
(٦) في ط١: «لراعي» وهو تحريف.

غُصُــونُ الزُّمُــرُّدِ قَــدْ أوْرَقَــتْ لنَــا فِضَّــةً نَــوَّرَتْ بــالذّهَبْ[1]
إذا جُمِعَــتْ في حِبَــالِ الحَريــرِ وقَــامَتْ أمــامَكَ مِثْــلَ اللُّعَــبْ[2]
فَمِــنْ حَقِّهــا أنْ تَــرَى الشّــارِبينَ وَقَــدْ نَفَقَــتْ سُــوقُهُمْ بــالنُّخَبْ
وأنْ يَسْــألوا اللهَ طــوالَ البقــاء لِعَبْــدِ المليــكِ مَليــكِ العَــرَبْ[3]
فَلَــوْلا مَجَالِسُــهُ لَــمْ تَــرُقْ وَلَــوْلا شمائِلُــهُ لَــمْ تَطِــبْ[4]

وأنشدني الفقيه أبو الحَسَن بن عليّ للفقيه أبي عثمان بن البرّ قريبِهِ: [الطويل]

ألاَ فاسْــقِنِي روحَ النُّفــوسِ وَأُنْسَــها وَلَيِّــنْ بمـاءِ المُزْنِ في المَــزْجِ مَسَّــهَا[5]
وَشَعْشِعْ لنا شَـمْسَ الشَّـمُولِ بِبَدْرِهَـا وَأَجْــرِ عَلَيْنَــا بالمسَــرَّةِ كَأْسَــهَا[6]
فـأنْتَ تَـرَى أَقْمَـارَ نَرْجِـسِ رَوْضِنـا خـلافَ السَّـماويَّاتِ جَـاوَزْنَ شَمْسَـها
محاسِنُ لـو دانَـتْ أخَـا العِيِّ بـاقِلاً إذاً بَـذَّ سَــحْبَانَ البَرايَـا وقُسَّــهَا[7]

وأنشَدَني [لنفسه فيه] الوزير أبو عامر بن مسلمة قطعة غريبةَ التّشبيهات عجيبــة الصِّفَات، وهي: [مخلّع البسيط]

قَــدْ جَاءَنَــا رَائِــدُ الرَّبِيــعِ بِمَنْظَــرٍ رائــقٍ بَدِيــعِ
هُــوَ البَهــارُ الّــذي تَعَلّــى وَجَــلَّ في حُسْــنِهِ الرَّفيــعِ
كأنَّــهُ مُقْلَــةٌ تَشَــكّى إلى الحَيَــا قِلَّــةَ الهُجــوعِ [٨٨/آ]

(١) في الديوان: «غصون الزبرجد».
(٢) في الأصل: «جمال الحرير» تحريف. وفي ط١: «حبال الحديد» تحريف.
(٣) في الديوان: «تسألوا».
(٤) في الديوان: «فلولا محاسنه».
(٥) في ط١ وط٢: «ألا سقني».
(٦) الشَّمول: الخمر.
(٧) في ط١ وط٢: «لو وافت، بزَّ». وبزّ وبذّ بمعنى غلب. باقل: رجل اشتهر بالعيّ يُضرب به المثل فيقال: «إنه لأعيا من باقل» انظر أمثال أبي عبيد ٣٦٨. وسحبان وائل، وقسّ بن ساعدة الإيادي: فصيحان من فصحاء العرب يضرب بهما المثل.

أَكُـــفٌّ كـــافُورَةٍ قَـــدْ أَوْمَـــتْ بكـــأسِ تِـــبْرٍ إلى الرَّبِيـــعِ[1]

أو شُـــعْلَةُ النَّـــارِ وَسْـــطَ مَـــاءِ جُسِّـــدَ مِـــنْ ثَوْبـــهِ النُّصُـــوعِ

ولَهُ فيه قطعةٌ توازي هذه جَمالاً، وتُضاهيها كَمالاً كَتَبَ بها إلى أبي - وقاهُ اللهُ بي - وبعث معها بَهاراً مُبَكِّراً: [المتقارب]

أَيَـا مـاجِداً لَـمْ يَـزَلْ جُـودُهُ يَلُـوحُ كمـا لاَحَ ضَـوْءُ النَّهَـارِ

وَيَـا مَـنْ أَحَـلَّ بأَمْوالِـهِ سَـماحاً أَخَـلَّ بِصَـوْبِ القطـارِ[2]

بَعثْـتُ إلَيْـكَ بِنَـوْرِ البَهَـارِ حَكى فِضَّـةً حَـوْلَ مَحْـضِ النُّضَارِ

هُـوَ الـدُّرُّ نُظِّـمَ مِـنْ بَيْنِـهِ يَواقيـتُ فاقِعَـةُ الاصْفِـرارِ

أو المَـاءُ صُـيِّرَ مِـنْ فَوْقِـهِ إذا ماتَأَمَّلْتَـهُ ضَـوْءَ نَـارِ

نَهَـارٌ وَلكِنَّـهُ بَـاهِرٌ فَعُـوِّضَ مِـنْ ذَاكَ باسْـمِ البَهـارِ

كمَـا بَهَـرَتْ مِنْـكَ سِـيمَا العُـلاَ فَأَلْبَسَـتِ البَـدْرَ ثَـوْبَ السِّـرارِ[3]

بَقِيـتَ وَوُقِّيـتَ صَـرْفَ الـرَّدَى فَـإنَّكَ في كُـلِّ أَمْـرٍ مُـدارِي

وَمِمّا يُستَحْسَنُ فيهِ وتُستَغْرَبُ معانيه قولُ صاحب الشّرطة أبي بكر بن القوطيّة [وهو]: [البسيط]

زُمُـرُّدٌ أَوْرَقَـتْ أَغْصَانُـهُ دُرَراً فَـرَاحَ كالرَّاحَـةِ البَيْضَـاءِ مُنْفَطِـرا[4]

يُقِـلُّ ياقوتَـةً صَفْـراءَ فاقِعَـةً كأنَّها التِّبْرُ مِـنْ فَـوْقِ اللُّجَيْنِ جَـرَى

هُـوَ النَّهـارُ ولكِـنْ رَدَّ نُقْطَتَـهُ مَكيـدَةً تَحْتَـهُ النُّـوَّارُ إذْ وَغِـرَا[5]

---

(١) الكافور: شجر كبير من الفصيلة الغارية ينبت في الهند والصين تتخذ منه مـادة عطرية بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض.

(٢) الصّوب: المطر بقدر ماينفع ولايؤذي. القطار: المطر.

(٣) سرار الشّهر: آخر ليلة فيه.

(٤) الانفطار: الانشقاق.

(٥) في ط١ «وعرا». وغر: حقد وضغن.

ثُمَّتْ دَعَاهُ بَهَاراً كَي يُهَجِّنَهُ ... وَقَدْ حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ إذْ بَهَرَا[1]

كمُقْلَةٍ دَبَّ في أَجْفَانِهَا وَسَنٌ ... فَرَنَّقَتْ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَدْرِ طَعْمَ كَرَى[2]

وأهْدَى صاحِبُ الشُّرْطَةِ أبو بَكْر المذكور مُطَيَّب بَهار إلى الوزير أبي عامر بن مسلمة وكتب معه أبياتاً رائقة السِّمات، فائقة الصِّفات، وهي: [الخفيف]

قُلْ لِرَيْحَانَةِ العُلاَ والمَكَارِمْ ... والكَرِيمِ النِّجارِ وابْنِ الأكارِمْ[3]

قَدْ بَعَثْنَا إلَيْكَ يَاخَيْرَ نَاشٍ ... بالدَّنَانِيرِ فَوْقَ مَحْضِ الدَّراهِمْ [٨٨/ب]

لَمْ يَسُسْ طبْعَ هَذهِ جَعْفَرٌ قَطْـ ... ـطُ ولاضَرْبَ تِلْكَ راحَةُ قاسِمْ[4]

بِبَهارٍ يَحْكِي جمَالَكَ حُسْناً ... وَحَكَى عَرْفَكَ الذَّكِيَّ لِنَاسِمْ[5]

يَتَشَكَّى الظَّمَا وفي يدك الـرِّ ... يُ فَإنْ لَمْ تُرَوِّهِ كُنْتَ ظَالِمْ

دُمْتَ للمِهْرَجَانِ والعِيدِ والنَّيْـ ... ـرُوزِ إلْفاً مِنَ الحَوادِثِ سَالِمْ[6]

فجاوبَهُ الوزير أبو عامر بن مَسْلمة بديهَةً بأبياتٍ تُشاكِلُها براعة، وتُشابِهُها بزاعَةً، وهي[7]: [البسيط]

في النَّرْجِسِ الغَضِّ شِبْهٌ لاخَفَاءَ بِهِ ... لِلنَّيِّرَيْنِ يُرَى في طَالِعِ الزَّهَرِ

---

(١) بهر: غلب.

(٢) في ط١ وط٢: «فدنّقت.. لم يدر». ودنّقت تحريف رنّقت، أي خالطها النوم.

(٣) النّجار: الأصل والحسب.

(٤) ضَرْبَ: مخفّفة عن ضَرَبَ. وجعفر هو ابن يحيى البرمكي ت (١٨٧هـ/٨٠٣م) وزير الرشيد العباسيّ. وكان حاذقاً بالسياسة، وقاسم هو ابن عيسى بن إدريس بن معقل. **أبو دُلَف العجلي** ت (٢٢٦هـ/٨٤٠م) أمير «الكرج» وأحد رجالات هارون الرشيد والمأمون العبّاسيين له كتاب (سياسة الملوك). **قال الشاعر: فما الكرج الدّنيا ولا الناس قاسم.**

(٥) في ط١ وط٢: «ببهارٍ حكى». والناسم: المتنشّق.

(٦) المهرجان: عيد الفرس. ومعناه المحبّة المتصلة. والنيروز: أوّل يوم من السنة الشمسية. ومعناه يوم جديد.

(٧) البيت الثالث في نهاية الأرب ١١/٢٣٢، مع بيت آخر قبله هو:

انظر إلى نرجسٍ في روضةٍ أنفٍ ... غنّاء قد جمعت شتّى من الزَّهر

فَصُفْرَةُ الشَّمْسِ قَدْ رَدَّتْهُ صُفْرَتَها وَقَدَّ مُبْيَضَّهُ مِنْ صَفْحَةِ القَمَرِ
كَأَنَّ ياقُوتَةً صَفْراءَ قَدْ طُبِعَتْ في غُصنِهِ حَوْلَهُ سِتٌّ مِنَ الدُّرَرِ[1]
حُسْنٌ يَدُلُّ عَلى إِتْقانِ صَانِعِهِ سُبْحَانَهُ مُبْدِعِ الأَخْلاقِ والصُّوَرِ

ولَهُ [أيضاً] فيه قطعةٌ موصولةٌ بَمدْحِ ذي الوزارتينِ القاضي ـ أطالَ الله عمره، [كما أطابَ ذكره] ـ وهي: [الطويل]

أرَى في البَهارِ النَّرْجِسِيِّ تَلأْلُؤاً عُيونُ الوَرَى مَشْغوفَةٌ بالِتماحِهِ
كَأنَّ الرِّياضَ الخُضْرَ صُغْنَ لِبَاسَهُ بِشَكْلَين مِنْ مَاءِ الغَمَامِ وَراحِهِ
أو الدَّهرَ رَدَّاه سُروراً بِشَخْصِهِ رِدَاءَيْنِ مِن إسْفارِهِ وصَباحِهِ
فَحُلَّتُهُ في لَوْنِها ذَهَبِيَّةٌ وفِضِّيَّةٌ أثْناءَ عَقْدِ وشاحِهِ
جَمالٌ بِهِ حَلَّ الرَّبيعُ قَرارَهُ وَمِنْهُ كَسَا لاشَكَّ نَوْرَ أقاحِهِ[2]
كَما قَدْ تَحَلَّى الدَّهْرُ مِن بَعْدِ عُطْلَةٍ بِجُودِ ابنِ عَبَّادٍ وفَضْلِ سَماحِهِ
بِهِ نِيلَتِ الآمَالُ في كُلِّ بُغْيَةٍ وبوشِرَ بُرْدُ الأمْنِ تَحْتَ جَنَاحِهِ

ومن البديع المختار فيه ماأنشدني[3] [لنفسه] أبو جعفر بن الأبّار وهو: [البسيط]

أمَا تَرَى الرَّوْضَ رَاضَاهُ الحَيَا فَبَدَا للنَّرجِسِ الغَضِّ فيه لَحْظُ مَبْهُوتِ[4]
مِثْلَ العُيونِ رَنَتْ، أشْفارُهَا دُرَرٌ لَكِنْ أَنَاسِيُّها صُفْرُ اليَواقِيتِ

الأناسيُّ: جمعُ إنسان وهو ناظِرُ العَيْنِ وحَدَقَتُها.

البَنَفسَجُ

وأنشدني فيه [لنفسه] أبو علي إدريس بن اليَمان بيتين سابقين[5] .

---

(١) في نهاية الأرب: (حولها).
(٢) في ط١ وط٢: «عراره» والقرارة والقرار: المطمئن من الأرض.
(٣) في ط٢: «ماأنشدنيه».
(٤) مبهوت: دَهِشٌ متحيّر .
(٥) سلف البيتان في الصفحة ٨٥ مع أبيات أخرى.

وقال أبو قاسم بن هانئ الأندلسي[1] : [٨٩/آ] [البسيط]

بَنَفْسَجٌ جُمِعَتْ أَنْوارُهُ فَحَكَتْ ... كُحْلاً تَشَرَّبَ دَمْعاً يَوْمَ تَشْتيتِ[2]

أَوْلازَوَرْدِيَّةٌ أَرْبَتْ بِزُرْقَتِهَا ... وَسْطَ الرِّيَاضِ على زُرْقِ اليَواقيتِ[3]

كَأَنَّ قُضْبانَهُ والرِّيحُ تَحْمِلُهَا ... أَوَائِلُ النَّارِ في أَطْرافِ كِبْريتِ[4]

وللوزير الكاتب أبي الأصبغ بن عبد العزيز فيه قطعةٌ أغْيَتْ في الجَمالِ فأعيَتْ أهْلَ الكَمَال، موصولة بمَدْحِ الحاجبِ - حَجَبَهُ ا للهُ عن النّوائب - وهي: [الكامل]

وَبَنَفْسَجٍ أَرْبَى عَلَى النُّوّارِ ... وَأفادَنَا عِطْراً بِلاَ عَطَّارِ

فَكَأَنَّ أعْلاهُ في فَيْروزَجٍ ... وبِسَاطُهُ في خُضْرَةِ الأَشْجَارِ[5]

وَافَاكَ في وَقْتِ الزِّيَارَةِ قائِمَاً ... وَقَدِ انْحَنَى للوَحْيِ بالأَسْرَارِ

هُوَ مِسْكَةٌ خُلِقَتْ لَهَا أوْراقُهَا ... في لَوْنِهَا مِنْ صَنْعَةِ الجَبَّارِ

أو رُقْعَةٌ زَرْقَاءُ مِنْ كَبِدِ السَّمَا ... في يَوْمِ صَحْوٍ فِتْنَةُ النُّظَارِ

أو لِمَّةُ الحَسْنَاءِ تَحْسِبُ وَسْطَهَا ... لِلزَّعْفَرانِ مَوَاضِعَ الآثَارِ[6]

أو لُجَّةٌ كَحْلاءُ هَزَّتْهَا الصَّبَا ... فَتكسَّرَتْ ليناً على مِقْدَارِ[7]

أو دِرْعُ حَاجِبِنَا أَتَتْهُ صَقيلَةً ... وَقَدِ انْبَرى للفَتْكِ بالكُفَّارِ

---

(١) لم أقف على الأبيات في المطبوع من ديوان ابن هانئ، وقد وردت في ديوان ابن الرومي ٣٩٤/١، وجاء البيتان الثاني والثالث في ديوان ابن المعتز ١٦٨/٢.

(٢) في ديوان ابن الرومي: «أوراقه فحكى كحلاً...».

(٣) في ديوان ابن الرومي: «ولازورديّة تزهو.... حمر اليواقيت» وفي ديوان ابن المعتز: «ولازورديّة أوفت بزروقتها بين الرياض». اللازورد: معدن مشهور. فارسي معرب.

(٤) في ديوان ابن الرومي: «كأنها وضعاف القضب تحملها. في ديوان ابن المعتز: «كأنها فوق طاقات ضَعفن بها». الكبريت: حجر يوقد به. وقيل: هو الياقوت الأحمر.

(٥) الفيروزج: حجر كريم، وهو المعروف بالفيروز. فارسي معرب.

(٦) اللِّمَّةُ: شعر الرأس إذا جاوز الوفرة.

(٧) اللُّجَّة: معظم الماء. الصَّبا: ريح.

مَلِـكٌ قُلُـوبُ الأُسْـدِ بـين ضُلوعِـهِ   وَبوَجْهِـهِ قَمَـرٌ مِـنَ الأقْمَـارِ
فَـإذا سَطَا فـالصُّبْحُ دَاجٍ مُظْلِـمٌ   وإذا عَفَـا فـاللَّيلَ في إسْـفارِ

ومن المعاني الجزلة في الكلمات العذبة ماأنشدني لنفسه فيه أبو عامر بن مسلمة، وكتب به إلي ذي الوزارتين أبي أيوّب بن عبّاد ـ أبقاه ا لله ـ في زمن البنفسج، وهـو:

[المجتث]

يـامَن تَحَلَّـى بـِهِ الفَخْـ ـرُ والسَّـنَاءُ يُتَـوَّجْ[1]
وَمَـنْ بجُـودِ يَدَيْـهِ   بَـابُ الغِنَـى غَـيْرُ مُرْتَـجْ[2]
وَمَـنْ بطِيـبِ ثَنَـاهُ   نَـارُ العُـلا تَتَـأجَّجْ
إذا انتَشَـيْتَ فَعَـرِّجْ   عَلَـى رِيَـاضِ البَنَفْسَـجْ
تَجِـدْ بـِهِ رَوْضَ حُسْـنٍ   في ثَـوْبِ أَرْضٍ مُدَبَّـجْ[3]
فَثَـمَّ فـاعْكِفْ وَبَـاكِرْ   مُدَامَـةً تَتَوَهَّـجْ
تَـرَى زُمُـرُّدَ أَرْضٍ   مِنْـهُ اليَواقيـتُ تُنْتَـجْ
كأنَّـهُ لُجَّـةُ البَحْـ ـرِ غـاصَ فيهـا مُلَجِّـجْ[4] [٨٩/ب]
فـأخْرَجَ الـزُّرْقَ لكِـنْ   بغيرِهَـا لَـمْ يُعَـرِّجْ
حَكَـى حُسَـامَ أَبـي أيْـ ـيُـوبٍ المُتَضَـرِّجْ
أَغْنِـي ابْـنَ عَبَّـادٍ المَـا ـجـدَ الكريـمَ المُتَـوَّجْ[5]

وأنشدني [لنفسه فيه] الفقيه أبو الحسن بن عليّ أحسن ابتداع، وأغرب اختراع، موصولاً بمَدْح ذي الوزارتين أبي عمرو بن عبّاد ـ أدام ا لله عِزّته،

---

(١) السَّناء: المجد والرفعة والشرف.
(٢) مُرتج: مغلق.
(٣) مُدَبّج: مُزَيّن.
(٤) أراد بالمُلَجِّج: الغوّاص.
(٥) البيت ساقط من ط١ وط٢.

ووصل حرمته ـ وهو: [الطويل]

أَلاَ حَبَّـذا المَحْبُـوبُ نَـوْرُ البَنفْسَـجِ ... وَأَحْبِـبْ بِمَـرآهُ البَديـعِ وَأَبْهِـجِ
حَيَـاةٌ وَرُوحٌ للعَليـلِ نَسِيـمُهُ ... وَمَنْظَـرُهُ أُنْـسُ المُتَيَّـمِ والشَّـجي[1]
وَنَـوَّارُهُ كـالعِقْدِ في صَـدْرِ غَيِّـدٍ ... لمختلـسٍ سَـهْوَ الرَّقيـبِ ومُدْلِـجِ[2]
وَحُمْـرُ اليَواقيـتِ الوِضـاءِ وصُفْرُهـا ... تَألَّفَتَـا في لَوْنِـهِ المتَضَـرِّجِ
فَلَـوْ نَظَمَتْـهُ الحَاليـاتُ لأَشْـرَقَتْ ... جَواهِـرُهُ في كُـلِّ قُـرْطٍ وَدُمْلُـجِ[3]
محَاسِـنُهُ مِـنْ حُسْـنِ عَبَّـادٍ الرِّضَـا ... ولألاؤهُ مِـنْ وَجْهِـهِ المُتَبَلِّـجِ[4]

وله أيضاً بيتان استوليا على أمَدِ الإحسانِ وَهُمَا: [الطويل]

إذا مَـانَواويرُ البَنَفْسَـجِ أَطْلَعَـتْ ... جَواهِرَهَـا في الـرَّوْضِ نَـثْراً بـلا سِـلْكِ
رَأَيْـتَ سَـمَاءً وُشِّـحَتْ دِرْعَ خُضْـرَةٍ ... عَلَيْهـا نُجُـومٌ طَالِعَـاتٌ مِـنَ المِسْـكِ

ولأبي جعفر بن الأبّار فيه قطعة جيّدةُ [الحبْـكِ حَسَنة السَّبْكِ] موصولـةٌ بمدح الحاجب ـ لاأعد منا الله جاهَهُ كما أعْدَمنا أشباهَه ـ وهي: [الكامل]

صَـادِ الزَّمَـانَ وَرَوِّ غُلَّـةَ صَـادِ ... بِمُدَامَـةٍ لَـمْ تَعْـدُ مَوْلِـدَ عَـادِ[5]
أَوَمَـا تَـرَى ثَغْـرَ الـثَّرَى مُتَبَسِّـمَاً ... لَـكَ عَـنْ مَـرادٍ مُونِـقٍ وَمُـرادِ[6]
وبَنَفْسَـجُ الـرَّوْضِ الأغَـرِّ كَأَنَّـهُ ... في حُسْـنِهِ لَعَـسٌ عَلَيْـهِ بَـادِ[7]
لابَـلْ كأجْنِحَـةِ الفَـراشِ تَـألَّفتْ ... نَسَـقَاً وَقَـد خُضِبَـتْ مِـنَ الفِرْصَـادِ

(١) المتيّم: الذي استولى عليه الحبّ، والشّجيّ: المحزون.
(٢) في ط١: «كـالغصن في صـدر غـادةٍ»، ومدمـج». في ط٢: «كـالغصن في صـدر أغيـد... مدمج». والمدلج: سائر الليل كلّه.
(٣) الحاليات: النّساء يلبس الحَلْي، الدُّمْلج: المِعْضَدُ من الحليّ.
(٤) المتبلجّ: المُشرق.
(٥) عاد: قبيلة من العرب البائدة.
(٦) المرادُ: المرعى. المُرادُ: الشيء الذي يراد.
(٧) اللّعسُ: سواد اللّثة والشّفة.

رَوْضٌ يَظَلُّ اللَّحْظُ يَعْبُدُ حُسْنَهُ ... كَعِبَادَةِ العَلْيَا بَنِي عَبَّادِ
يُزْهِي المَحَافِلَ والجَحَافِلَ مِنْهُمُ ... أَسْنَى عَمِيدٍ لِلْوَرَى وعِمَادِ
الحَاجِبِ المَحْجُوبِ طَاهِرُ عِرْضِهِ ... بِنَدَى جَوادٍ فِي الرِّهَانِ جَوادِ
صَلَتَانَ مَازَالَتْ حِدادُ سُيُوفِهِ ... وَقَنَاهُ تَكسُو الشِّرْكَ ثَوْبَ حِدادِ[1]

قوله: «صاد» أوّل القطعة أمْرٌ من صَادَيْتَهُ إذا دارَيْتَهُ. و«صادٍ» الثّاني اسم الفعل مِن الصَّدى وهو:[٩٠/آ] العَطَش، والفِرْصادُ: التُّوتُ، وقوله: «في الرهان جوادٍ». معناه: سابق، و«جواد» قبلَهُ بمعنى كريم. و«حِدادُ سيوفِهِ» معناه: قاطعة ماضية، و«حداد» الثّاني: لِبْسة الحُزْنِ وهيئتُه.

ولأبي علي إدريس بن اليمان فيه قطعة رفيعة الوصف، بديعة الرَّصف وهي:

[الكامل]

فُتِقَ الثّرى مِنْ نَوْرِهِ بِكَواكِبٍ ... دُعْجِ النَّواظِرِ والخُدودِ عَجَائِبِ[2]
فَأَدِرْ عَلَيَّ الكَأْسَ بَيْضَخْتِيَّةً ... فِي دَوْلَةِ النَّجْمِ الرَّفِيعِ الثَّاقِبِ[3]
طَبَعَ الرَّبِيعُ على بشَاشَتِهِ بِهِ ... طَبْعَ الشَّبيبةِ فَوْقَ ثَدْيِ الكَاعِبِ[4]

شبّه لَوْنَهُ بلَوْنِ أطراف الثّدي وهو من الاختراع السَّريّ. وبيضختيّة: منسوبة إلى «بيْضخت» قرية بعينها.

وأنشدني لنفسه أيضاً فيه بيتين أنيقيّ[5] التّشبيه وهما: [الكامل]

[وأريضَةٍ] حَاكَ الغَمَامُ بُرُودَها ... وسَقَى بِريقِ الغانِياتِ بَرودَها[6]

---

(١) الصَلِتان من الرجال: الشديد الصّلب.
(٢) الدَّعَجُ: شدة سواد العين مع اتّساعها.
(٣) في ط١ وط٢: «بَيْدَ ختيَّة»، وهي لغة في بيضخت.
(٤) الكاعب: التي نهد ثديُها.
(٥) في ط١: «أنيقيّ».
(٦) الأريضة: الأرض الكريمة الكثيرة النبات.

ضَحِكَ البَنَفْسَجُ فَوْقَهَا فَكأنَّما نَثَرَتْ بِهِ خُضْرُ الحَمامِ عُقُودَهَا

شَبَّهَهُ بلوْنِ أطواقِ القماريّ، وهي موضع العقود مِمَّنْ يستعْمِلُها، وهذا التّمثيل مُفَضَّلٌ له مُستَحْسَنٌ منه.

قال أبو الوليد: هذا ماعثرتُ عليه في البنفسج، وحين أوردتُهُ أبدأ بالخيريّ النّمام إذ يقربُ من حُسْنِهِ، ويشاركُه في لونه.

الخيريُّ النَّمَّامُ

أَطْبَعُ ماجاء فيه، وأَبْرَعُ ماشُبِّهَ بِهِ قول أبي مروان المُراديّ وهو[1] : [الطويل]

يَنِمُّ مَعَ الإظْلاَمِ طِيبُ نَسيمِهِ ويَخفَى لَدَى الإصْبَاحِ كالمُتَسَتِّرِ

كعَاطِرَةٍ لَيْلاً لَوَعْدِ مُحِبِّهَا وَكاتِمَةٍ صُبْحَاً نَسيمَ التَّعَطُّرِ

هذا المعنى ابتذلَهُ الشُّعراء [بعده]، وهو اختراع حَسن له.

ولأبي عمر يوسف بن هارون الرّمادي فيه تشبيهٌ حَسَنٌ [مِن قصيد بديهيّ] وهو[2] : [البسيط]

أُنْظُرْ غَرائِبَ للخيريِّ ظَاهِرَةً عِنْدَ الظَّلامِ وعِنْدَ الصُّبْحِ تَسْتَتِرُ

كأنَّهُ سارقٌ طِيباً تَفرَّق في الظْـ ـظَلْماءِ فَهْوَ بِنَمِّ الرِّيحِ مَشْتَهَرُ

وقال أبو عمر أحمد بن درّاج القسطليّ يصفه في قطعة سريّة موصولة بمدح المظفّر بن أبي عامر ـ رحمه الله ـ[٩٠/ب] وهي[3] : [المتقارب]

غَدَا غَيْرَ مُسْعِدِنَا ثُمَّ رَاحَا يُسَاعِدُنا طَرَبَاً وَارْتِيَاحَا

وَخُيِّرَ فَاخْتَارَ شُرْبَ الغَبُوقِ وَلَجَّ فَلَيْسَ يَرَى الاصْطِبَاحَا[4]

---

(١) البيتان في نهاية الأرب ٢٧٣/١١ دون عزو. وروايته: «مع الإصباح».

(٢) ديوان الرمادي ٦٩ ـ ٧٠.

(٣) ديوان ابن دراج: ٣٤.

(٤) في الديوان: «دين الغبوق». والغَبُوق: مايُشرَب بالعَشيِّ. والاصطباحُ: شربُ الصّباح.

فَـإنْ آنَـسَ الصُّبْـحَ نَـامَ وَشَـحَّ — وَإنْ آنَـسَ اللَّيْـلَ نَـمَّ وَفَاحَـا[1]

كمـا خَـيَّرَ ا للهُ عَبْـدَ المَليـكِ — فَاخْتَـارَ في راحتَيْـهِ السَّـمَاحَا[2]

وفي صَهَـواتِ الخُيـولِ الرِّجـالَ — ومِـنْ أدَواتِ الرِّجَـالِ السِّـلاَحَا

فعَـمَّ القَريـبَ نَـدًى والبَعيـدَ — وروّى السُّـيوفَ دَمَـاً والرِّمَاحَـا

ولأبي القاسم بن شِبْراق فيه وصف بديع وتشبيهٌ مطبوع في قطعة موصولة بمدح المنصور بن أبي عامر - رحمه ا لله - وهي: [الكامل]

وبَنَفْسَـجيٍّ اللَّـونِ يكْتُـمُ طِيبَـهُ — عنـد الشُّـروقِ وفي الظَّـلامِ يَنِـمُّ بـهْ

فكأنَّـهُ ذو مَذْهَـبٍ ألْفـى الدُّجَـا — سِتْراً وَأَمْسَكَ مُصْبِحـاً عـن مَذْهَبِـهْ

أو مُسْتَسِـرٌّ عَـنْ غَريـمٍ فَاقَـهُ — غَرِيَـتْ لَجَاجَـاً نَفْسـهُ بتَطَلُّبِـهْ

والصُّبْـحُ مِـنْ غُرَمَائِـهِ وَلأَجْـلِ ذَا — لِـكَ يَسْتَسِـرُّ تَلـوُّذاً عَـنْ مَطْلَبِـهْ

قَـدْ كـانَ يـأخُذُهُ الصَّبـاحُ بغَفْلَـةٍ — لـوْ لَمْ يَنِـمَّ عَلَيْـهِ مَطْلِـعُ كَوْكَبِـهْ

كَكَتَـائبِ الرُّعْـبِ الّـتي تَتَقَـدَّمُ الْـ — مَنْصـورَ وَهْـوَ بإثْرِهَـا في مَوْكِبِـهْ

فَتَفِـرُّ قَبْـلَ حُلولِـهِ عِنْـدَ العِـدَا — عِلْمـاً بـأنَّ النَّصْـرَ أمْـرٌ خُـصَّ بِـهْ

ومن الباهر جماله، الظّاهر كماله، قطعة لصاحب الشّرطة أبي بكـر بـن القوطيّـة موصولة بمدح أبي - أبقى ا لله عَليَّ ستره ورزقني برّه - وهي: [الكامل]

وَمُضَـرَّجِ الأَثْـوابِ مِسْـكيٍّ النَّفَـسْ — فَكأنَّمـا اشـتُقَّتْ حُـلاهُ مِـنَ الغَلَـسْ[3]

شَـرِكَ البَنَفْسَـجَ في الأَديـمِ فَلَوْنُـهُ — مِـن لَوْنِـهِ فَكَأنَّـهُ مِنْـهُ اختُلِـسْ

يَسْـري إذا طَـرَقَ الظَّـلاَمُ نَسـيمُهُ — ويَظَـلُّ يَكْمُـنُ بالنَّهـارِ كَـذِي دُلَـسْ[4]

---

(١) شحّ: بَخل.

(٢) في ط١: «فأختار».

(٣) الغَلَسُ: ظلام آخر الليل.

(٤) دُلس: من التدليس: إخفاء العيب.

مُتَنَكِّـراً حَتَّـى المَسَـاءِ وإنَّمَـا سُـلْطانُهُ بـاللَّيْلِ فَهْـوَ مِـنْ الحَـرَسْ [٩١/ب]

جِنْسٌ يُخَالِفُ كُلَّ جِنْسٍ في التَّعَـر ري والتَّلَبُّـسِ والتَّوَحُّـشِ والأُنُـسْ

فَـتَراهُ طُـولَ نَهـارِهِ مُتَجَـرِّداً مِـنْ عَرْفِـهِ ومـع الدَّيـاجي مُلْتبِـسْ

وَتَـراهُ طُـولَ نهـارِهِ مُتَوَحِّشـاً فَـإذَا دَنَـا وَقْـتُ الظَّـلام لَـهُ أَنِـسْ

أُنْسَ المَعـالي بـابنِ عَـامرٍ الّـذي عَمِـرَتْ بدوْلَتِـهِ مَنَازِلُهـا الـدُّرُسْ

أَحْيَى الرِّياسَـةَ بالسِّياسَـةِ فَهْـوَ مُفْـ صِـحُ لُكْنِهَـا... بعـد الخَـرَسْ[١]

وَعَـلاً فلَـمْ يَرِثِ العُـلاّ والمَجْـدَ عَـنْ جَـدٍّ لـهُ نَكِـسٍ ولاجَـدٍّ تَعِـسْ[٢]

نُـورٌ تَوَقَّـدَ فاسْـتَبَانَ بِلَمْحِـهِ ماكـانَ أشْـكَلَ قَبْـلَ ذَلِـكَ والْتَبَـسْ

ولبعض الأندلسيّين فيه مَغزًى دقيقٍ ومَعْنًى رقيق، وقيل: إنّه لعُبادة بن ماء السَّماء وهو: [الخفيف]

وَكَـأنَّ الخِـيريَّ في كَتْمِـهِ الطِّيـ بَ فَقيـهٌ مُغـرًى بِطُـول رِيَـاءِ[٣]

يُظْهِـرُ الزُّهْـدَ بالنَّهـارِ وَيُمْسِـي فَاتِكـاً لِيْلَـهُ مَـعَ الظُّرَفَـاءِ

وقال الوزير أبو عامر بن مَسْلَمة يصفه بأبدع وأغرب[٤] وهو: [مجزوء الرّجز]

وَرَوْضَـةٍ مَحْفُوفَـةٍ بِكُـلِّ حُسْـنٍ مُقْـتَرَحْ[٥]

خِيريَّهَـا بخُلْقِـهِ عَـنْ كُـلِّ نَـوْرٍ مُنْـتَزِحْ[٦]

يَكْتُـمُ أسْـرَارَ الهَـوَى فَـإنْ أَتَـى اللَّيْـلُ يُبُـحْ

---

(١) بياض بمقدار كلمة في الأصل وط١ وط٢. وفي ط١ وط٢: «بعد الحرس» وهو تصحيف.

(٢) في الأصل «وجلا». النّكس: الضّعيف العاجز، وجدّ تعس: حَظّ عاثر. واللُّكنَةُ: عيٌّ وثقل في اللّسان.

(٣) الرِّياءُ: التظاهر بخير دون حقيقته.

(٤) في ط١ وط٢: «وأعرب» بالعين المهملة.

(٥) في ط١ وط٢: «مفترح».

(٦) منتزح: بعيد.

مُغْتَبِـــــقٌ لَيْـــــسَ يَـــــرَى   في دِينِــــــهِ أنْ يَصْطَبِــــــحْ[1]

ومن التّشبيه العَليّ قَوْلُ الفقيه أبي الحَسَن بن علي وهو[2] :   [السّريع]

مَـــــاأكْرَمَ الخِــــيريَّ في فِعْلِــــهِ   يَسْـــهَرُ إذْ نـــورُ الرُّبَــــا نــــاعِسُ

كَأنّمـــــا خَــــافَ عَلَيْـــهِ العِـــدَا   فَهْـــوَ لَـــهُ في لَيْلِـــهِ حـــارِسُ

قال أبو علي إدريس بن اليَمان يصِفُه بوصْفٍ مُتقدّم الإحسان وهو: [الرّجز]

مَراشِيــفُ الخِــيريِّ حُــوٌّ لُعْــسُ   كأنَّــهُ قَــدْ قَبَّلَتْــهُ الشَّــمْسُ[3]

أوْ نُفّسَــتْ للْمِسْــكِ فيــهِ نَفْــسُ   الطِّيــبُ في اللَّيْــلِ عليــهِ حُبْــسُ

ومَالَــهُ تَحْــتَ النّهــار حِــسُّ   كأنمــا الضَّــوْءُ عَلَيْــهِ حَبْــسُ

قوله: «قَبَّلَتْهُ الشَّمْسُ» يعني أنَّ لونَهُ كلونِ مَنْ أثَّرت فيه الشّمس، وإلى هذا أشار، وإيّاه[4] أراد.

وله أيضاً فيه تشبيةٌ عجيب أنْشَدَنيه وهو:[٩١/ب]   [الكامل]

أهْـــلاً بِسَـــارٍ طِيبُـــهُ لاسَـــارِبُ   أضْحَـى هَـواهُ مُضَرَّبًـا بضَرائـــبِ[5]

يانـاجِمَ الخِـــيريِّ جـادَكَ كـلُّ ذي   ثَغْـرٍ لَجيْـبِ الدَّجْنِ فَوْقَـكَ جـائبِ[6]

أُعْطيـتَ أنْفَـاسَ الحَبيـبِ مُعَطَّـراً   وَخُلِقْتَ مِنْ خيلانِ ثَوْبِ الكـاتِبِ

ومِمّا كثُر شَغَفُ أهل المَيْزِ بهِ، واستحسان ذوي الفَهْمِ له قول أبي جعفر بن الأبّار، وهو: [السّريع]

لاتَعْذُلـوا الخِـيريَّ في كَتْمِـهِ الطْـ   ـيبَ اسْـتِتَارًا فَهْوَ عَيْنُ الصَّـوابْ

---

(١) مغتبق: أي يشرب عشاء. ويصطبح: يشرب صباحاً.

(٢) البيتان في نهاية الأرب ٢٧٢/١١ دون عزو.

(٣) الحوّة: حمرة تضرب إلى السّواد. اللّعَسُ: سواد اللّثة والشفة.

(٤) في ط١ وط٢: «وإليه أراد».

(٥) الساري: السّائر بالليل. والسّارب: المتواري.

(٦) ناجم: طالع. لجيب الدّجن: الغيم الماطر.

الصُّبـــحُ شِـــبْهُ الشَّـــيْبِ في لَوْنِـــهِ　　　فعَافَـــهُ واللَّيْـــلُ شِـــبْهُ الشَّـــبَابْ

وأنشدني [لنفسه فيه] أبو بكر بن نَصْرٍ أبياتاً مطبوعة تضَمَّنت أوصافاً بديعة وهي:

[الطويل]

أُحِـبُّ مِـنَ الإخْـوانِ نَدْبَـاً مُبَـادِراً　　　نَقِـيَّ الحُلَى مِمَّـا يُدَنِّـسُ طَـاهِرَا[1]

يُلِـمُّ بِلَيْـلٍ للمُـدَامِ مُنَادِمَـاً　　　ويَنْفَـضُّ عَنّـي حِيَـن يُصْبِـحُ سَـائِرا

وَرَيْحانُنـا الخِيـرِيّ مَحْضـاً فـإنّني　　　تَخَيَّرْتُـهُ بيْـنَ النّواويـرِ نـاضِرَا

لِما أنَّهُ يُضْحي مَعَ العَـرْفِ عـاطِلاً　　　نَهـاراً ويُمْسي مُـدَّةَ اللَّيْـلِ عـاطِرَا

كـأنَّ لَـهُ لُـبَّ الأَريـبِ فما يَـرَى　　　مُشَـاهَدَةَ اللّـذَاتِ إلاَّ مُسَـاهِرا[2]

قال أبو الوليد: وبعث إليَّ صاحب الشُّرطة أبو الوليد بن العُثمانيّ مُطَيَّب خِيرِيّ مُبَكّر، وكتب معه قطعَةَ نثرٍ مُقتطعةً مِن السِّحر، وهي بعد صَدْرها:

«بَعثتُ بخِيرِيّ جازَ حـدَّ التّبكـير بأُنْسِـهِ، فَحـاز قَصَـبَ السَّبْقِ في أَبْنـاء جِنْسِـهِ، مَنْظرُه أَرْبى على المِسْكِ بنَضْرَتِهِ، ومَخْبَرُه قَصَّر عـن شِيَمِكَ علـى بَسْطَتِهِ. فاقْبَلْهُ بحقِّ المَجْدِ عليك، ووسائل الحَمْدِ إليك، بَهجاً منظـرُه، أرجـاً مَخْـبَرُهُ، إذا دَنـا الظّـلامُ ونـامَ الأنامُ إلاّ مَنِ استَدْعى عَرْفَهُ[3]، واستجدَى عُرْفَهُ»[4]

فجاوبتُهُ، والجوابُ بعدَ صَدْرِهِ:

«فلمّا تعاهَدَت خِيرِيَّكَ عِهادُ[5] شِيَمِكَ، ودامَتْ عليه دِيَمُ كَرَمِكَ، بَكَر مُتَنعِّماً منها، مُتَنَفِّساً عنها، ولانِدَّ لهُ إلاّ النَّدّ، ولامِسْكَ لهُ إلاّ المَسْكِ، وقـد قَبَضْتُهُ مَشْغوفاً بـه مُسْتَلِذّاً بِقُرْبِهِ، مُتَعَجِّباً مِنْ حُسْنِ اختيـاره لاستتارِه/ [٩٢/آ] باستهتارِهِ تحت جناح

(١) النَّدْبُ: الخفيف في الحاجة.

(٢) في ط١ وط٢: «لفَّ الأريب» وهو تحريف. والأريب: العاقل.

(٣) العَرْفُ: الرائحة الطيبة.

(٤) العُرْفُ: الجود.

(٥) العهاد: الحديثُ من المطر.

الظّلام ليسْلَمَ مِنَ الجُناح[1] والمَلام. وقد صنعت فيه أبياتاً بديهيّة متـأخّرةً، فـأغْضِ علـى مافيها مُحْسِناً إلى مُهديها. وهي: [السّريع]

نَهـــارُ خِـــيريِّكَ في لَيْلِــــهِ ... كَذلِـكَ اللَّيْـلُ نَهـارُ الأَديـبْ

يَنِـمُّ فِيــهِ وينـــامُ الضُّحَــى ... تَصاوُنـاً عـن كُـلِّ أمْـرٍ معيـبْ[2]

كأنَّمـا اللَّيْــلُ حَبيــبٌ لَـهُ ... فَهْـو إذا حَـلَّ اكتَسـى كُـلَّ طِيـبْ

كأنَّمَـا الصُّبْـحُ رقيـبٌ لَـهُ ... فَـيَرْعَوي عِنْـدَ طُلُـوعِ الرَّقيـبْ[3]

النِّدُّ: المثل. والنَّدُّ: الطّيب. والمَسْكُ: الجِلْدُ.

قال أبو الوليد: أكثر ماوصفُ من الخِيريّ هذا النَّمّام، وقلّما ماوُصِف الأصفر وأنا ذاكِرٌ ماوقع [إليَّ] فيه:

الخيرّي الأصفر

من ذلك قول أبي عمر القسطلي[4]: [السّريع]

أعَـارَهُ الـنَّرْجسُ مِـنْ لَوْنِـهِ ... تَفَضُّـلاً وازْدَادَ مِـنْ طِيبِـهِ

وناسَـبَ النَّمَّـامَ لَمـا انْتَهَـى ... إلى اسْـمِهِ الأَدْنَـى وتَرْكيبِـهِ[5]

ومَايُجَـاري واحِـداً مِنْهُمَـا ... إلاّ كَبَـا في حِـينِ تَقْريبِـهِ[6]

وأحسنُ من هذا قولُ الفقيه أبي الحَسَن بن علي وهو: [السّريع]

كأنَّمَـا الخِـيرِيُّ مُسْـتَهْتِرٌ ... بـالحُبِّ قَـدْ أنْحَلَـهُ العِشْـقُ[7]

---

(١) الجناحُ: الإثم.

(٢) في الأصل: «نيام الضحى» وهو تحريف. وفي ط١ وط٢: «مغيب» وهو تحريف أيضاً.

(٣) يرعوي: يكفُّ، ينزجر.

(٤) ديوان ابن درّاج القسطلي ٣٤.

(٥) في الديوان: «لما انتمى».

(٦) في الديوان: «ريح تقريبه».

(٧) مستهتر: مولَعٌ.

صُفْرَتُـــهُ تَنْطِـــقُ عَـــنْ حالِـــهِ   وربَّ حَـــالٍ دُونَهـــا النُّطْـــقُ
أعَـــارَهُ الْمُـــزْنُ رِدَاءَ النَّـــدَى   وَصُفْـــرَةَ الْمُتَّشـــحِ الـــسبْرَقُ
مَاأَوْجُـــهُ اللّـــذَّاتِ مَحْجُوبَـــةٌ   إذَا تَبَـــدّى وَجْهُـــهُ الطَّلْـــقُ

وحين أحضرنا مافي الخيريّ الأزهر[1] ، نبدأ بالنّرجس الأصفر.

النّرجس الأصفر

قال الوزير أبو مروان عبد الملك بن جَهْوَر ـ رحمه الله ـ يَصِفُه فـأبدَع وأعجَـبَ وأحسَنَ وأغرَبَ أنشدنيه له حفيدُه عبد الله، وهو: [البسيط]

اِصْفَـرَّ حَتَّـى كـأنَّ الإلْـفَ يَهْجُـرُهُ   وَطـابَ حَتّـى كـأنَّ المِسْـكَ يَنْـثُرُهُ
واخْضَـرَّ أسْـفَلُهُ مِـنْ تَحْـتِ أصْفَـرِهِ   فَـرَاقَ مَنْظَـرُهُ البَـاهِي ومَخْـبَرُهُ
يانَرْجسَـاً ظَـلَّ قُدَّامِـي تَنِـمُّ لَـهُ   ريـحٌ تُذَكِّرُنـي شَـوْقي فَـأذْكُرُه   [٩٢/ب]
زُمُـرُّدٌ مـائِلٌ مِـنْ فَوْقِـهِ ذَهَـبٌ   مُعَيَّـنٌ، نَابُـهُ مِنْـهُ ومَحْجِـرُهُ[3]
هَيَّجْـتَ لي شَـجَناً قَـدْ كـانَ فَـارَقَني   ذَكَّرْتَـنِي بـالّذِي مـازِلْتُ أُوْثِـرُه

وكتب الوزير الكاتب أبو مروان بن الجزيري إلى المنصور أبـي عـامر ـ رحمهمـا الله ـ عن نرجس العامريّة في أوّل يوم من كانون الآخر سنة ثلاث وثمـانين وثـلاث مئـة [فأبدَع واختَرَع] وهو[4] :   [الكامل]

حَيَّتْـكَ يـاقَمَرَ العُـلا والمَجْلِـسِ   أزْكَـى تَحِيَّتِهـا عُيُـونُ الـنَّرْجِسِ
زُهْـراً تُرِيـكَ بِشَـكْلِها وَبِلَوْنِهَـا   زُهْـرَ النُّجـومِ الجَارِيـاتِ الكُنَّـسِ[5]

---

(١) في ط١ وط٢: «له أزهر».

(٣) معيّنٌ: فيه ترابيع صفار، أي منوّر. والمحجر: الحديقة.

(٤) الأبيات ١،٢،٥،٦ في نفح الطيب ٥٣١/١.

(٥) في النفح: «زهرٌ تريك بحسنها...» وفي البيت إفادة من قوله تعالى في سورة التكوير ١٦ ﴿فلا أقسم بالخُنّسِ. الجوار الكُنّس﴾. والكُنّس المتوارية الغائبة في مغاربها.

طَلَعَتْ مَطَالِعُها عَلى مُخضَّرَةٍ ... مِنْ سُوقِها كُسِيَتْ بُرودَ السُّنْدُسِ
فَتزَيَّنتْ حُسْناً أَتمَّ تَزَيُّنٍ ... وَتنفَّسَتْ طِيبَاً أَلَذَّ تَنَفُّسِ
وَمَلَكْنَ أَفئِدَةَ النَّدامَى كُلَّما ... دارَتْ بِمَجْلِسِهِمْ مَدارَ الأَكْؤُسِ[1]
مَلْكَ الهُمَامِ العامِريِّ مُحَمَّدٍ ... للمَكْرُماتِ وللنُّهَى والأَنْفُسِ
لَبِسَ الزَّمانُ وأَهْلُهُ مِنْ عَهْدِهِ ... وَفَعَالِهِ المشْكورِ أَكْرَمَ مَلْبَسِ
فَإِذَا ذَهَبْتَ إلى الثَّناءِ فَقِفْهُ مِنْ ... بَيْنِ الأَنامِ عَلى عُلاهُ وَاحْبِسِ

ولأبي عمر القَسْطلي فيه قطعة بديعة تضمَّنتْ أوصافاً رفيعة، موصولة بمدح المظفّر بن أبي عامر، وهي[2] : [الكامل]

شَكْلانِ مِنْ رَاحٍ ورَوْضَةِ نَرْجِسِ ... يَتَنازَعانِ الشِّبْهَ وَسْطَ المَجْلِسِ
مُتَباهيين تَلوُّناً بِتَلَوُّنٍ ... مُتَبَارِيَيْنِ تَنَفُّساً بتَنفُّسِ
فَكأَنَّها مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ تَلْتَظِي ... وَكَأنَّهُ مِن طِيبِ خُلْقِكَ يَكْتَسِي
يامَنْ عَلا مِنْ رُتْبَةٍ في رُتْبَةٍ ... حَتَّى غَدَا وَسْطَ النُّجومِ الخُنَّسِ[3]
وابنَ الَّذينَ هُدَاهُمُ ونُهَاهُمُ ... أَدَبُ المُلوكِ وَأُسْوَةٌ للمؤْتَسِي[4]

ومن أنْفَسِ ماملح بهِ في النَّرجسِ قطعةٌ للوزير الكاتب أبي الأصبغ بن عبد العزيز صنعها بديهة بين يديّ ذي الوزارتين أبي عمرو عبّاد - أطال الله بقاءه وأدام اعتلاءه - وكان يلْبَسُ ثوباً رفيع القَدْر، نرجسيّ اللّون/ [٩٣/آ] وهي: [السريع]

رَأَيْتُ عَبَّاداً لَهُ مَلْبَسٌ ... في حَشْوِهِ الجُودُ مَعاً والكَرَمْ
فقُلْتُ سُبْحانَ العَزيزِ الَّذي ... أَوْدَعَ ذا الثَّوْبَ رَفيعَ الهِمَمْ

---

(١) في النفح: «مُلْكَنَ».
(٢) ديوان ابن دراج القسطلي ٣٣.
(٣) النجوم الخُنّس: المتوارية، وهي خمسة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. لأنها تخنس أحياناً في مجراها حتى تخفى تحت ضوء الشمس.
(٤) الأسوة: القُدوة.

أَرْوَعَ في سُؤْدَدِهِ سَابِقَاً أبْيَضَ مِثْلِ البَدْرِ بَادِي الشَّمَمْ[١]

كأنَّمَا صُفْرَةُ أثْوَابِهِ وَطِيبُهَا نَرْجِسُهُ إذْ تُشَمْ

قَدْ كُنْتَ يَانَرْجِسُ مِنْ قبلِ ذَا تَبْخَسُ مِنْ حَقِّكَ مَاقَدْ عُلِمْ

فالآنَ فَافْخَرْ في جميعِ الوَرَى عَلَى النَّواوِيرِ وحاشَاكَ ذَمْ

بِعِزِّ مَنْ قَدْ حُزْتَ تَشْرِيفَهُ وَفَضْلِ مَنْ لاَفَارَقَتْهُ النِّعَمْ

وأنشدني لنفسه الفقيه أبو الحسن بنُ عليّ في النّرجس الكبير الذي تُسمّيه العامّة «القَادوسيّ» تشبيهاً بالقادوس على لغتهم، وصوابه القَدَس، أبياتاً رِقاقاً تَضَمَّنَت معاني دقاقاً موصولة بمدح الحاجب سراج الدّين[٢] الثّاقب وهي: [البسيط]

في النَّرْجِسِ القَدَسِيِّ النُّورِ والقَصَبِ حُسْنٌ يَفُوقُ بهِ تِرْبَيْهِ في النَّسَبِ[٣]

لَهُ مِنَ التِّبْرِ كَأسٌ قَاعُهُ لَجِجٌ مُوَسَّعُ العُلْوِ قَدْ أَبْدَاهُ للعَجَبِ[٤]

مَشَمُّ طيبٍ إذا اسْتَنْشَيْتَ زَهْرَتَهُ وَظَرْفُ أُنْسٍ إذَا ماشِئْتَ للنُّخَبِ

ومَائِلُ الجِيدِ مِنْ سُكْرِ النَّعِيمِ بِهِ حَكَى ثِنَى الثَّمِلِ المَشْغُوفِ بِاللَّعِبِ[٥]

كغَادَةٍ ثَوْبُها مِن سُنْدسٍ طَلَعَتْ للشَّرْبِ في كَفِّها كَأسٌ مِنَ الذَّهَبِ[٦]

فكيفَ يَعْقِلُ حَظُّ النَّفْسِ مِنْ طَرَبٍ مَنْ كان يَلْحَظ هذا الحُسْنَ مِنْ كَثَبِ[٧]

ثمّ دخل إلى المَدْحِ فقال: [البسيط]

ياحَاجِباً رُقِمَتْ في الكُتْبِ سِيرَتُهُ بالحِبْرِ وانتَقَشَتْ بالتِّبْرِ في القُضُبِ

---

(١) الأروع: الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسُّؤود. الشَّمَمُ: السِّيادة والأنفة.

(٢) في ط١ وط٢: «سراج الدُّنيا».

(٣) التِّرْبُ: اللِّدَةُ والسِّنُّ ومن ولد معك.

(٤) التِّبر: الذهب.

(٥) الثَّمِلُ: السكران.

(٦) الشَّرْبُ: الجماعة يشربون الخمر.

(٧) من كثب: من قرب.

وَياعِمـادَاً لَـهُ يَوْمَـا نَـدًى ووَغًـى ذَا للأَيَـادِي، وَذَا للبيـضِ واليَلَـبِ[1]

إنْ دُمْـتَ للعُجْـمِ لمْ يُعْجَـمْ لهـا خَـبَرٌ وَأَعْـرَبَ السَّـعْدُ بالإقْبَـالِ للعَـرَبِ

قوله: «حُسْنٌ يفوق به تِرْبَيْهِ» يعني النّرجس الأصفر المعروف، والنّرجس المسمّى بالبَهار. وقوله «قاعُهُ لَحِجٌ» اللَّحِجُ: الضَّيِّق، ولم أر لأحدٍ قبله في هذا الصِّنفِ من النَّرجس[٩٣/ب] وَصْفاً، وهو معدوم عندنا بإشبيلية..

وكان كتب إليَّ مع هذه القطعة بيتين وهما: [البسيط]

اِسْـأَلْ أبـا عـامِرٍ عنْـهُ ابـنَ مَسْـلَمةٍ تَسْـأَلْ خَبيراً بمَعنـى الظَّـرْفِ والأَدَبِ

إنْ صَـارَ قَـوْمٌ إلى قَصْـفٍ عَلَـى مَهَـلٍ طواهُـمُ بِخُطـا التَّقْريـبِ والخَبَـبِ[2]

وقالَ صاحب الشّرطة أبو بكر بن القوطيّة يصفُهُ في أبياتٍ وهي:

[مخلّع البسيط]

زَبَرْجَـدٌ فَوْقَـهُ نُضـارُ مُخَلَّـصٌ لمْ تُذِبْـهُ نَـارُ

كَأنّمـا هَـبَّ مِـنْ كَـرَاهُ وَسْـنَانُ أو شَـفَّهُ انْكِسَـارُ

وَطَـابَ عِنْـدَ المَشَـمِّ حَتَّـى للمِسْـكِ مِـنْ بَيْنِـهِ انْتِشَـارُ

قَـدْ شَـارَكَ الدَّهْـرَ فَهْـوَ لَيْـلٌ وَافَـاهُ مِـن صُبْحِـهِ اصْفِـرارُ

فَـأَوَّلُ الخَلْـقِ مِنْـهُ لَيْـلٌ ومُنْتَهـى خلْقِـهِ نَهَـارُ

أَبْدَعَـهُ في الرِّيَـاضِ مُنْـشٍ لَـهُ عَلَـى الخِلْقَـةِ اقْتِـدارُ

شبَّه خُضرةَ سُوقهِ بِسَوادِ اللّيل، والخُضْرَةِ والسَّوادُ عند العَرَب بمنزلةٍ.

ويقربُ من معنى هذا القطعة ماأنشدنيه لنفسه فيه الفقيه أبو الحسن بن علي وهو: [الطويل]

---

(١) البيض: السيوف، اليَلَبُ: الدُّروع

(٢) التّقريب والخَبَبُ: ضربان من العدو.

أَرَى النَّرجسَ التِّبْرِيَّ يَعنو لَهُ الفِكْرُ ... ويَقصُرُ عَنْ أَوْصَافِهِ النَّظْمُ والنَّثْرُ(1)

كأنَّ الدُّجَا قَدْ صَاغَ خُضْرَةَ ثَوْبِهِ ... وَأَلْقَى عَليهِ حُسْنَ صُفْرَتِهِ الفَجْرُ

تَخَالُ بِهِ في الرَّوْضِ أقْيَالَ مَعْشَرٍ ... ثِيَابُهُمْ خُضْرٌ وَتِيجَانُهُمْ صُفْرُ(2)

يُحَيِّيكَ بالتَّأنيسِ رَوْنَقُ حُسْنِهِ ... وَيَلْقَاكَ مِنْهُ قَبْلَ رُؤْيَتِهِ النَّشْرُ

قال أبو الوليد: ولي قطعة في النّرجس [موصولة] بمدح ذي الوزارتين عبّاد ـ وصل الله حرمتَهُ وأطالَ مُدَّته ـ وهي: [الطويل]

وَرَوْضٍ أَريضٍ لَمْ يَزَلْ يغتذي بِمَا ... يَروحُ عَلَيْهِ مِنْ سَحَابٍ ويغتدي(3)

بَدا النَّرْجسُ المُصْفَرُّ فيه مُبَاهِياً ... بِلَوْنٍ كَلَوْنِ المُسْتَهامِ المُسَهَّدِ

تَرَى كُلَّ نَوْرٍ مِنْهُ فَوْقَ قَضيبِهِ ... كَلِمَّةِ تِبْرٍ فَوْقَ جِيدِ زَبَرْجَدِ(4)

إذَا ماسَرَى مِنْهُ نَسيمٌ لِوَالِهٍ ... سَرَى عَنْهُ جِلْبَابُ الجَوى المَتوقِّدِ(5)

حكى مَنْظَراً نَصْراً وخُبْراً خلائقَ النـْ ... ـنَجيبِ أبي عَمرو سَليلِ مُحَمَّدِ

[فَداهُ عِدَاهُ كَمْ لَهُ مِنْ فَضيلَةٍ ... وفَضْلِ نَدًى يُغني بِهِ كُلّ مُجْتَدِ](6)

قال أبو الوليد: هذا ماجَمعتُهُ في النّرجس، ويجب أن نبدأ بذِكْرِ الوَرْدِ، ونُوردُ ماوقع إلينا فيه من تمثيل حَسَنٍ وتَشبيه.

---

(1) يعنو: يخضع ويذَل.

(2) الأقيالُ، واحدها قَيْل: الملك من ملوك حمير.

(3) الروض الأريض: الذي زكت أرضه وكرمت.

(4) اللّمّة: شعر الرأس، والجيد: العنق.

(5) الواله: الذي ذهب عقله من الحزن. والجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن.

(6) في ط ٢: «فصله» وبها لا يستقيم الوزن.

لم يوجب تأخير أمره، ولا ولّدَ [٩٤/آ] إرجاء ذِكْرِهِ تأخُّر منزله، ولانحطاط رُتْبَته، وإنّما بَنَينا أن نُقدِّمَ من تقدّم به زمانه، ونبدأ بمن بكّر به أوانه، وقد مضت مشاهير الأنوار المُبكّرة الّتي كثر القَوْل فيها، وتردّد الوصْف لها.

فَمِن المُسْتَندر في الوَرْد قول الحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المُصْحَفيّ وقد أهْدى إليه الوزير زياد بن أفلح ورداً سيق إليه مِنْ «ريُّه»[1] في شهر كانون الآخر [وهو ـ أعني قول المُصْحَفيّ ـ][2] :

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا في فِطْرَةِ الرَّوضِ قُدْرَةٌ ... تُحيلُ بها مَجْرَى الزَّمَانِ عَنِ الحَدِّ[3]

ولَكِنّما أَخلاقُكَ الغُرُّ نَبَّهَتْ ... برَبْعِكَ في كَانُونَ نَائِمةَ الوَرْدِ[4]

كأنّكَ قَدْ أَمْطَرْتَها دِيمَةَ المَجْدِ ... وَأَجْرَيْتَ في أَغْصَانِها كَرَمَ العَهْدِ

فلمّا وصل هذا النَّظْمُ المستَمْلَحُ إلى زياد بن أفلح بعث إليه بوردةٍ كان احتَبَسَها لنفسِهِ فكتَبَ إليه ثانيةً بيتين وهما:

[السريع]

فَاجَأني كانُونُ بالوَرْدِ ... فَزادَني وَجْداً إلى وَجْدِ[5]

وَرْدُ العُلاَ أهْدَى لَنا وَرْدَةً ... ياحَبَّذا الوَرْدُ مِنَ الوَرْدِ

ومن السَّريّ السَّنيّ قول الوزير الكاتب أبي مروان الجزيري رحمه الله[6] :

[الكامل]

أَهْدَى إلَيْكَ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِهِ ... زَمَنُ الرَّبيعِ الطَّلْقِ باكِرَ وَرْدِهِ

---

(١) ريُّه: كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة، نزلها جند الأردن من العرب وهي كثيرة الخيرات. انظر: الروض المعطار ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢) البيتان ١ ـ ٢ في الحلة السيراء ٢٦٢/١.

(٣) في الحلة السيراء: «عن القصد».

(٤) في الحلة السيراء: «ولكنها».

(٥) في ط١ وط٢: «إلى الوجد».

(٦) البيتان في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ٥١، وقد عزاهما ابن الكتاني إلى عبيد الله بن إدريس.

يَحْكي الحَبيبَ سَرَى لوَعْدِ مُحِبِّهِ ... في طِيبِ نَفْحَتِهِ وَحُمْرَةِ خَدِّهِ

وكتب أيضاً أبو مروان إلى الوزير أبي مروان عبد الملك بن شُهيد في أخريات أيّام الوردِ بأبياتٍ أنيقَة الصّفات وهي: [البسيط]

قُل للوّزيرِ الّذي جَلَّتْ فَضَائِلُهُ ... فَسِّرْ لَنا شَرْحَ مَعْنًى سَالَ سائِلُهُ

وأيُّ وَصْلَيْهِ مَوْجُوداً ومفتقَداً ... أَوْلى وَأَجْدَرَ أنْ تُرْعَى وسَائِلُهُ

وقَدْ أتَاكَ لتَوْديعٍ عَلَى عَجَلٍ ... خُضْراً مَقَانِعُهُ حُمْراً غَلائِلُهُ

فامْنَحْهُ مِنْكَ قَبُولاً واقْضِ نَهْمَتَهُ ... مِنَ الوَدَاعِ فقَدْ شُدَّتْ رواحِلُهُ[١]

لازِلْتَ دَهْرَكَ مَحْبُوّاً زيارَتَهُ ... إذَا انْقَضى عامُهُ وَافَاكَ قابِلُهُ [٩٤/ب]

وبلغَني أنّ الوزير ابن شُهَيْد جاوبه بأبيات لم تقع إليَّ ولا وردت عَليّ[٢].

وأنشدني الوزير أبو عامر بن مسْلَمة للوزير أبيه ـ رحمة الله عليه ـ أبياتاً مطبوعة كتب بها إلى الوزير عيسى بن سعيد يستدعيه إلى الفَصْدِ، تضمّنت وصفاً حسناً للوَرْد [وهي]: [الخفيف]

مايطيبُ التَّفْجيرُ دونَ صَديقٍ ... مُمْحِضٍ مُخْلِصٍ شَقيقٍ شفِيقِ[٣]

---

(١) النهمة: الحاجة وبلوغ الهمّة والشهوة.

(٢) الأبيات التي جاوب بها الوزير ابنُ شهيد أبا مروان الجزيري مثبتة في ديوانه ١٤٦ وهي:

ياسيداً أرجَتْ طِيباً شَمائلُهُ ... وشاكلتْ شِعرَه حُسْناً رَسَائِلُهُ

وسائلاً لي عمّا ليس يجهلُهُ ... ولا الذي كلف التفضيل جاهلُهُ

الورد عهداً ونشراً صنو عهدك لا ... تُنسى أواخره طيباً أوائلُهُ

ووصْلُهُ في كلا الحالين مفترضٌ ... سيّان قاطعه جهلاً وواصلُهُ

فالعود يخفق والمزمار يتبعهُ ... وهاجرُ الراح قد هاجت بلابلُهُ

تخبر بمثل الذي أنت العليمُ بهِ ... أيامنا والصّبا تُعصى عواذلُهُ

(٣) أراد بالتفجير: الفصد.

وَقَـــدِ اخْتَرْتُـــهُ نَهـــاراً بَهِيَّـــاً كَمُحَيَّـــاكَ مُسْـــتَنيرُ الشُّـــروق

عِنْدَنا النَّوْرُ [illegible] تَألّفَ مِـنْ لَـوْ نَيْـنِ لَـونِ المَهَـا ولَـوْنِ العَقيـقِ[1]

كخُـــدودٍ تَـــبَرْقَعَتْ بِحَيَـــاءِ فَـوْقَ دِيبَاجِهـــا الأَنيـــقِ الدَّقيـــق

فَتَفَضَّـــلْ وَخِـــفَّ نَحْـــوَ صَدِيـــقٍ أَنْـــتَ في نَفْسِـــهِ أَجَـــلُّ صَدِيـــقِ

ونزل أبو عُمر يوسف بن هـارون الرَّمـادي على بـني أَرْقـم بـ «وادي آش»[2] فَقُدِّمَ إليه فيما أُكْرِمَ بِهِ طبَقُ وَرْدٍ، وكان في فصل الشِّتاء فاستغربَهُ، ثـمّ أخـذَ منـهُ وردَةً واحدة وقال [بديهةً][3] :

[الرمل]

يـــاخُدُودَ الحُـــورِ في إخْجالِهَـــا قَـــدْ عَلَتْهـــا حُمْـــرَةٌ مُكْتَسَـــبَهْ

اغْتَرَبْنَـــا أَنْـــتِ مِـــنْ بَجَّانَـــةٍ وَأَنَـــا مُغْـــتَرِبٌ مِـــنْ قُرْطُبَـــهْ[4]

واجْتَمَعْنَـــا عِنْـــدَ إخْـــوان صَفَـــاً بِـــالنَّدَى أمْوالُهُـــمْ مُنْتَهَبَـــهْ

عُصْبَـــةٌ إنْ سُـــئِلَتْ عَـــنْ نِسْـــبةٍ فَـــإِلَى أَرْقَمِهَـــا مُنْتَسِـــبَهْ[5]

إنَّ لَثْمِـــي لـــكَ قُدَّامَهُـــمْ لَيْـــسَ فيـــهِ فَعْلَـــةٌ مُسْـــتَغْرَبَهْ

لاجْتِمـــاعٍ في اغْـــتِرابٍ بَيْنَنَـــا قَبَّـــلَ الْمُغْـــتَرِبُ الْمُغْتَرِبَـــهْ

ومّما يُستَحْسَنُ فيه، وتُستَمْلَحُ معانيه، قطعةٌ لأبي عُمر أحمد بن درّاج القَسْطليّ، موصولة بمَدْح المظفّر بن أبي عامر - رحمه الله - وهي[6] :

[الكامل]

---

(١) أراد بلون المها: اللؤلؤ أو الدّر أو البلّور.

(٢) وادي آش: مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة، كثيرة التوت والأعناب. وأصناف الثمار. انظر: الروض المعطار: ٦٠٤ - ٦٠٥.

(٣) ديوان الرمادي ٥٣.

(٤) بجّانة وقرطبة مدينتان من مدن الأندلس. انظر: الروض المعطار: ٧٩ و ٤٥٦.

(٥) في لفظة «أرقمها» تورية بين الأرقم وهو أخبث الحيات. والأراقم وهم بنو بكر، وجشم ومالك والحارث ومعاوية.

(٦) ديوان ابن درّاج القسطلي ٣٥.

ضِحَكَ الزَّمانُ لَنا فَهاكَ وَهاتِهِ
أوَما رَأيْتَ الوَرْدَ في شَجَراتِهِ؟

قد جاءَ بالتَّأريجِ مِنْ أغْصَانِهِ
وَبِخَجْلَةِ المَعْشُوقِ من وجناتِهِ[1]

وَكَساهُ مَوْلانا غَلائِلَ سَيْفِهِ
يَوْماً يُسَرْبِلُهُ دِماءَ عُداتِهِ [٩٥/آ]

مِنْ بَعْدِ مانَفَحَ الحَيَا مِنْ رُوحِهِ
فيهِ وَعَرْفُ المِسْكِ مِنْ نَفَحاتِهِ[2]

إنْ كانَ أبْدَعَ واصِفٌ في وَصْفِهِ
فَلَقَدْ تقاصَرَ عن بَديعِ صِفاتِهِ

كمَديحِ سيفِ الدَّوْلةِ الأعْلَى الذي
أعْيَا فأعْيَا في مَدَى غاياتِهِ[3]

مَلِكٌ يَنِمُّ الجُودُ في لحظاتِهِ
واليُمْنُ والإيمانُ في عَزَماتِهِ

وَحَياتِهِ إنْ كانَ أبْقَى حاجَةً
لِمَنِ ارْتَجاهُ غَيْرَ طُولِ حَيَاتِهِ

ولأبي القاسم بن شِبْراق في وردة لم تَفَتَّحْ وصفٌ حَسَنٌ مُسْتَمْلَحٌ: [المنسرح]

خَجِلَتْ إذْ تأمَّلَتْها العُيُونُ
خَجَلاً في احْمِرارِها يَسْتَبينُ

وَرْدَةٌ ورَّدَتْ دُمُوعِيَ شَوْقاً
لِلَّتي خَدُّها بِها مَقْرونُ

بِنْتُ غُصْنٍ يُقِرُّ بالكَرَمِ الدَّهـ
ـرُ لَها في رِيَاضِها والغُصُونُ

واستَسَرَّتْ عَنِ العُيونِ حَيَاءً
وَعَرا عَرْفَها الذَّكيَّ سُكونُ

سَتَرَتْ وَجْهَها بِبُرْقُعِها واسْـ
ـتَقْبَلَتْنا مِنَ الفُتونِ فُنُونُ

كالفَتاةِ الحَيِيَّةِ انْتَقَبَتْ كَيْ
لا يُرَى وَجْهُها الجَميلُ المَصُونُ

وكتب الوزير أبو عامر بن مسلمة إلى ذي الوزارتين أبي عَمْرو عبّادٍ ـ أعَزَّه الله وأحْسَنَ ذِكراه ـ في زمن الوَرْد يصِفُهُ فأحسَنَ الوصف، وأبدع التّشبيه [أنشدنيه وهو]:

[مجزوء الرجز]

عَبَّادُ ياخَيْرَ الوَرَى
وَمَنْ بهِ تُزْهَى المِدَحْ

---

(١) في ط١ وط٢: «بالتاريخ». وفي الديوان: «بالنّارنج» وفيهما تحريف.

(٢) في الديوان: «نفخ الحيا». ونفح الطيب: انتشرت رائحته، والحيا: الخصب والمطر.

(٣) في الديوان: «أعيا فأعيا». وأغيا الرَّجل بلغ الغاية في الشرف. وأعيا: عجز الناس عن إدراكه.

يـــــــاقمَرَ الأرْضِ وَمَـــــــنْ عَـــــلا سَــــــمَاءً ورَجَـــــحْ

أمَـــا تَـــرَى الـــوَرْدَ وَقَـــدْ رَنَـــا بِطَــــرْفٍ ولَمَـــــحْ

كأنَّـــــــهُ دَمٌ جَــــــرَى عَلَـى طُلًّـى بِيـضٍ وُضُـحْ[1]

أوْ خَـــدٌّ غَـــضٌّ عَضَّـــهُ لَحْـــظُ مُحِـــبٍّ فَـــانْجَرَحْ

كأنَّمَـــــــا نَســــــيمُهُ عَـــنْ خُلُـــقٍ مِنْـــكَ نَفَـــحْ[2]

وبعث الفقيه أبو الحَسَن بن عليّ بوَرْدٍ مُبَكّر في سُباط[3] إلى ذي الوزارتين القاضي - أعزّه الله وأذلّ عِداه - وكتب معه: [المتقارب]

لِيَهْنِـــكَ يَـــاواحِدَ المَكْرُمَـــاتِ وَأهْـدَى المُلُـوكِ لِقَصْـدِ الصِّـراطِ[4]

جَـــنِيٌّ مِـــنَ الـــوَرْدِ قَـــدْ حَثَّـــهُ إلَيْـــكَ تَـــوَدُّدُه في سُـــبَاطِ [٩٥/ب]

ومَـــاذاكَ أيّـــامُ إقْبَالِـــهِ وَلا وَقْـــتُ تَنْضيـــدِهِ في البِســـاطِ

أصَـــابَ بإسْـــرَاعِهِ فاحْبُـــهُ وغَفْـــراً لِسَـــائِرِهِ فَهْـــوَ خَـــاطِ

وقال أيضاً الفقيه أبو الحسن يصفه في قطعة رائقة متضمّنة لصفات فائقة موصولة بمدح ذي الوزارتين القاضي - أيّد الله يده وحصد من حسده - : [الكامل]

للـوَرْدِ فَضْـلُ السَّـبْقِ عِنْـدَ المفْخَـرِ بِـالمَنْظَرِ السَّـامِي وَطِيـبِ المخَـبْرِ

وَرَقٌ مِـنَ اليَـاقوتِ نُظِّـمَ فوقَـهُ شِـذْرٌ مِنَ الذَّهَـبِ السَّبيكِ الأصْفَـرِ

ونَسِـيمُ فَـوْحٍ ليـسَ يَبْلُـغُ طِيبَـهُ عَبَـقُ العَبِـيرِ ولادُخَـانُ العَنْـبَرِ

نَقَـصَ الزَّمَـانُ ضَنَانَـةً مِـنْ عُمْـرِهِ وَكَـذا النَّفِيسُ القَـدْرِ غَـيْرُ مُعَمَّـرِ

والنَّـوْرُ غَـيْرُ الـورْدِ لَيْـسَ لشَـخْصِهِ دُونَ السَّـباطَةِ ذابِـلاً مِـنْ مقْصَـرِ

---

(١) طُلًى، واحدها طُلاة: العنق. وُضُح: بيض.

(٢) نفح: هبَّ.

(٣) سُباط: لغة في شباط، وهو الشهر الثاني في السنة الميلادية.

(٤) الصِّراط: الطريق.

والـــورْدُ يَرْفَـــعُ غَضَّـــهُ ويَبِيسُـــهُ   رَفْعَ الأكُـفِّ ظُـروفَ مِسْـكٍ أذْفَـرِ[1]

عَمَّـتْ مَنافِعُـهُ كمَـا عَـمَّ الـوَرَى   جُـودُ ابـنِ عَبَّـادٍ فَريـدِ الأعْصُـرِ

وله أيضاً فيه بيتان استوليا على غاية الإحسان وهما: [المنسرح]

انْظُـرْ إلى الـرَّوضِ غَـيْرَ مُتَّئِـدٍ   تُبْصِـرْ جَمـالاً يَصُوغُـهُ الدَّهْـرُ

كأنّمـا الـوَرْدُ فيـهِ أطْبَـاقُ يـا   قُـوتٍ عَلَيْهـا مَغَـالِقٌ صُفْـرُ

ولصاحب الشّرطة أبي بكر بن القُوطيّة فيه قطعةٌ سريّةٌ موصولة بِمَدْح ذي الوزارتين أبي أيّوب بن عبّاد أبقاه الله، وأسبغ عليه نعماه وهي: [البسيط]

نَـوْرُ الرُّبـا خَـوَلٌ والـوَرْدُ سُـلْطَان   بِـذا قَضـى قَبْـلُ آذارُ ونَيْسـانُ[2]

سِـرٌّ طَوَتْـهُ فُصُـولُ العَـامِ حَاسِـدَةً   لِفَضْلِـهِ إذْ لَـهُ السُّـلْطَانُ والشَّـانُ

حتّـى إذا مـاالرَّبيعُ الطَّلْـقُ نَـمَّ بِـهِ   بَـدا وقَـدْ ضـاقَ عَـنْ مَثْـواهُ كِتْمَـانُ

مُعالِجـاً فَتْـحَ أوْراقٍ تُطَبِّقُـهُ   كَمـا يُعـالِجُ فَتْـحَ العَيْـنِ وَسْـنَانُ[3]

حَتّـى تَفَتَّـحَ مِـنْ أكْمـامِ بُرْدَتِـهِ   كَمَـا تَفتَّـحُ بَعْـدَ النَّـوْمِ أجْفـانُ [٩٦/آ]

أمّـا النَّسـيمُ فَطِيـبٌ لاأُكَيِّفُـهُ   واللَّـوْنُ حُسْـناً بِـهِ الألـوانُ تَـزْدانُ

فَمـا سِوَى الـوَرْدِ في النُّـوّارِ مِـن مَلِـكٍ   ولاكَمِثْـلِ أبـي أيُّـوبَ سُـلْطَانُ

مَلِـكٌ يُريـكَ اهْـتِزازَ الـرَّوْضِ يَتْبَعُـهُ   حُلْمٌ رَسَـا مِنْـهُ فَـوْقَ الأرْضِ ثَهْـلانُ[4]

وللوزير الكاتب أبي حفص بن بُرْد فيه أبياتٌ بديعة [رفيعة] التّشبيه، وهي:

[الكامل]

هَـذا الرَّبيـعُ وَكُنْـتَ تَرْقُبُـهُ   فـانْظُرْ بِعَيْشِـكَ كَيْـفَ تَصْحَبُـهُ

---

(١) مسك أذفر: جيّد طيّب الرائحة.

(٢) الخَوَلُ: الحَشَمُ، واحدها: خائل.

(٣) الوسنان: النعسان.

(٤) في ط١ وط٢: «ثملان» وهو تحريف، وثهلان: جبل المدينة.

قَــدْ نُشِــرَتْ حُلَــلُ النَّبــاتِ بــهِ ... فَبَــدا مُفَضَّضُــهُ وَمُذْهَبُــهُ

والــوَرْدُ قَــدْ سَــمَتِ الغُصُــونُ بــهِ ... تَجْلُــوهُ والأبْصَــارُ تَخْطُبُــهُ

والشَّمْسُ قَــدْ ضَــرَبَ الضَّحَــاءُ بِهَــا ... في صَبْغِــهِ فَذُكــاءُ تُلْهِبُــهُ[1]

فكــأنَّ مــن يَهْــوَاهُ مُخْجِلُــهُ ... وَكــأنَّ رَيَّــاهُ مُطيِّبُــه[2]

وكتب أبو جعفر بن الأبّار إلى الوزير أبي عامر بن مَسْلمة في زمن الرَّبيع يصف الورد ويحضُّهُ على إيثار الأنس، وجلاء صَدَأ النّفس، فأحسَنَ إحساناً يقرُبُ على متأمّليه، ويَبْعُدُ على متناوليه، ووصَف الوَرْد بعد صدر متقدّم من الشّعر: [الكامل]

الــوَرْدُ وِرْدٌ للعُيُــونِ مِــنَ الظَّمَــا ... فــاذكُر أذِمَّتَــهُ الوَكيــدةَ واحْفَــظِ

في لِبْسَــةِ التَّقْــوَى يروقُــكَ مَنْظَــراً ... فامْنَحْـهُ بالإنْصَـافِ طَرْفَـكَ والحْـظِ

وإذَا الهُجُــوعُ نَــأى فَخَــيْرُ مُنَــوِّمٍ ... وإذا السُّــرورُ دَنَــا فأحْسَــنُ مُوقِــظِ

يــامُمْطِري بفَعَالِــهِ ومَقالِــهِ ... وَمُحــافِظي بــودادِهِ لامُحْفِظــي[3]

أفْطُــنْ إذا أَبْــدَى الزَّمَــانُ تَبَالُهــاً ... وإذا تواهَــنَ جَفْنُــهُ فاسْــتَيقظِ[4]

وبكُــلِّ صِــرْفٍ فاسْــتَقِدْ مِــنْ صَرْفِــهِ ... وافظُــظْ برِقَّتِهــا عليــهِ وأغْلِــظِ[5]

فــالهُمُّ يَفْــرَقُ مِــنْ لآلِيء فَرْقِهــا ... والحُــزْنُ يَطْفَــأُ عَــنْ سَــنَاها المُلْتَظــي

صَفْــرَاءُ صِفْــرُ الكَــأْسِ مِــنْ جُثْمانِهــا ... تَتَخَطَّــفُ الأبْصَــارَ مَهْمــا يُلْحَــظِ

لازِلْــتَ تَسْــلَمُ يــابْنَ مَسْــلَمَةَ الرِّضَــا ... مُعْطِي الأمــانَ مِــنَ الخُطوبِ البُهَّــظِ[6] [٩٦/ب]

---

(١) في ط١ وط٢: «فذكا تلهّبُهُ». الضّحاء: إذا امتد النهار وكرب أن ينتصف. ذكاء: الشمس.

(٢) في ط١ وط٢: «يخجله. تطيبّه» والرَّيا: الرائحة الطيبة.

(٣) المحفظ: المغضب.

(٤) في ط١ وط٢: «تواسَن». والتّباله: التغافل. وتواهن ضعف.

(٥) الصّرف: الحيلة.

(٦) البُهَّظ: الشاقة.

قوله: «في لبسة التّقوى» يعني الحياءَ، من قول ا لله تعالى: ﴿وَرِيشاً ولباسُ التَّقْوَى﴾[1] ، قيل: الحياءُ. وقوله: «محافظي». هو من الحِفْظِ والمراعاة. و«مُحْفِظي»: من الإحفاظِ وهو الإغضاب. وقوله: «فالهَمُّ يفرقُ»: يرتاع، ويفزع. والفَرْقُ لُغَةٌ في المَفْرَقِ من الرَّأس. وقوله: «صفرُ الكأس من جُثمانها»: الصّفر: الخالية، والجثمانُ: الجِسْم، وفيه لُغتان: جُثْمان وجُسْمان.

فجاوبه الوزير أبو عامر بن مسلمة بأبيات بديعة الصّفات، بزيعة الكلمات وهي: [الكامل]

يـاوَاحِدَ الأُدَبَـاءِ غَـيْرَ مُدَافَـعِ	ومَنِ اغتَدى في الفَهْمِ نَاراً تَلْتَظِي
وافَـانيَ الشِّـعْرُ البَديـعُ نِظَامُـهُ	فـأزاحَ عَنِّـي كُـلَّ أمْـرٍ مُحْفِظِ
فَخراً لـوَرْدِ الـرَّوْضِ إذْ حـازَ المَـدى	بِبَدائِـعٍ مِـنْ ذِهْنِـكَ المُتَيَقِّـظِ
الـوَرْدُ عِنْـدي في الخُـدودِ نفاسَـةً	وَرياسَـةً مَهْمـا يُقَـسْ أو يُلْحَـظِ
هـو آخِـرٌ وَلَـهُ التَّقـدُّمُ أوّلاً	كـم آخِرٍ قد حـازَ مَفْخَرَ مَنْ حَظِي
وَقَـد اعتمَـدْتُ علَـى الّـذي حَبَّرْتَـهُ	في نَظْمِـكَ الـزَّاري بِلَفْـظِ اللّفَّـظِ[2]
وفَضَضْتُهـا صَفْـرَاءَ يُعشِـي ضَوْؤهَـا	حَـدَقَ العُيـونِ الرّانِيـاتِ اللُّحَّـظِ

قال أبو الوليد: وأهْدَى إليَّ صاحبَ الشُّرطة أبو بكر بن القوطيّة ثلاث وردات ليلة المهرجان، وكتب إليَّ معها أبياتاً أنيقة المعنى [دقيقة المغزى]، وهي: [الوافر]

بَعَثْـتُ بـأَغْرَبِ الأشْـيَاءِ طُـرَّاً	وَأَعْجَبِهَـا لُمخْتَـبِرٍ وَمُخْـبِرْ
بِـوَرْدٍ نَـاعِمٍ غَـضٍّ نَضِـيرٍ	يروقُـك ناسِـمَاً طَـوْراً ومُبْصِـرْ
أَتـى في المَهْرَجَـانِ فكـانَ فـوق الْـ	ـبكـيرِ غَرابَـةً وَهْـوَ المُؤَخَّـرْ
وإِغْـرابُ المُؤَخَّـرِ عـن أوَانٍ	يَجـيءُ بـهِ كـإغْرَابِ المُبَكِّـرْ

---

(١) سورة الأعراف ٢٦.

(٢) في ط١ وط٢: «خبّرته».

وَلَمّا أنْ غَشِيتُ الرَّوْضَ مِنْهُ ... بِرَوْضٍ فيكَ مِنْ مَدْحِي مُنَوِّرْ

وقُلْتُ لَهُ: استَمِعْ لِحُلَى كريمِ السْـ ... ـسَجَايَا مُنْتَقىً مِنْ سِرِّ حِمْيَرْ[1]

تَفَتَّحَ مِنْ كَمائِمِهِ وأَبْدَى ... مِنَ النَّفَحَاتِ ماقَدْ كانَ أضْمَرْ [٩٧/آ]

فَمَاءُ ثَنَائِكَ العَالِي سَقَاهُ ... ومِنْ أخْلاَقِكَ العُلْيَا تَفَطَّرْ

فَأوْسِعْهُ القَبُولَ وَدُمْ عَزِيزاً ... مَكِيناً ماجَرَى نَجْمٌ وغَوَّرْ[2]

فلمّا وردت الوَرْدُ الثّلاث عليَّ، ووصلت إليّ، بَعثتُ بها إلى أبي - وقاه الله بي - وكتبتُ إليه معها أربعة أبيات بديهة وهي[3] : [الكامل]

يامَنْ تَأزَّر بالمَكارِمِ وارْتَدَى ... بالمَجْدِ والفَضْلِ الرَّفيعِ الفَائقِ

أُنْظُرْ إلى خدِّ الرَّبيعِ مُرَكَّباً ... في وَجْهِ هَذا المِهْرَجانِ الرَّائقِ

وَرْدٌ تَقَدَّمَ إذْ تأخَّرَ واغْتَدَى ... في الحُسْنِ والإحْسَانِ أوّلَ سَابقِ

وافاكَ مُشْتَمِلاً بِثَوْبِ حيائِهِ ... خَجِلاً لأنْ حيّاكَ آخِرَ لاحِقِ

ولي أيضاً فيه قطعة موصولة بمدح أبي - أبقى الله عليَّ ظلّه، وقدَّمني إلى المنون قبله - وهي[4] : [الخفيف]

إنَّما الوَرْدُ في ذُرَى شَجَرَاتِهِ ... كَأَجَلِّ المُلُوكِ في هَيْئاتِهْ

رائِقٌ مَنْظَراً وخُبْراً وَفَذٌّ ... في حُلاهُ الَّتي حَلَتْ وَصِفاتِهْ[5]

نَفْحَةُ المِسْكِ مِنْ شَذا نَفَحاتِهِ ... خَجَلُ الخَدِّ مِنْ سَنَا خَجَلاتِهْ

---

(١) حِمْيَرُ: أبو قبيلة من اليمن.
(٢) غوَّر النّجم: غَرُبَ.
(٣) الأبيات في الذخيرة ٢/١/١٣٢، ونفح الطيب ٣/٤٢٨.
(٤) الأبيات في الذخيرة ٢/١/١٣٢ عدا البيت الثاني
(٥) فَذٌّ: واحد، وأوّل.

مُزِجَتْ حُمْرَةُ اليَواقيتِ بالدُّرْ ... رِ فجاءَتْ بهِ على حَسْبِ ذاتِهْ[1]
مِثْلَما جاءَ مِنْ سَماحٍ وبَأسٍ ... خُلْقُ الحِمْيَرِيِّ سُمِّ عُداتِهْ
إنْ يَعِدْ فالوَفاءُ حَتْمٌ عَلَيْهِ ... فَرْضُهُ في صِلاتِهِ كصَلاتِهْ[2]

ولي قطعة نثْرٍ كتبْتُ بها إلى صاحِب الشُّرطةِ [أبي الوليد بن العثماني] وبَعَثْتُ معها وَرْداً مُبَكّراً:

«بَعَثْتُ بخُدودِ المعشُوقَيْنِ قد أَدْمَتْها ألحاظُ العاشِقين، وأدمَنَتْ عليها ناظرة، فتساقطَت هكذا ناضِرَةً، فاحكُمْ على العُيونِ للخدود، على ألاّ تعودَ إلى الصُّدود، والسَّلام».

قال أبو الوليد: وحينَ استوفَيْتُ ماحَصَل عندي من الوصف للوَرْد أبدأ بذكرْ ماعثرتُ عليه من المستَحْسن في وصْف السَّوسَنِ فهو صاحبُ الورد في زمانِهِ، ومشارِكه في أوانِه.

السَّوْسَن

قال أبو الوليد: [٩٧/ب] يقالُ: سَوْسَنٌ وسَوسانٌ بالألف ودونها، وقد تكرَّرت في الشِّعر اللُّغتان، وتردَّدتْ التَّسميتان.

فمن مليح ماجاء فيه، وشُبِّه به، قول أبي عُمَر أحمد بن فَرَج الجيّانيّ وهو:

[مجزوء الوافر]

بَعَثْتُ بِسَوْسِنٍ نَضْرِ ... يَنِمُّ كَجُونَةِ العِطْرِ[3]
كأَكْؤُسِ فِضَّةٍ فِيها ... نَفَايا شُهْلَةِ الخَمْرِ[4]

---

(١) في الأصل: «صحب ذاته» وهو تحريف.
(٢) الصِّلاتُ، واحدها الصِّلة: العطيّة.
(٣) الجُونة: سُلَيْلَة مستديرة مُغشّاة أدماً تكون مع العطارين يعدّون فيها الطِّيب.
(٤) في ط١ وط٢: «بقايا شهلة» ونفايا، واحدها نُفاية: بقيّة الشيء. وأردؤه، الشّهلة: الحمرة.

أو الوجَنـــاتِ مِنْـــكَ دَنَـــتْ إلى وَجَنَـــاتيَ الصُّفْـــرِ

وللوزير الكاتب أبي مروان بن الجزيري فيه وصفٌ مُفَضَّلٌ لـه، مُسْتَحْسَنٌ [منه وهو]:

[الكامل]

وَمُلَسَّـنِ الطَّاقَـاتِ أبْيَـضَ نـاصِعِ يُزْهَـى بـأصْفَرَ مِـنْ جَنَـاهُ فـاقِعِ

أعْـدادُ زَهْرَتِـهِ إذا حَصَّلْتَهـا سِتٌّ سِـوَى عَـدَدِ الرَّقيـبِ السَّـابِعِ

سَـكَنَتْ قَـرارَةَ حِجْـرِهِ كَلَفـاً بِـهِ كـالأُمِّ تَكْلَـفُ بالصَّغـيرِ الرَّاضِـعِ

صَـافي الأَدِيـمِ إذا تَخلَّـقَ صَـدْرُهُ بِخَلُـوقِ أرْؤُسِـها الذَّكِـيِّ المَـائِعِ[1]

أهْـدَى الصَّبابـةَ والهَـوَى بنَسـيمِهِ وبَديـعِ مَنْظَـرِهِ الأَنيـقِ الرَّائِـعِ

سَـمَّوْهُ بالسَّوسَـانِ ظُلْمـاً واسْـمُهُ في مَـاخَلا سَاسَـانُ غَـيْرَ مُدافَـعِ

لَمَّـا اسْـتَذاعَ بِفَـارسٍ كَلِفَـتْ بِـهِ أمْلاكُـهُ فَدَعَتْـهُ باسْـمٍ شـائِعِ

الرّقيبُ: هو القائمُ في وسط السَّوسَنةِ. وساسانُ: اسم مَلِكٍ فارسيّ. أراد بهذا التّمليح التّنويه به، والتّرفيع من قَدْرِه.

ومِن [المُسْتَنْدَر] المسْتَحْسَن في وصف السَّوسَن، قول أبي عُمر الرَّمادي وهو[2]:

[الخفيف]

سَوْسَنٌ كالسَّـوالِفِ البيـضِ لاحَـتْ لِمُحِـبٍّ مُتَيَّـمٍ مِـنْ حَبيـبِ

قَـدْ أعَـارَتْ عُيُونَنـا كـلَّ حُسْـنٍ وَأعَـارَتْ أُنوفَنـا كُـلَّ طِيـبِ

بَعْضُهـا عاشِـقٌ لِبَعْـضٍ فَبَعْـضٌ لِمُحِـبٍّ والبَعْـضُ للمَحْبُـوبِ

فـالحَبيبُ المُبَيَّـضُّ مِنْهـا إذا اصْفَـرْ رَ سِـواهُ اصْفِـرارَ صَـبٍّ كَئيـبِ

لَهُمـا ثـالِثٌ أنـافَ كَـواشٍ قـامَ يَحكِـي هُواهُمـا كـالخَطيبِ[3]

---

(١) الخلوقُ: ضرب من الطيب.

(٢) ديوان الرمادي ٥٥

(٣) الواشي: النَّمام.

فَهُمَا وَهْوَ في جَميعِ المَعاني كَحَبيبٍ وعَاشِقٍ وَرَقيبِ [٩٨/آ]

ولأبي بكر يحيى بن هُذيل فيه تشبيهٌ أنيق، وتمثيلٌ دقيق وهو[1] : [البسيط]

وَرُبَّ سَوْسَنَةٍ قَبَّلْتُها كَلَفاً وَمَالَها غَيْرُ نَشْرِ المِسْكِ مَنْشُوق[2]

مُصْفَرَّةُ الوَسْطِ مُبْيَضٌّ جوانبُها كأنَّها عاشِقٌ في حِجْرِ مَعْشُوق[3]

ولأبي بكر [هذا] فيه قبل أن يتفتّح وَصْفٌ استُحْسِنَ واستُمْلِحَ وهو: [الطويل]

فَأوَّلُ مايَبْدو فَخَلْقُ سَبيكَةٍ مُخَلَّصَةٍ بيضاءَ أتْقَنَها السَّبْكُ

بَنَتْ نَفْسَها فوق الزُّمُرُّدِ واقِفاً فَلاحَتْ كمِثْلِ الدُّرِّ ضَمَّنَهُ السِّلْكُ

جَنَى سَوْسَنٍ لولا سَنا بَشراتِهِ لَمَا زَيَّنَ الأفْواهَ ثَغْرٌ ولاضَحْكُ[4]

ولبعض شُعراء الأندلس وقد دَخَلَ على المنصور بن أبي عامر ـ رحمه الله ـ وبين يديه ثلاثُ سَوسَناتٍ إحْداها لم تَفَتّح، فسأله وصفها فقال بعد أبيات لم أحتَجْ إلى ذكرها: [البسيط]

تَبْدو ثَلاثٌ مِنَ السَّوسَان قائِمَةً ومَاتَشكّى مِنَ الإعْيَاءِ والكَسَلِ

فَبَعْضُ نُوَّاره بالحُسْنِ مُنْفَتِحٌ والبَعْضُ مُنْغَلِقٌ عَنْهنَّ في شُغُلِ

كأنَّها راحَةٌ ضمَّتْ أنامِلَهَا مَمْدودَةٌ مُلِئَتْ مِنْ جُودِكَ الخَضِلِ

وَأُخْتُها بسَطَتْ مِنْها أنامِلَها تَرجُو نَداكَ كما عَوَّدْتَها فَصِلِ

---

(١) البيتان في نهاية الأرب ٢٧٦/١١.

(٢) في نهاية الأرب: «ياربّ سوسنة قلّبتها شغفاً... المسك من ريق». والكلف: الحبّ الشديد.

(٣) في نهاية الأرب: (مصفرّة الوجه).

(٤) في الأصل: «بشرابةٍ». وهو تصحيف.

قال أبو عُمر أحمد بن درّاج القسطلي يصفه فأحسن وأبدَعَ، وأغرَبَ واخترعَ[1]: [المنسرح]

إنْ كانَ وَجْهُ الرَّبيعِ مُبْتَسِماً ... فالسَّوسَنُ المُجْتَلَى ثَنَايَاهُ[2]

ياحُسْنَهُ سِنَّ ضاحِكٍ عَبِقٍ ... بطيبِ رَيَّا الحَبيبِ رَيَّاهُ[3]

خافَ عليهِ الحَسُودَ عَاشِقُهُ ... فاشتَقَّ مِنْ ضِدِّهِ فسَمَّاهُ

وَهْوَ إذا مُغْرَمٌ تَنَسَّمَهُ ... خَلَّى علَى الأنْفِ مِنهُ سِيماهُ[4]

كمَا يُخَلِّي الحَبيبُ غاليَةً ... في عارِضَيْ إلْفِهِ لِذِكْرَاهُ[5]

قوله: «خاف عليه الحسود.» البيت، يعني أنّه سمّاه سُوءاً وهو حَسَنٌ خَوْفَ العَيْنِ والحَسَد، وهو تمليحٌ مُسْتَحسن.

ولأبي عُمَر أيضاً فيه وصفٌ ثانٍ معدومُ المِثالِ [٩٨/ب] موسومٌ بالجَمالِ صَحَّ عندي أنّ عُبَادة بن ماء السَّماء كان يقول: «لم يُختَرَع بالأندلسِ في معنًى من المعاني كاختراع القسطليّ في السّوسان». وهو في قطعة مُطَوَّلة كتبَ بها إلى المظفّر ابن أبي عامر أنا ذاكرٌ منها ماتشبَّث بذكر السَّوسان[6] [من المستحسن وهو][7]: [الكامل]

جَهِّزْ لَنا في الرَّوضِ غَزْوَةَ مُحتَسِبْ ... وانْدِبْ إليْها مَنْ يُسَاعِدُ وانتَدِبْ[8]

واهزُزْ رِمَاحاً مِنْ تَباشيرِ المُنَى ... واسلُلْ سُيوفاً مِنْ مُعَتَّقَةِ العِنَبْ

---

(١) ديوان ابن دراج ٣٦.

(٢) الثنايا: الأسنان الأربعة التي في مقدّم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.

(٣) الرّيّا: الرّيح الطيبة.

(٤) تنسّمه: تَشَمَّمُهُ. سيماه: علامته.

(٥) الغالية: ضرب من الطيب. والعارضان: صفحتا الخدّ.

(٦) في ط١ وط٢: «السوسن».

(٧) ديوان ابن دراج ٣٠ - ٣١.

(٨) في الديوان: «في الأرض».

وانْصِبْ مَجَانِيقاً مِنَ النِّيمِ الّتي | أَحْجارُهُنَّ مِنَ الرَّواطمِ والنُّخَبْ[1]
لِمَعَاقِلٍ مِنْ سَوْسَنٍ قَدْ شَيَّدَتْ | أَيْدي الرَّبيعِ بناءَهَا فَوْقَ القُضُبْ
شُرُفاتُها مِنْ فِضَّةٍ وحُمَاتُها | حَوْلَ الأميرِ لهمْ سُيوفٌ من ذَهَبْ
مُتَرَقِّبينَ لأمْرِهِ وَقَدِ ارْتقى | خَلَلَ البِنَاءِ ومَدَّ صَفْحَةَ مُرْتَقِبْ
كَأميرِ «لُونَةَ» قَد تَطلَّعَ إذْ دَنا | عَبْدُ المَليكِ إليهِ في جَيْشٍ لَجِبْ[2]
فَلِئَنْ غَنِمْتَ هُناكَ أَمْثالَ الدُّمَى | فَهُنا بيوتُ المِسْكِ فاغْنَمْ وانتَهِبْ
تُحَفَاً لشَعْبان جَلاَ لكَ وَجْهُهُ | عِوَضاً مِنَ الوَرْدِ الّذي أهْدَى رَجَبْ
واسْتَوفِ بَهْجَتَها وَطيبَ نَسيمِها | فإذَا دَنَا رَمَضَانُ فاسجُدْ واقتَرِبْ

الشُّرفاتُ: أوراق السّوسن، والسُّيوف: النّواوير المُصفرَّة في أسفلها. والأمير القائم وسط السَّوسنة هو من الاختراعات الشّريفة، والابتداعات البديعة.

ولأبي بكر عبادة بن ماء السَّماء إلى صديق له يستهديه سَوسناً أبيات وصفه فيها وصفاً مُسْتَحْسناً: [مجزوء البسيط]

دُمْتَ بإنْعَامٍ وإحْسَانٍ | إنْ أَنْتَ أَنْعَمْتَ بسَوسانِ
لو كانَ نَفْسَاً حَيوانيَّةً | ماكانَ إلاَّ نَفْسَ إنْسَانِ[3]
كأنَّه أنْمُلُ حَسْنَاءَ لَمْ | تَخْضِبْ يَدَيْها خَوْفَ غَيْرانِ

وأنشدني لنفسه فيه الوزير أبوعامر بن مسلمة أبياتاً مطبوعة محكمة [٩٩/آ] وهي[4]: [البسيط]

وسَوْسَنٍ رَاقَ مَرْآهُ ومَخْبَرُهُ | وَجَلَّ في أعْيُنِ النُّظّارِ مَنْظَرُهُ

---

(١) في الأصل: «من الرّواسم». والنِّيم: بكسر النون عند الأندلسيين: الزجاجة. وكذلك الرَّواطم.
(٢) لَجبٌ: كثير الجلبة والصَّوت.
(٣) في ط١: «ماكان الأنفس».
(٤) الأبيات ١ ـ ٢ ـ ٣ في بغية الملتمس ٩١، وجذوة المقتبس ٦١. ومطمح الأنفس ٢٠٥.

كأنّــهُ أكــؤُسُ البَلّــورِ قَــدْ صُنِعَــتْ مُسَدَّسَــاتٍ تعــالى ا للهُ مُظْهِــرُهُ[1]

وبينَهــا أَلْسُــنٌ قَــدْ طُرِّفَــتْ ذَهَبــاً مِــنْ بَيْنِها قــائِمٌ بــالمِلْكِ تُؤْثِــرُهُ[2]

كأنّــهُ خَلْــقُ ميــمٍ في تَعقُّفِــهِ مِــدادُهُ ذَوْبُ عِقْيــانٍ يُصَفِّــرُهُ[3]

قال صاحب الشُّرطة أبو بكر بن القُوطيّة يصفه بأوصافٍ سريّة وهي:

[مجزوء الرجز]

أمَــا تَــرَى الــرَّوض حِسَــا بيّــاً نَحــا إقليدَسَــهْ[4]

فَصَــوَّرَ السَّوسَــنَ مِــنْ دَائِــرةٍ مُسَدَّسَــهْ

مُدْهُنَــةً مِــنْ فِضَّــةٍ بِتِبْرِهَــا مُلَبَّسَــهْ

واضِحــةً فاضِحَــةً صاحِبَهــا مُدَلِّسَــهْ

إنْ رامَ كَتْــمَ لَثمِهَــا وشَــمِّهَا انْظُــرْ مَعْطِسَــهْ

تَجِــدْ بَقايَــا طِيبِــهِ بأَنْفِــهِ مُحْتَبِسَــهْ

وَفَوْقَهَــا رقيبَــةٌ مِنْهــا لَهَــا مُحْتَرِسَــهْ

نابِلَــةٌ رامِحَــةٌ سَــائِفةٌ مُتَرَّسَــهْ

كَــان اسْمُهــا نسَــوسُ لاَ كِــنْ قُرِئَــتْ مُنَكَّسَــهْ

قوله: «وفوقها رقيبة» يعني القائمة وسط السَّوسنة. نابلة: ذات نبل، جعل الّتي تُحدقُ بالرّقيبة في أسفلها نبلاً، وجعل أيضاً منها رماحاً في قوله: «رامحة». وسائفة[5]: يحتمل أن يجعل الوشائع[6] الصُّفر التي حول الرّقيبةِ سيوفاً، ويحتمل أن تكون السّيوف

---

(١) في المطمح: «مسند سات».

(٢) في البغية: «قد طُرِّقت». وفي المطمح: «قد طُوِّقت».

(٣) العقيان: الذّهب.

(٤) إقليدس: عالم رياضيات يوناني نشأ في الإسكندرية. له كتاب الأصول في الهندسة.

(٥) في ط١ وط٢: «سائقة» وهو تصحيف.

(٦) في ط٢: «الوسائع» تصحيف.

الأوراق البيض. ومُتَرَّسَة: ذات تُرسٍ. ولاشكّ أنّه من الأوراق البيض. وقوله: «نسوس» أراد مُستقبل فعل السّاسة، وهو مليح فيه معنى التّنويه به[1]

وللفقيه أبي الحسن بن علي فيه أوصافٌ حسنة، وتشبيهات جيّدة فمنها قوله:

[الطويل]

أَرَى صُفْرَةَ السَّوسَانِ فوق بَيَاضِهِ ... كصَفْو مُدامٍ في إناءٍ مُفَضَّضِ

بَدا مِثلَ حُقِّ العَاجِ في فَرْعِ غُصْنِهِ ... بأكْرَمِ مَلْبوسٍ وأجْمَلِ مِعْرَضِ[2]

ولَمّا دَنَا وَقْتُ النِّثار تشقّقَتْ ... نَواويرُهُ عَن حَلْي حُسْنٍ لَهُ نُضِي

كَذاكَ حِقاقُ الحَلْي صَوْنٌ لِمَا حَوَتْ ... كِفَاتٌ لَهُ مِن خاتِلٍ مُتَعَرِّضِ

قوله: [«نُضي» بمعنى: جُرِّدَ. كِفاتٌ له: أي سِتْرٌ. قال الله عزّ وجلّ]: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً﴾[3] أي سِتْراً. وخَاتِل: بمعنى خادِع.

وأنشدني [٩٩/ب] أيضاً لنفسه أحسن تشبيهٍ موصولاً بمدح ذي الوزارتين أبي عَمْرو عبّاد ـ حرس الله نَفْسه، كما قدّس غَرسَهُ ـ وهو: [البسيط]

كأنّما السَّوْسَنُ الدُّرّيُّ ألْسِنَةٌ ... تُمَجِّدُ الله مُجْري التِّبْرِ في غَرْبِهْ[4]

أَنْدى النّواوير إنْ قَبَّلْتَ صَفْحَتَهُ ... حَبَاكَ مِنْ طيبِهِ حَظّاً ومِنْ ذَهَبِهْ

ومَا أرَى غَيْرَ عَبَّادٍ لَهُ شَبَهاً ... في الحُسْنِ والفَوْحِ والمأثورِ مِنْ أدَبِهْ[5]

ومن المُستَنْدر المختار أبياتٌ كَتَبَ بها أبو جعفر بن الأبّار وهي: [الكامل]

أَنْعِمْ فَقَد حَسُنَ الزَّمَانُ وأحْسَنَا ... وتَبالَهَتْ عَنْكَ الخُطوبُ لِتَفْطُنَا

أَوَ مَاتَرَى بُرْدَ الرَّبيعِ مُفَوَّفاً ... يُصْبِي العُيونَ بِمُجْتَلًى وَبِمُجْتَنى

---

(١) «به» ليس في ط١ وط٢.

(٢) المِعْرَضُ: الثّوب تُعرضُ فيه الجارية وتُجلى فيه.

(٣) سورة المرسلات ٢٥.

(٤) غَرْبُهُ: حدّه.

(٥) في الأصل: «الحسن والبوح».

والسَّوسَنُ العَبِقُ الجُيوبِ تَخالُهُ ... مِنْ ناصِعِ الكافُورِ صُوِّرَ أَلْسُنا

حَفَّتْ قُراضَاتُ النُّضارِ مُجَرَّداً ... مِنْهُ أَقَلَّتْها قَصِيراتُ القَنَا

فَكأنَّما أَوْراقُهُ وَكَأَنَّهُ ... بِيضٌ سُلِلْنَ لِقَتْلِ جَانٍ قَدْ جَنى

المجرَّدُ: هو القائم وسط السَّوسنة. والقُراضات: هي النَّواويرُ الصُّفر في أسفلها، وكأنّه في آخر بيتٍ كنايةٌ راجعة إلى المجرَّد، وهو تشبيه قويّ وتمثيل سَرِيّ.

ولأبي جعفر بن الأبّار أيضاً أبدع تشبيه وهو: [المجتثّ]

كأنَّمَا السَّوسَنُ الغَضْـ ... ـضُ مَنظَراً حِينَ يُلْحَظْ

فِهْرٌ بِهَاؤُونِ دُرٍّ ... مُشَطَّبٌ قَدْ تَعَظْعَظْ[1]

الفِهْرُ: القائِم وسط السَّوسنة، والهاؤون: سائِرها، وتعظعظ: مال وعَدَل.

ولأبي علي إدريس بن اليَمان فيه أوصافٌ مُسْتَطرَفة، وتشبيهاتٌ مستظرفة منها [قوله]: [الوافر]

مُمَهَّى الحُسْنِ مَشْقوقُ الجُيوبِ ... لَهُ وَجْهُ البَرِيءِ مِنَ الذُّنوبِ

تفرَّجَ عَنْ مَناكِبِهِ قَميصٌ ... تَفَرُّجَ لَوْعَةِ الدَّنِفِ الكَئِيبِ[2]

وَقَدْ عُلَّتْ عَمَامَتُهُ بِوَرْسٍ ... فَقَامَ بِلا خِطابٍ كالخَطيبِ[3]

عَلى أُنْبوبِ كافُورٍ يَراعٍ ... تَضَمَّنَ بَطْنُهُ يَنْبُوعَ طِيبِ[4] [١٠٠/آ]

المُمَهَّى: المُرَقّق: يُقال: أَمْهَيْتُ السَّيفَ أُمْهيه: إذا أرهفتُهُ وجَلوتُه. وبنى القطعة كلّها على وصفِ القائم وسط السَّوسنة.

ولأبي علي إدريس بن اليَمان أيضاً قطعة بديعة التّشبيهِ موافقةُ الوصف لِكُلِّ مافيه وهي: [مجزوء الرّجز]

---

(١) في ط١ وط٢: «تعضعظ» وهو تحريف.

(٢) الدَّنِفُ: المريض.

(٣) الوَرْسُ: صبغ أصفر. عُلّت: صُبغت به مرّة بعد مرّة.

(٤) اليراع: القلم.

وَضَاحِكٍ كَالفَلَقِ | عَن فَلَجٍ في رَوَقِ
عَلَى حِفَافَيْ مِرْوَدٍ | مُذَهَّبٍ مُنْدَلِقِ
كَمُنْتَجٍ مِنْ غَرَقٍ | وَخَارِجٍ مِنْ نَفَقِ
بَيْنَ اصْفِرارٍ فَاقِعٍ | على ابْيِضَاضٍ يَقَقِ
كَأنَّمَا كِلاهُمَا | فِي راحَةٍ أوْ طَبَقِ
بُرادَةٌ مِنْ ذَهَبٍ | في وَرَقٍ مِنْ وَرَقِ[1]

الفلج: الفُرجةُ بين الأسنان، والرَّوَق: طولها. والحفافان: الجانِبان. وعَنى بالمِرْوَد القائِمُ وَسْط السَّوسَنة. والمُنْدَلِقُ: النَّاتيء[2] المندفع.

قال أبو الوليد: ولي فيه قطعة فيها اختراعُ تشبيه وصَلْتُها بمدح الحاجب - حجبه الله بي عن النَّوائب - وهي: [المجتثّ]

وسُوْسَنٍ يَتَهَادَى | لِلأُنْسِ بالرَّاحَتَيْنِ
نِعْمَ المُواصِلِ لَوْ لَمْ | يَعُدْ بِنَأيٍ وبَيْنِ[3]
كأنَّمَا خَلْقُهُ الفَذْ | ذُ خَسَّةٌ مِنْ لُجَيْنِ
أو أنْمُلٌ بَضَّةٌ مَا | تَرَكَّبَتْ في يَدَيْنِ
وبَيْنَهَا حَارِسٌ لا | يَنَامُ طَرْفَةَ عَيْنِ
عَلا وأشْرَفَ مِنْهَا | عَلَى جَمَالٍ وزَيْنِ
كمَا عَلا الحَاجِبُ المُنْ | تَقَى على الشِّعْرَيَيْنِ[4]
مَلْكٌ بِهِ حَالَ دَهْرِي | بَيْنَ الخُطُوبِ وبَيْنِي

(١) الوَرَق: الفضّة.
(٢) في ط١ وط٢ «الآتي» وهو تحريف.
(٣) النأي: البعد. البين: الفراق.
(٤) الشِّعريان: نجمان، أحدهما يسمى العَبور، والآخر يسمى الغميصاء.

قال أبو الوليد: ووقعت إليَّ في السَّوسن الأزرق وهو الخُرَّمُ صفات محكمةٌ وتشبيهات مُتَقّدمة.

الخُـــرَّم

فَمِن بديعها ورفيعها قول الوزير أبي عامر بن مَسلمة وهو: [المتقارب]

ألاَ حَبَّـــذا السَّوسَـــنُ الأَزْرقُ ... ويـــاحَبَّذا حُسْـــنُهُ المونِـــقُ

حَكَـــى لَوْنُـــهُ لَـــوْنَ فَـــيْروزَجٍ ... جَـــرَى وسْـــطَهُ ذَهـــبٌ مُشْـــرِقُ

وللفقيه أبي الحَسَن بن علي فيه أبدع اختراع وأغرب تشبيه وهو: [الخفيف]

لاحَ لي خُـرَّمُ الصَّحـارَى فَـراقَ الْـ ... ـعَيْـنَ تَدْبيجُـهُ العَجيـبُ ووردُهْ

جَـاءَ كـالزَّائِرِ المُـوافي لوَعْـدٍ ... بَعْـدَ أنْ طـالَ بالأَحِبَّـةِ عَهْـدُهْ

أطْلَعَـتْ حُلَّتـاهُ وَشْـياً وتِـبْراً ... زانَ ذا رَقْمُـــهُ وذا لازَوَرْدُهْ [١٠٠/ب]

أيّ نَصْـلٍ يَفـري الحَـوادِثَ لـودا ... مَ لِجَانِيـهِ مَـاؤُهُ وفِرَنْـدُهْ[1]

وله أيضاً فيه قطعةٌ موصوفة بمدح أبي - وقاه الله بي - وهي[2] : [الخفيف]

بَـزَّ ثَـوْبَ البَهـاءِ والّـلأْلاَءِ ... زَهَـرَ الـرَّوضِ خُـرَّمُ الصَّحـراءِ

عَـافَ ثَـوْبَ البَيـاضِ لَـوْنَ أخيـهِ ... وتَـرَدّى بحُلَّـةٍ زَرْقَـاءِ[3]

لِـتَرَاهُ العُيُـونُ في حُلَّـةٍ يَحْـ ... ـكي سَـنَا نُورِهـا أَديـمَ السَّـماءِ

لـو حَواهَـا الطَّاووسُ أصْبَـحَ لاشكْـ ... ـكَ مُهَنّـاً بمُلْـكِ طَـيْرِ الهَـواءِ

عِـزَّةٌ في طِباعِـهِ وعُلُـوٌّ ... قَـدْ أنَـافَ بِـهِ عَلـى العَلْيَـاءِ

كحَبِيـبِ بـنِ عـامِرٍ فَهْـوَ فَـذٌّ ... في اقْتِنـاءِ العُـلاَ وكَسْـبِ الثَّنـاءِ

---

(١) الفرند: مايلمح في صفحة السيف من أثر تموج الضوء.

(٢) الأبيات ماعدا الأول والأخير في نهاية الأرب ١١/٢٨٠ - ٢٨١ دون عزو.

(٣) روايته في نهاية الأرب: (لون البياض ثوب أخيه.........وتبدّى في حلّة زرقاء).

ومن التّشبيه السَّنيّ فيه والوصف السَّريّ له قول صاحب الشّرطة أبي بكر بن القوطيّة وهو: [البسيط]

وَمُغْرب اللّون في مِسْلاخ طَاووسِ | فَيروزَجيّ بصُنْعِ اللهِ مَغْروسِ[1]
كَأنّما اختُلِسَتْ قِطْعاً غَلائِلُهُ | مِنَ الغَمائمِ أو فَضْلِ الحَناديسِ[2]
شَخْتِ المآزِرِ لاذِيٍّ الظّهائِرِ قَدْ | أتاكَ يَرْفُلُ في ثَوْبٍ لَهُ سُوسِي[3]
كأنّهُ كِسْفُ أُفْقٍ مالَهُ حُبُكٌ | أوْ لازَوَرْدٌ أو اذْنابُ الطّواويسِ[4]
كَأنَّ رَشْحَ سَقيطِ الطّلِّ أَوْسَطَهُ | نَضْحٌ يَمُدُّ على آثارِ تَدْنِيسِ[5]
لازَالَ فِي مَجْلِسي آنساً بِهَيْئَتِهِ | وَلا تَوَخّى اسْمُهُ شَمْلِي ولاكِيسِي

إنّما عمّى[6] في البيت الآخر الخُرَّمَ اسمَهُ، دعا ألاّ يتوخّى الخَرْمُ شملَهُ ولاكيسه.

قال أبو الوليد: ولي فيه تشبيهٌ طابقه وهو: [مجزوء الرجز]

وَخُرَّمٍ حُلْوِ الحُلَى | يَبْدُو لِعَيْنَيْ مَنْ لَمَحْ
تَلَوُّناً ومَنْظَراً | كأنَّهُ قَوْسُ قُزَحْ

قال أبو الوليد: لم يقع إليَّ في السَّوْسَنَيْنِ غَيْرُ ماأوْرَدْتُهُ.

ومن النّواوير المشاهير التي كثر القول فيها والوصْف لها نَوْرُ النّيْلوفَرِ، وأنا مُودِعٌ بابَهُ ماحصل عِنْدي فيه مِنَ المُسْتَنْدَر.

---

(١) المِسْلاخ: الجلد.

(٢) الحناديس: السَّواد.

(٣) الشَّخْتُ: الدقيق الضامر الخلقة.

(٤) الكِسْفُ: القطعة. الحُبك: طرائق النجوم.

(٥) النّضح: الرّشّ.

(٦) في الأصل: «عنى»وهو تحريف.

النَّيلوفَر

مِنَ السَّابق في ميدان التّفضيل [١٠١/ب] الفائق عند أهل التّحصيل قول ذي الوزارتين القاضي الجليل أمَلَّهُ عليّ وهو[١] : [البسيط]

ياحُسْنَ بَهْجَةِ ذا النَّيْلُوفَرِ الأَرِجِ ... وطيبَ مَخْبرِهِ في الفَوْحِ والأَرَجِ[٢]

كأنَّهُ جَامُ دُرٍّ في تَألُّفِهِ ... قد أحْكَموا وَسْطَهُ فصّاً مِن السَّبَجِ[٣]

وله ـ أعزَّه الله وأذَلَّ عداه ـ يصفه بوصْفين غريبين، ويشبّهُهُ بتشبيهين، عجيبين في قطعة واحدة وهي: [مجزوء الرجز]

كأنَّمَا النَّيْلُوْفَرُ الْـ ... ـمُسْتَحْسَنُ الغَضُّ البَهِجْ

مُقْلَةُ خَوْدٍ مُلِئَتْ ... سِحْراً وغُنْجاً ودَعَجْ[٤]

أو خَاتَمٌ مِنْ فِضَّةٍ ... وفَصُّهُ مِنَ السَّبَجْ

شبّه في البيت الثاني بالعين في السَّواد الّذي بين بياضه وهو أولى بهذا التّشبيه، وأحقّ أن يُصاغ فيه من كلّ ماشُبِّهَ بالعين من البَهار وغيره الّذي لاسواد فيه يؤيّد حقيقة تشبيهه، وينصر صحّة تمثيله.

ومثل هذا التّشبيه المعدوم الشّبيه، والتّمثيل المنقطع المثيل، لو وقع لمشتغل[٥] بصناعة الشّعر، عاكف على صناعة النّظم، مجهد[٦] نفسه فيها، مُعَانٍ لمعانيها لاستُغرِبَ

---

(١) الأبيات في بغية الملتمس ١١٨، وجذوة المقتبس ٧٥، والحلّة السيراء ٣٩/٢، مطمح الأنفس ١٧٢ ـ ١٧٣، ونفح الطيب ٢٢٨/٤.

(٢) في الأصل: «وطيب مبخره». وفي البغية والجذوة والحلة: «ياحسن منظر» وفي البغية: والجذوة والحلة: «وحسن مخبره» وفي المطمح والنفح: «ياناظرين لذا النيلوفر البهج».

(٣) في الحلة والمطمح والنفح: «في تألقه». الجام: الإناء من فضة، السَّبج: خرز أسود.

(٤) الخود: الفتاة الشابة الحسنة الخلق. الغنج: حسن **الدّلال. الدَّعج: شدة السواد.**

(٥) في ط١ وط٢: «لمشتاق» وهو تحريف.

(٦) في الأصل: «يجهد».

غاية الاستغراب، واستُعجِبَ نهاية الاستعجاب. فكيف ترى فضلَهُ وتعـاين نَبْلَـهُ، وهـو لايعاني هذا ولايتفرَّغ له، وإنّما هو عفو سجيّته، وفيض بديهته ــ صـان ا لله لنـا حِذقَـهُ كما أوجَبَ علينا حقّه ـ.

وقال أبو عُمر يوسف بن هارون الرَّماديّ يصفـه فـأبْدَع بَدْعَـاً في قطعـة جمعـت الجزالة والرّقّة معاً وهي[1] : [المنسرح]

إِذَا سَـــقَى ا للّهُ روضَـــةً مَطَـــرَاً ... فَخَـــصَّ بالسَّـــقْيِ كُـــلَّ نَيْلَوفَـــرْ

تَسْـــتُرُ أوراقُـــهُ زُمُـــرُّدَهُ ... لَيْـــلاً وعِنْـــدَ النَّهـــارِ لاتَسْـــتُرْ[2]

خـافَتْ عَلَيْـهِ اللُّصُـوصَ فاشْـتَمَلَتْ ... عَلَيْـهِ لَيْـلاً مِـنْ خَـوْفِ أنْ يَظْهَـرْ

إذا الزَّنَابِـــيرُ مِـــنْ مَغَالِقِـــهِ ... لَـــمْ تَتَحَفَّـــظْ فَبَيْنَهـــا تُقْـــبَرْ

كـأنَّ أَجْفَانَـهُ جُفُـونُ الّـذي ... أَهْـواهُ لاتَسْـتَطِيعُ أنْ تَسْـهَرْ

كأنَّهـا كُـؤوسُ فِضَّـةٍ فُرِشَـتْ ... قِيعانُهـا بـالزُّمُرُّدِ الأخْضَـرْ

تَنْعَـمُ في حُسْـنِهِ ونَكْهَتِـهِ ... فَـأنْتَ في مَنْظَـرٍ [وفي] مَخْـبَرْ [١٠١/ب]

الزّنابير: جمع زُنْبور، وهي النَّحْلُ، وإنّما عنى بالبيت انغلاق أوراقه ليلاً، وقصـد النّحل دون غيرها لأن النّيلوفَرَ يُسَمّى قاتل النّحل لطلبها أبداً أكْلَ ماداخل أوراقه فرُبّمـا فَعلتْ ذلك وقت انغلاقه فامتنعت من الخروج.

و لم أرَ لِكُلّ من صنع فيه، وعُنِي بوصفه ذِكْر أمر الزَّنابير إلاّ للفقيـه أبـي الحَسَـن ابن علي في قطعة عجيبة أُنْشدنيها وهي: [الخفيف]

مـالِنَيْلوفَرِ الحَدائِـقِ يَقْظَـا ... نَ مَـعَ النَّـوْرِ هاجِعَـاً في ظَلامِـهْ

أَشْـبَهَ الإنْـسَ في تصـرُّفِ حَالَيْـ ... ـهِ وَوَقْتَـيْ سُـهادِهِ ومَنَامِـهْ

وتَوقِّيـهِ في الدَّيـاجي بـإغْلا ... قِ نَواويـرِهِ وضَـمٍّ كِمَامِـهْ

(١) ديوان الرمادي ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) في ط١ وط٢: «زمردة».

لَقَّبُوهُ بِقَاتِلِ النَّحْلِ لَمَّا ... أَبْصَرُوا النَّحْلَ مَقْصَدًا لِسِهَامِهْ

لَمْ يَجُرْ فِي القِصَاصِ إِذْ ذَلِكَ لِصٌّ ... سَارِقٌ بِالنَّهَارِ شَهْدَ خِتَامِهْ

وللوزير الكاتب أبي الأصبغ بن عبد العزيز في انغلاقه[1] تشبيه دقيق، وتمثيل أنيق وهو: [المتقارب]

ونَيْلُوفَرٍ فَاقَ فِي فَضْلِهِ ... صُنُوفَ النَّوَاوِيرِ مِنْ شَكْلِهِ[2]

وفَاتَهُمُ بِالَّذِي حَازَهُ ... كَمَا قَصَّرَ الكُلُّ عَنْ نَيْلِهِ

يُبِيحُ نَهَارًا لِزُوَّارِهِ ... مُحَيًّا يُرَغِّبُ فِي وَصْلِهِ

ويَمْنَعُ بِاللَّيْلِ مِنْ وَجْهِهِ ... لِيَأْخُذَ بِالحَزْمِ فِي فِعْلِهِ

كَبَائِعِ عِطْرٍ بِحَانُوتِهِ ... ضِيَاءَ النَّهَارِ إِلَى لَيلِهِ

فَإِنْ جَاءَهُ اللَّيْلُ أَفْضَى بِهِ ... إِلَى سَدِّهِ وإِلَى قَفْلِهِ

وأنشدني لنفسه فيه الوزير أبو عامر بن مَسْلمة أبياتاً رائقة تضمّنتْ أوصافاً رائعة موصولة بمدْحِ الحاجبِ - لاأعْدَمَنا اللهُ جاهَه كما أعدمنا أشباهه -: [السريع]

يَا حَبَّذا النَّيْلُوفَرُ الطَّالِعُ ... ومُجْتَلاهُ النَّاضِرُ النَّاصِعُ

كأنَّهُ مَخْزَنَةٌ مِنْ مَهًا ... فِي وَسْطِهَا زُمُرُّدٌ سَاطِعُ[3]

وحَوْلَهُ أَلْسِنَةٌ سِتَّةٌ ... مِنْ فِضَّةٍ أَتْقَنَهَا صَانِعُ [١٠٢/آ]

كُلُّ لِسَانٍ أَبْيَضٌ نَاصِعٌ ... والطَّرْفُ مِنْهُ أَصْفَرٌ فَاقِعُ

قَامَ عَلَى خَضْرَاءَ مِنْ سُوقِهِ ... فَكُلُّ إِبْرِيقٍ لَهُ رَاكِعُ

رُكُوعَ أَمْلاكِ الوَرَى لِلَّذِي ... نَدَاهُ دَانٍ والحَيَا شَاسِعُ

ذاكَ ابْنُ عَبَّادٍ سَلِيلُ العُلا ... الحَاجِبُ المُرتَفِعُ الرَّافِعُ

---

(١) في الأصل: «بانقلابه» وهو تحريف.

(٢) في ط١ وط٢: «من مثله».

(٣) في ط١: «زمرّذ». المها: البلّور.

دَامَ دَوامَ الدَّهْـــــــرِ في عِـــــــزَّةٍ تَبْقَـى ويَبْقَـى الحاسِـدُ الخـاضِعُ

وللفقيه أبي الحسن بن علي في تشبيه لَوْنَيْه وصفٌ مُتناهٍ ليس لـه مُـوازٍ ولامُضَـاهٍ وهو: [البسيط]

كأنَّمـا زَهْـرَةُ النِّيلَوْفَـرِ اخْتَلَسَـتْ قِطَعاً مـن اللَّيْـلِ قَدْ حَفَّ الصَّبـاحُ بـهِ

فـالنُّورُ مُنْقَطِـعٌ عَـن جَـزْمِ عُنْصُـرِهِ واللَّيْـلُ مُمْتَنِـعٌ مِـنْ حُكْـمِ غَيْهَبِـهِ[1]

فِعْـلٌ أشَـتَّهُما مِـنْ أَصْـلِ طَبْعِهِمَـا بِـماذَا تَـأَلَّفَ مِـنْ شَـمْلِ الجَمـالِ بـهِ

ولصاحبِ الشّرطة أبي بكر بن القُوطيّة في جميع أحوالهِ وصفٌ أعْرَب عن كماله وهو: [مشطور الرجز]

وَذَاتِ جِسْـمٍ كـاللُّجَيْنِ المُنْسَـبِكْ[2]

مُبْيَضَّـةِ الأثْـوابِ مِـنْ نَسْـجِ الـبِرَكْ

خُضْـرٌ سَـرَاوِيلاتُها خُضْـرُ التِّكَـكْ[3]

كأنَّمـا العَنْـبَرُ فِيهـا قَـدْ فُـرِكْ

والمِسْـكُ في قِيعَانِهـا قَـد امْتَسَـكْ[4]

نَاسِـكَةٌ نَهَارَهَـا مَـعَ النُّسُـكْ

حَتَّـى إذا اللَّيْـلُ تَدانـى واشْـتَرَكْ

وَآنَ أَنْ يَـأتي المُحِـبُّ المُنْتَهِـكْ

غَلَّقَـتِ البَـابَ وقـالت: هِيـتَ لَـكْ[5]

---

(١) في الأصل: «عن جذم».

(٢) اللُّجَين المنسبك: الفِضّة السَّائلة.

(٣) في ط١: «خضر التكك».

(٤) سقطت (قد): من ط١ وط٢.

(٥) هيت لك: هلّم لك.

ومِنَ [السِّحر المنتحل]، والكلام المُنتَخَل في حالاتِهِ كلّها، وصفاتِهِ بأسْرِها، ماأنشدنيهِ [لنفسه] أبو جعفر بن الأبّار موصولاً بمدح ذي الوزارتين القاضي ـ أدام الله أيّامه وأسبغ علينا إنعامَه ـ وهو: [المنسرح]

وناصِعِ اللَّوْنِ أسْوَدِ الحَدَقَهْ ... جُفونُهُ بالعِشاءِ مُنْطَبِقَهْ
كَذِي دَلالٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أرَقاً ... فَنَامَ والنُّورُ وَاصَلَ أرَقَهْ
هَامَ بِهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ مَعَاً ... فَصَدَّ عَنْ ذا وخَصَّ ذامِقَهْ[1]
لاتَمْتَرُوا في الَّذي تَضَمَّنَهُ ... تِلْكَ سُوَيْداءُ قَلْبِ مَنْ عَلِقَهْ[2] [١٠٢/ب]
نَيْلَوْفَرٌ أُحْكِمَتْ بَدائِعُهُ ... لايَحْتَوِي خُلْقَهُ ولاخَلَقَهْ[3]
طَاهِرُ ثَوْبٍ كَأنَّ خالِقَهُ ... مِنْ عِرْضِ قاضي القُضَاةِ قَدْ خَلَقَهْ
سَليلُ عَبَّادٍ الَّذي حَشَمَتْ ... مِنْهُ وُجُوهُ السَّحَائِبِ الغَدِقَهْ[4]
المَجْدُ أُفْقٌ غَدا لَهُ قَمَراً ... والحَقُّ حُقٌّ حَوَى بِهِ طَبَقَهْ[5]

ومِمّا يشاكِلُ هذا براعة[6]، ويشبهُهُ بزاعَةً، قوله [أيضاً فيه] موصولاً بمَدْحِ ذي الوزارتين أبي عَمْرو عبّادٍ ـ أعَزَّه الله وأحسَنَ ذكراه ـ وهو: [المتقارب]

إذا النُّوْرُ خُصَّ بِمَدْحٍ فَمَا ... لِنَيْلُوْفَرِ الرَّوْضِ لايُعْبَدُ
وأوْراقُهُ كَعْبَةٌ مِنْ لُجَيْنٍ ... تَوَسَّطَها الحَجَرُ الأسْوَدُ
تَوَسُّطَ عَبَّادٍ المُرْتَجى ... لَظَى الضَّرْبِ والحَرْبِ إذْ تُوقَدُ
هُمَامٌ إذا هَمَّ أضْحَتْ لَهُ ... مُتُونُ الظُّبى والقَنا تُرْعَدُ

---

(١) المقة: المحبّة،من الومق.
(٢) لاتمتروا: لاتجادلوا.
(٣) في ط١ وط٢: «نيلوفراً».
(٤) حشمت: حييت، وانقبضت.
(٥) ـ الحُقُّ: وعاء الطّيب.
(٦) في ط١ وط٢: «بداعة»

إذَا شِـــئْتَ وِجْـــدانَ أَفْضَالِـــهِ		وَجَـــدْتَ وشَـــرْواهُ لايُوجَـــدُ

قوله: «وشرواه» الشَّروى: المِثْلُ.

وأنشدني أيضاً لنفسهِ في تشبيه خَلْقِهِ وخُلْقِهِ بيتين سَرِيَّيْن وهما: [المنسرح]

كَـــأنَّ نَيْلُوفَـــرَ الرِّيـــاضِ إذَا		مـــااللَّيْلُ أَدْجَـــى أوهَـــمَّ أَنْ يُدْجِـــي

رومِيَّـــةٌ بَضَّـــةٌ مُنَعَّمَـــةٌ		تَضُـمُّ طِفْـلاً لَهَـا مِـنَ الزَّنْـجِ[1]

ومّا شُبِّه أيضاً فيه أَسْوَدُهُ بالزَّنجيّ قول أبي القاسم البَلْميّ وهو تشبيه مُفضَّلٌ لـه، [مُستَحْسنٌ منه، وهو][2]: [الخفيف]

ونَيْلُوفَـــرٍ غَـــدَا يُخْجِـــلُ الـــرَّا		نـــي إلَيْـــهِ نَفَاسَـــةً وغَرَابَـــهْ[3]

كمَليـــكِ الأُحْبُـــوشِ في قُبَّـــةٍ بَيْـــ		ضـاءَ يَرْنـو الدُّجَـا فَيَغْلِـقُ بابَـهْ[4]

جُنْـــحُ لَيْـــلٍ لمـــا تجسَّـــمَ شَـــخْصاً		قَـدَّ مِـن صَفْحَـةِ الضُّحَـى جِلْبَابَـهْ

الأُحبوش: لغة في الحَبَش.

قال أبو الوليد: ولي في لونيه وصف ربَّما طابق، وتمثيل عساه وافق، وهو: [المجتثّ]

ورَوْضَـــةٍ رَضِيَـــتْ عَـــنْ		صَـــوْبِ الحَيَـــا المُسْـــتَمِرِّ

فـــأظْهَرَتْ نَـــوْرَ نَيْلُـــو		فَـــرٍ مُنِـــيرٍ أَغَـــرِّ

كمِحْـــبَرٍ مِـــنْ لُجَيْـــنٍ		فيـــهِ بقيَّـــةُ حِـــبْرِ [١٠٣/آ]

قال أبو الوليد: قد أكمَلْتُ من النّواوير ماوقع إليَّ فيه الوَصْفُ الكثير، وبَقِيت نواوير وقعت إليَّ فيها أوصافٌ يسيرَةٌ، وقِطَعٌ قليلةٌ، ولكنّي أذكرها على علاّتها، وأوردُ

(١) في ط١ وط٢: «روضة» وهو تحريف.
(٢) البيتان ١ ـ ٢ في الذخيرة ٢/١/٢١٤.
(٣) في الذخيرة: «ربّ نيلوفر [illegible] الرّائي»
(٤) في الذخيرة: «كمليكٍ للزنج.. يدنو».

منها ماحسُنَتْ تشبيهاتُها[1] ، وجادَت صِفَاتُها[2] فمنها نَوْر اللّوز.

نَــوْر اللّـــوز

كـادَ أن يكـون أبْكَـرَ النّواويـر، وأوّلَ الأزاهـير، و لم أعامِلْـهُ بالتّأخـير إلاّ لِقلّـةِ الوصف له والقول، وذلك كلّ مايأتي مّما يبكّر، وإنّما له[3] التّأخير من أجل قلّـة القـول فيه، والتّشبيه له.

فمن المُستَحسن[4] في نَوْر اللّوز قطعةٌ فائقة الوصـف، رائقـة الرّصـف أنشـدنيها لنفسه صاحب الشّرطة أبو بكر بن القوطيّة موصولة بمَدحِ ذي الوزارتين أبي عمرو عبّاد أعزّه ا لله: [البسيط]

وأبيَـــضِ اللّــــوْنِ ذِفْلـــيٌّ غلائِلـــهُ ... عَليـهِ مـــن نَسْـجِ كـانونَيْنِ أبْـــرادُ

يَقُــولُ مُبْصِــرُهُ: سُـبْحانَ فـــاطِرِهِ ... كيْـفَ اسْتَقَلّتْ بهــذا الحُسْـنِ أفْـرادُ

يَــزورُ والنّــوْرُ لَـــمْ تُفْتَــحْ كَمائِمُــهُ ... ولاتَقدّمَـــــهُ لـــــلزَّوْرِ مِيعَــــادُ

كأنّـــهُ رَائـــدٌ أو طــــالِعٌ نُجُــــدَاً ... أَوْ قَــائِدٌ وَصُنُــوف النّــوْرِ أجْنَــادُ[5]

تُشَـبَّهُ الخَــوْخُ في حُسْــنِ النّـوارِ بــهِ ... يــاقَوْمُ حَتّــى مِــنَ الأشْـجَارِ حُسّــادُ

نَـوْرٌ حَـوَى قَصَــبَ المِضْمـارِ مُنْفَــرِدَاً ... كمَـا حَــوَى قَصَبـاتِ السَّـبْقِ عَبّــادُ

الطّـاعِنُ الخَيْـلَ قُدْمَــاً والقَنَـا قَصِــدٌ ... والسَّيفُ مُنْقَصِــفٌ والرُّمْـحُ مُنـآدُ[6]

والمُوقِـدُ النّـارَ جُــوْداً للضُّيــوفِ وقَــدْ ... جَـفَّ المزادُ وخَـفَّ الرَّحْـلُ والـزّادُ[7]

---

(١) في ط١ وط٢: «تشبيهاته».

(٢) في ط١ وط٢: «صفاته».

(٣) في ط١ وط٢ «وإنما عرض له».

(٤) في ط١ وط٢: «فممّا استحسن».

(٥) نُجُدٌ، واحدها نجد: وهو ماغلظ من الأرض وارتفع واستوى.

(٦) القَصِدُ من الرماح: المتكسّر. منآد: منحنٍ، معوجّ.

(٧) في ط١ وط٢: «جف المراد» وهو تصحيف. والمزاد: واحدها مزادة: وهي الراوية التي يحمل فيها الماء.

وللوزير أبي عامر بن مَسْلَمة فيه أبياتٌ حَسَنَةُ السَّبْكِ، جيدّةُ الحَبْكِ وهي:

[السريع]

يـازَهَرَ اللَّـوْزِ لَقَـدْ فَقْـتَ في الْـ ... إحْسَـانِ والحُسْـنِ فـأنْتَ البَديـعْ

قَـدْ حُـزْتَ حُسْنَيْنِ وحـازَتْ نَـوا ... وِيـرُ الرُّبَـا حُسْـناً فـأنْتَ الرَّفيـعْ

تَعْلـو بَهَـارَ الـرَّوْضِ حُسْـناً فَقَـدْ ... أصْبَحْـتُ مخصُوصَـاً بِحُـبِّ الرَّبيـعْ

قَـدْ أمَّـكَ الوُصَّـافُ إذْ شَـبَّهوا ... غَـيْرَكَ بـالخَدِّ وجَـارَ الجَميـعْ

فَلَوْنُـكَ المُشْـرَبُ في حُمْـرَةٍ ... مَـنْ يَـرَهُ أصْبَـحَ لايَسْـتَطيعْ[1] [١٠٣/ب]

دَفْعَـاً لَمَـا قُلْـتُ إذا عـايَنُوا ... جَمَـالَكَ النُّوريْـنِ عِنْـدَ الطُّلُـوعْ[2]

فُقْـتَ النّواويـرَ اعْتِـلاءً فَمَـا ... في زَهْرِهـا غَـيْرُ سَـميعٍ مُطِيـعْ[3]

قال أبو الوليد: ووقع إليَّ في نَوْرِ الأُقحوانِ قطع تَستولي علـى ميـدان الإحْسـان أنا ذاكرٌ جُملتَها ومُورِدٌ جميعها.

الأُقْحـوان

[**قال أبو الوليد**]: أنشدني [لنفسه] فيه الوزير أبو عامر بن مسلمة [بيتين بديعين في التّمثيل، رفيعين في التّشبيه وهما]:

[السّريع]

وأُقْحـوانٍ رَاقَـني نَـوْرُهُ ... إذْ ظَـلَّ يَرْنُـو بعُيـونٍ حِسَـانْ

كأنَّـهُ مُدْهُنَـةٌ مِـنْ مَهـاً ... مُحْكمَـةٌ في وَسْـطها زَعْفَـرانْ[4]

---

(١) في ط١ وط٢: «بياض مكان كلمة «فلونك» وفي ط١ وط٢: «كالمشرب».

(٢) في ط١ وط٢ بياض مكان كلمتي «دفعاً لما».

(٣) في ط١ وط٢ بياض مكان كلمة: «فُقتَ» وفي ط١ وط٢: «اغتلاءً».

(٤) المها: البلّور، واللؤلؤ.

وللفقيه أبي الحَسَن بن علي فيه قطعة [معجبة تضمّنت أوصافاً مغربة] موصولة بمدح ذي الوزارتين القاضي - [أطال الله بقاءه وأدام في درج العِزّ ارتقاءه ـ وهي]:

[الطويل]

إذَا مُيِّزَتْ أنْوارُ كُلِّ خَمِيلَةٍ ... فَنَورُ الأقَاحِ الغَضّ مِنْها ثُغورُهَا

تَألَّفْنَ دُرّاً فَوْقَ أغْصَانِ سُنْدُسٍ ... ونَكْهَةَ طِيبٍ بالصَّبَا تَسْتَثِيرُهَا

شَكَتْ قَضَفاً بَيْنَ النّواوِيرِ فَاتَّقَتْ ... وَجَاءَتْ إلى غُدْرانِها تَسْتَجيرُهَا

بِنُورِ ابْنِ عَبَّادٍ أضَاءَتْ وأشْرَقَتْ ... وَمِنْ وَجْهِهِ السَّامي تألَّفُ نورُهَا

ولَوْ أمَّلَتْهُ وَاسْتجارَتْ بِقُرْبِهِ ... لَذَلَّ مُنَاوِيها وعَزَّ نَصيرُهَا

قوله: «شَكَت قضفاً» القَضْفُ: الرِّقّة، وهو تمليحٌ مليحٌ في صُحْبتها الغُدُر، وربّما كانت في غيرها.

[ومن المستطرفِ المُسْتَظرَفِ قوله]:

[المجتث]

كأنَّ نَوْرَ الأقَاحِي ... دُرٌّ تَضَمَّنَ عَسْجَدْ(1)

أوْ لُؤلُؤٌ حَوْلَ صُفْرٍ ... مِنَ اليَواقيتِ نُضِّدْ

وَقَدْ بَدَا في غُصُونٍ ... مُخْضَرَّةٍ كالزَّبَرْجَدْ(2)

تُهْدِي لكَ المِسْكَ فَوْحاً ... مَعَ الأصَائلِ والنَّدْ(3)

يَزِيدُهُ اللَّحْظُ حُسْناً ... والعَيْنُ نُوراً مُجَدَّدْ

ومن السّابغ بُرْد كَماله، السَّائغِ وِرْد جماله، قول أبي جعفر بن الأبّار في بركةٍ على جوانبها أُقحوانٌ وهو:

[المنسرح]

وَبِرْكَةٍ بالأقَاحِ مُحْدَقَةٌ ... تُخَالُ رِيحُ الصَّبَا بِهَا صَبَّةْ(4)

---

(1) العسجد: الذهب.

(2) الزبرجد: حجر كريم.

(3) النّدّ: ضرب من الطّيب يُدخّن به.

(4) صبّةٌ: مغرمة.

يَحُـــلُّ فيهـــا الحُبَـــابُ حُبْوَتَـــهُ إذا جَـــرَتْ للصَّبَـــا بهَـــا هَبَّـــه[1]

كأنَّهـــا رَاحَـــةٌ بهَـــا غَضَـــنٌ حَفَّـــتْ مِـــنَ الـــدُّرِّ حَوْلَهـــا لَبَّـــهْ

شبّه تكسُّرَ الماءِ براحَةٍ: وهي الكفّ فيها غَضَنٌ، والغَضَنُ: التَّشَنُّجِ والتَّكسُّر [١٠٤/آ] وشبّه ابيضاضَ الأُقحوانِ واتّصالَه وإحداقَهُ بالبركة بلَبَّةِ دُرّ. واللَّبَّةُ: العِقْد العَالي، سُمّي بموضِعِهِ من الصَّدر.

ولأبي القاسم البَلْميّ فيه تشبيه حَسَنٌ [أنشدنيه، وهو]: [الخفيف]

رَاقَ عَيْنَـــيَّ مَنْظَـــرُ الأُقْحُـــوان بنَفيـــسِ اللُّجَيْـــنِ والعِقْيَـــان[2]

كَفُّـــهُ بـــالحَبيبِ سَـــوَّكَ فـــاهُ بَعْـــدَ عُـــودِ الأراكِ بـــالزَّعْفَران

قال أبو الوليد: ولي في بِرْكَةٍ عليها أُقْحوانٌ تشبيهٌ تضمَّنَهُ بيتان وهما:

[المتقارب]

كـــأنَّ الـــثَّرَى صَـــيْرَفيٌّ لَـــهُ نُطُـــوعٌ مِـــنَ الـــلازَوَرْدِ البَديـــع[3]

يُقَلِّـــبُ فيـــهِ مِـــنَ الأُقْحُـــوا نِ دِرْهَـمُ مِنْ ضَرْبِ كـفِّ الرَّبيـعْ[4]

هذا ماعثرتُ عليه وانتهيتُ باجتهادي إليه في نَوْر الأقحوان من التّشبيهات الحسان.

وحين أكملتُهُ أُوردُ ماوقع إليَّ مِنَ المُسْتَندر في الشَّقِر.

الشَّـــقِر

ويسمّى شقائق النُّعمان، وسأذكر مـارأيتُ مـن التّشـبيه في هـذا البـاب إن شـاء الله.

---

(١) الحُبوة: الثوب الذي يُحتبى به.

(٢) اللُّجين: الفضة. العقيان: الذّهب.

(٣) في ط١ وط٢ بياض موضع كلمة «كأنَّ» وفي ط١ وط٢ «بالثرى». والنُّطوع، واحدها نطع: بساط من أديم، واللازورد: معدن مشهور شفاف أزرق ضارب إلى الخضرة.

(٤) في ط١ وط٢ بياض موضع كلمة: «يقلّب».

فمن جيّد التّشبيه فيه وحُسْنِ التّمثيل له قول الفقيه أبي الحَسَن بن علي موصولاً بمَدْح ذي الوزارتين القاضي - كَبَت الله أعداءه، وأدام[1] عليهم إعداءه - وهو[2] :

[البسيط]

إنَّ الشَّقائِقَ مِنْ حُمْرِ الخُدودِ قَدِ اشْـ ... تُقَّتْ وَمُسْوَدّها مِنْ حالِكِ اللِّمَمِ[3]

كأنّها في المُروجِ الخُضْرِ أبْنِيَةٌ ... حُمْرٌ قَدِ اصْطُلمحَتْ مِنْ قانيءِ الأُدُمِ[4]

يابْنَ الّذي قَدْ حَماهَا في مَنَابتِها ... فَلَمْ تَزَلْ في حِمًى مِنْهُ وفي حَرَمِ

مَعروفَةٌ باسْمِهِ في كُلِّ مُطَّلَعٍ ... مَحْفُوظَةُ المُنْتَهَى مَرْعِيَّةُ الذِّمَمِ

جَدِّدْ لَها مِنْ وَكيدِ العَهْدِ حُرْمَتَها ... وَصِلْ لَها مُحْدَث الإكرامِ بالقِدَمِ

قوله: «يابن الّذي قد حماها» يخاطب ذا الوزارتين القاضي - أعزَّه الله - لأنّه ابن النّعمان الملك الّذي نُسبَتْ إليهِ الشَّقائق، وجاء في الخبر قال[5] :

خرج النُّعمانُ يومًا فمشى حتّى انتهى إلى الظَّهْرِ[6]، وقد اعتمَّ بنَبْتِهِ مِن أحمرَ وأصْفَر، وإذا فيه من هذه الشَّقائق شيءٌ لم يَرَ مِثلَهُ، فقال: احموها. فحمُوْها. فسمّيت [١٠٤/ب] شقائق النُّعمان بذلك. حكى هذا أبو حنيفة ورفعه إلى أعْشى بكر[7] وذكر أنّه كان حاضر النّعمان يومئذ.

وله أيضاً فيه أبيات عجيبة ضمّنها هذا المعنى وهي: [الخفيف]

أَصْبَحَتْ طُلَّعَ الشَّقائقِ نَهْبًا ... لِجُنَاةِ الوَرَى بكُلِّ طَريقِ

---

(١) في ط١ : «وأدلَ». وهو تحريف.

(٢) الأبيات في الذخيرة ٢/١/٢٠١.

(٣) اللِّمَمُ: واحدها اللِّمَّة: شعر الرأس. الحالك: الأسود.

(٤) في الذخيرة: «آنية حمر قد اضطربت». اصطلمت: استؤصلت. والأدم، واحدها أديم: الجلد الأحمر.

(٥) انظر ثمار القلوب للثعالبي ١٨٣، واللسان (شقق).

(٦) الظهر: موضع.

(٧) في ط١ وط٢: «أعشى قيس الذي كان حاضر النعمان» وهو وهم.

لَــوْ أُعِيــدَ النُّعْمَــانُ حَيَّــاً لِرَاعَــى غَــيْرَ وَانٍ لَهَــا مُضَــاعَ الحُقــوقِ

وَكَــأَنَّ السَّــوادَ فِيهــا غَــوالٍ . بُسِـطَتْ في مَدَاهِــنٍ مِــنْ عَقيــقِ[1]

أَوْ نَثـيرٌ مِـنْ طَيِّـبِ المِسْـكِ مَحْـضٌ صُـبَّ بِـالعَمْدِ في كُـؤوسِ الرَّحيــقِ

ومن الصِّفات المستحسنة[2] قول الوزير أبي عامر بن مَسْلَمَة وهو: [الخفيف]

يَــا نَدِيمِي قُــم اصْطَبِــحْ وعَلَــى العُــودِ فَــاقْتَرِحْ[3]

إنَّمَــا العَيْــشُ بالسَّــمَا عِ وبالنَّــاي والقَــدَحْ[4]

وتَــأمَّلْ حُسْــنَ الشَّــقَا ئِــقِ تَنْشَــطْ إلى المِــدَحْ

مِثْــلَ كَــأْسِ العَقيــقِ في قاعِــهِ المِسْــكُ يُلْتَمَــحْ

ومِنَ الصِّفات السَّنِيَّةُ المحكمة[5] فيه قول صاحب الشّرطة أبي بكر بن القوطيّة وهي: [الرّجز]

وحــالِكِ اللَّــوْنِ كَلَــوْنِ المِسْــكِ

كأنَّمــا أَحْداقُــهُ مِــنْ سُــكِّ[6]

مُــدَّرِعٍ ثَوْبــاً دقيــقَ السِّــلْكِ

كأنَّمــا صِباغُــهُ بِــاللُّكِّ[7]

أَزْرَى بلَـوْنِ الـوَرْدِ لوما يَحْكِـي

---

(١) غوالٍ، واحدها غالية: ضرب من الطيب.

(٢) في طا وط٢: «السنيّة المحكمة».

(٣) الاقتراح: الارتجال.

(٤) ط١: «وبالنأي» والناي آلة موسيقية معروفة.

(٥) في ط١ وط٢: «المستحسنة».

(٦) السُّكُّ: ضرب من الطيب يركّب من مسك ورامك.

(٧) اللّكُّ: صبغ أحمر.

نَسِـيمُهُ كـانَ بِغَـيْرِ شَـكٍّ[1]

مـابيـنَ أَنْـوارِ الـرُّبـا كـالمَلْكِ

قال أبو الوليد: ولي فيه بيتان ربّما أنفردُ بتشبيههِ[2] وهما: [الطويل]

رِيَـاضٌ يَحَيِّيها الحَيَا بانْسِكابهِ ... فَتَسفِرُ للنُّظّارِ عَن مَنْظَرٍ نَضْرِ

إذا مـابَدَتْ فيهـا الشَّقَائِقُ خِلْتَها ... شُعُورَ العَذارَى لُحْنَ في الخُمُرِ الحُمْرِ[3]

لم أعثر في الشّقائق[4] على غير ماأوردتُ[5]، ولاوجدتُ في وصفها سوى ماذكرتُ.

ووقعت إليَّ في نَوْرِ الباقِلاء صِفاتٌ جيّدةٌ وتشبيهاتٌ حَسَنَةٌ أذكرها بأسْرِها وأوردُ جميعها.

نَـوْرُ البـاقـلاء

فمن بديع ماقيل فيه، ورفيع ماشُبِّهَ بِهِ قول صاحب الشّرطة أبي بكر بن القوطيّة وهو: [الخفيف]

وبَنـاتٍ لِلْبَـاقِلاءِ تَبَـدَّتْ ... كعُيُونٍ تفتَّحَتْ مِنْ رُقَادِ

فَبَيـاضٌ مِنْهـا مَكـانَ بَيـاضٍ ... وَسَـوادٌ مِنْها مَكـانَ سَـوادِ [١٠٥/آ]

وقال أبو جعفر بن الأبّار يصفه في قطعة موصولة بمدحِ أبي ـ أطال الله لي عمره، ورزقني برّه ـ فاستكمل الصِّفات بأبْدَعِ تَشبيهاتٍ وأرْفع تمثيلات [والقطعة]:

---

(١) في الأصل: «أورى بلون» وهو تحريف.

(٢) في ط١ وط٢: «انفردا بتشبيه».

(٣) بياض في ط١ وط٢ موضع كلمتي: «إذا مابدت». والخُمُر: واحدها خمار: ماتغطّي به المرأة رأسها.

(٤) في ط١ وط٢: «بياض موضع كلمات: «لم أعثر في».

(٥) في ط١ وط٢: «على غيرها».

[مجزوء الرجز]

وَبَــاقِلاءِ بَــاقِلٍ يُعْجِبُ حُسْناً مَنْ رَمَقْ
كأنَّمَــا نُــوَّارُهُ إذْ راقَ خَلْقاً وَخُلُقْ
أَذْقــانُ بيضٍ غُلِّفَتْ لِمُبْصِرٍ ومُنْتَشِقْ[1]
أوْ أَعْيُنٌ حُورٌ جَرَتْ إلى مآقِيها الحَدَقْ[2]
وَهُدْبُهَا مُسْتَبْطِنٌ في وَرَقٍ مِنَ الوَرَقْ
أوْ جُنْحُ لَيْلٍ بَقِيَتْ مِنْهُ بَقايَا في فَلَقْ[3]
أو سَبَجٌ في دُرَرٍ أوْ ثُنَّ بِهَا بَلَقْ[4]
كَأنَّ لِلمِسْكِ بِهَا مَشْقاً بُنَيَّاتِ طُرُقْ[5]
وَعَرْفُهُ مَعَرِّفٌ بأنَّهُ فيه فُتِقْ
كأنَّ نَجْلَ عامِرٍ مِنْ خلْقِهِ طِيباً خُلِقْ[6]
مَلْكٌ إذا صَالَ عَفَا حِلْماً وإنْ سِيلَ انْدَفَقْ
إنْ بَخِلَ الغَيْثُ سَخَا أو عَنُفَ الدَّهْرُ رَفَقْ

قوله: «جرَت إلى مآقيها الحَدَق» بديع غريب لأنَّ السَّواد الّذي جعله حَدَقة العين هو في ناحية من النَّوْر، وليس متوسّطا له، فكأنَّ الحَدَقة قد جرت إلى المأقِ وهو طرف العين مما يلي الأنف. «وهُدْبُها مُستبطِن..» البيت وهو ممّا أكمَل به الوصف وتمّم

---

(١) في الأصل: «عُلِّقت» وفيه تحريف. وغُلّفت: من غلّف لحيته بالطيب والحناء والغالية. وغلّفها: بطّنها.

(٢) حور، واحدها حوراء، والحور في العيون شدّة السّواد في شدة البياض.

(٣) الفَلق: الصّبح.

(٤) السَّبج: خرز أسود.

(٥) بنيات الطريق: الصعاب والمعاسف (ثمار القلوب٢٧٨:). يريد أن رائحة المسك في قوتها كقوة الناقة الشديدة في اختراق الطريق الصعبة.

(٦) في ط١ وط٢: «جُلّ عامر».

التشبيه، لأنَّ في الورقة الّتي ظاهِرُها تلك الصّفة المتقدّمة خطوطاً سُوداًجعلها هُدْباً لتلك العيون، وهي الّتي عنى بقوله:

كــأنّ للمِسْــكِ بِهَــا ... مَشْــقاً بنيّــاتِ طُــرُق[1]

وقوله: «أو ثُنَنٌ بِها بَلَق» جمع ثُنّة وهي الشَّعر الذي[2] يكون على مؤخّر الرُّسغ.

قال أبو الوليد: ولي فيه تشبيه ربّما يوافق، وتمثيل كأنّه يطابق وهو[3] :

[الطويل]

أرَى البَاقِلاءَ البَاقِلَ اللَّوْنِ لابسَاً ... بُرودَ سَمَاءٍ مِن سَحائِبها غُذي[4]

تَرَى نَوْرَهُ يَلْتَاحُ في وَرَقَاتِهِ ... كَبُلْقِ جيادٍ في جِلالٍ زُمُرُّذِ

ودخلتُ بُستاناً لي مع الفقيه أبي الحسن بن علي وكان به[5] باقِلاء قد نوَّر، فأخذَ من نَوْرِهِ وصَنَع مِصراعاً وسألني إجازته، ففَعلتُ وزِدْتُ بيتاً آخر. ومصراعه:

[الرّمل]

سَبَجٌ في كَأْسِ دُرٍّ ... .

وزيادتي[6] : .... أوْ كُسُوفٌ وَسْطَ بَدْرِ

أَوْ غَوالٍ في لآلٍ ... أوْ غِشَاءٌ بَيْنَ فَجْرِ

(١) في ط١ وط٢: «للمسك به».

(٢) في ط ١وط٢: «التي تكون».

(٣) البيتان في نفح الطيب ٣/٤٢٨.

(٤) في النفح: «أتى الباقلاء». وباقل اللون: أخضر اللون.

(٥) في ط١ وط٢: «وكان بها».

(٦) «وزيادتي» ليست في ط١ وط٢ فظهر فيهما أن البيت بكامله لأبي الحسن بن علي وهذا وهم. لأنّ صدر البيت الأول فقط له.

ووقعت إليَّ أيضاً في الباقلاء بعينهِ قطع مستطرفَةٌ وأوصافٌ مستظرفة تشبّهت بالنَّوْر فرأيتُ ذِكْرَها، فمنها وصف الوزير أبي عامر بن شُهَيْد ــ رحمه الله ــ في قطعة بديعة [بزيعة]، مطبوعة مصنوعة وهي[1]: [المنسرح]

إنَّ لآلِيكَ أَحْدَثَتْ صَلَفَا فاتَّخذَتْ مِن زُمُرُّدٍ صَدَفَا[2]

تَسْكُنُ ضَرَّاتُها البُحورَ وَذِي تَسْكُنُ للحُسْنِ رَوْضَةً أُنُفَا[3]

هامَتْ بِلُحْفِ الجِنَانِ فاتَّخذَتْ مَنْ سُنْدُسٍ في جَنانِهِا لُحُفَا

تَثْقُبُها بالثُّغورِ من لُطُفٍ حَسْبُكَ مِنّا بِبِرٍّ مَنْ لَطُفَا[4]

أَكْلُ ظَرِيفٍ وطَعْمُ ذِي أَدَبٍ والفُولُ يَهواهُ كُلُّ مَنْ ظَرُفَا

وقال لي الفقيه أبو الحَسن بن علي: رأيت في يد صديقٍ حَبَّةَ باقِلاء شديدةَ سواد القِشْر، وكلّفني وصفها فقلتُ بديهة: [المنسرح]

فَصٌّ مِنَ العَاجِ حُقُّهُ سَبَجٌ مُمْتَزِجٌ بالجَمالِ مُزْدَوِجُ

فيهِ سَوَادٌ يَزِينُ غُرَّتَهُ كأنَّهُ مُقْلَةٌ بِهَا دَعَجُ[5]

يُؤثَرُ رَطْباً وَيَابِساً أَبَداً وَيَشْتَهِي النَّفْسَ فَوحُهُ الأرِجِ

وأخبرني أيضاً قال: طالعتُ بستاناً لي بغربي قرطبة، وكان فيه باقِلاءُ فجعَلَ بعضُ الغِلمانِ يُنَقِّي منه ويناولني فقلت: [المنسرح]

رِيمٌ سَبَى مُقْلَتِي تَورُّدُهُ يَسُلُّ سَيْفَ الهَوَى ويُغْمِدُهُ

---

(١) ديوان ابن شهيد ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) في ط١ وط٢: «زمرّذ».

(٣) في الديوان: «تسكن درّاتها» وفي (الأصل: «النُّحور» وهو تصحيف. وروضة أنف: لم يرعها أحد.

(٤) في الديوان: «نثقبها».

(٥) الدَّعَجُ: السَّواد.

جَـارَ عَلـى جَرْجَـرٍ فخرَّبَـهُ ... وَظَـلَّ مِـن قِشـرِهِ يُجَـرِّدُهُ[1]

وكُلَّمَـا ابـتزَّ ثَـوبَ واحِـدَةٍ ... مِنْهـا حَبَتْـني بِحَبِّهـا يَـدُهُ

فقلـتُ مسـتطرِفاً لِفِعْلَتِـهِ ... وَزادَ في نُبْلِـهِ تَعَمُّـدُهُ[2]:

كِلاكُمـا لاعَدِمْـتُ حُسْـنَكُما ... يَنْشَـقُّ عَـنْ لُؤلُـؤٍ زَبَرْجَـدُهُ

فارْتَـابَ بـي وانثنـى علـى خَجَـلٍ ... وَحَبُّـهُ سـاقِطٌ يُبَـدِّدُهُ

قوله: «جار على جرْجرٍ» الجَرْجرُ لُغةٌ في الباقِلاء. وقوله: «ينشقُّ عن لؤلؤٍ زَبَرْجَدُه» فاللؤلؤان [١٠٦/آ] من هذا وهذا الحبّ والثّغْر. والزَّبرجدان منهما: القِشْرُ والشَّارِبُ الأخضران. وفي هذه القطعة من جيّد الصّناعة، وحُسْنِ الصّياغة مايعجبُ الناظر، ويعجزُ[3] الخاطر.

قال أبو الوليد: وفي بِزْرِ الكتّان أوصاف موسومة بالإحسانِ أنا ذاكرُها إن شاء الله تعالى.

نَـورُ الكَتّـان

قال أبو جعفر بن الأبّار يصفه [بوصفٍ نادرٍ مختار وهو]: [المجتثّ]

وَبِـزْرِ كَتّـانَ أَوْفَـى ... بِكُـلِّ وَهْـدٍ ونَجْـدِ[4]

كأنَّـهُ حِيـنَ يَبْـدُو ... مَدَاهِـنُ الـلاَّزَوَرْدِ

إذا السَّـماءُ رَأَتْـهُ ... تَقُـولُ: ذا مِـن فِرِنْـدي[5]

قال أبو الوليد: ولي فيه قطعة أخرى[6]. [المنسرح]

---

(١) الجرجرُ: الفولُ في كلام أهل العراق.

(٢) في ط١ وط٢: «مستظرفاً».

(٣) في ط١: «ويعجر» تصحيف.

(٤) الوهد، واحدها وَهْدَة: الأرض المنخفضة. والنجد: المرتفع من الأرض.

(٥) الفرند، السيف، وجوهره. وما يلمح في صفحته من أثر تموّج الضوء.

(٦) الأبيات في الذخيرة ١٣٣/١/٢. وكلمة «أخرى» ليس في ط١ وط٢.

كَأَنَّ نَوْرَ الكَتّانِ حينَ بَدَا ... وقَدْ جَلاَ حُسْنُهُ صَدَا الأَنْفُسْ

أكُفُّ فَيْروزَجٍ مَعَاصِمُها ... قد سَتَرَتْهُنَّ خُضْرَةُ المَلْبَسْ

أَوْ لازَوَرْدُ الياقوتِ قَدْ وُضِعَتْ ... على بِساطٍ يَروقُ من سُنْدُسْ[1]

ووقع إليَّ في نَوْرِ الغالبة وصفٌ حسن الذِّكر أذكرُه لئلاّ أَدَعَ مُسْتَحْسَناً أَجِدُه.

نـور الغـالبـة

قال الوزير الكاتب أبو القاسم بن الخرّاز يصفه فأحسنَ وأغربَ، وأبْدَعَ وأعجبَ وهو: [البسيط]

ورَخْتَجِيٌّ سَحَابيٌّ قَوائِمُهُ ... خُضْرٌ حكى يَاسِميناً في تَفَتُّحِهِ[2]

تَميسُ قُضْبَانُهُ والرِّيحُ تَعْطِفُها ... مَشْيَ النَّزيفِ تَهادَى في تَرَنُّحِهِ[3]

كأنَّ أوراقَهُ في حُسنِ خُضرتِها ... مِن الزُّمُرّدِ أسْنَاهُ وَأَمْلَحُهُ[4]

تَخَيَّر الشَّطَّ في الأنهارِ مَنْبَتَهُ ... ففازَ بالعَرْفِ في مَعْنَى تَبَطُّحِهِ[5]

وغالَبَ النَّوْرَ حَتَّى قيلَ غالِبَةٌ ... فَحَسْبُهُ غالِباً كافي مُرَشِّحِهِ

قال أبو الوليد: ووقع إليَّ في نَوْرِ الرَّمّان قِطعتان حَسَنتانِ و لم يتأخّر عن غيره إلاّ بتأخُّر وقته وإبطائهِ عن أوانِ نُظرائه.

---

(١) في ط١ وط٢: «تروق». والسندس: ضرب رقيق من الدّيباج.

(٢) في الأصل: «ووجنتي».

(٣) في ط١ وط٢: «قضبانها». والنّزيف: السكران.

(٤) في ط١ وط٢: «الزمرّذ».

(٥) بياض في ط١ وط٢ موضع كلمات: «تخيّر... معنى تبطحه».

نَـوْرُ الرُّمّـان

فمن التّشبيهات العُقْمِ فيه قَوْلُ أبي القاسم بن هانئ الأندلسـيّ في كِمامَـةِ نُـوَّارة سقطت منه وهو[1] [١٠٦/ب]: [الرّجز]

وَبِنْـتِ أَيْـكٍ كالشَّـبابِ النَّضْـرِ

كأنّهـا بَيْـنَ الغُصـونِ الخُضْـرِ[2]

جَنَـانُ بـازٍ أو جَنَـانُ صَقْـرِ

قَـدْ خَلَّفَتْـهُ لَقَـوَةٌ بِوَكْـرِ[3]

كأنّمـا مَجّـتْ دَمـاً مِـنْ نَحْـرِ

أو سُـقِيتْ بِجَـدْوَلٍ مِـن خَمْـرِ[4]

أو نبتَـتْ في تُرْبَـةٍ مِـنْ جَمْـرِ

لَوْ كفَّ عَنْهـا الدَّهْرُ صَرْفَ الدَّهْرِ[5]

جَـاءَتْ بِمِثْـلِ النَّهْـدِ فَـوْقَ الصَّـدْرِ

تَفْـتَرُّ عَـن مِثْـلِ اللِّثَـاتِ الحُمْـرِ[6]

فـي مِثْـلِ طعْـمِ الوَصْـلِ بعـد الهَجْـرِ

ومن التّشبيهات الأنيقة، والتّمثيلات الدّقيقة قولُ أبي جعفر بن الأبّار في كمـائمِ هذا النُّوّار وهو: [المنسرح]

---

(١) ديوان ابن هانئ: ١٧٥.

(٢) أراد ببنت الأيك: زهرة الرمان. واستعار الأيك وهو الشجر الكثيف الملتفّ لشجرة الرمان لتشابك أغصانها ووفرتها.

(٣) اللَّقوةُ: العُقاب الأنثى. الجنان: القلب لاستتاره في الصدر.

(٤) في الديوان: «أورويت بجدول». مجّت: بصقت.

(٥) في ط١ وط٢: «لو نبتت» وفي الديوان: «أو نشأت». وفي الأصل: «إن كفّ».

(٦) تفترّ: تبتسم. اللّثات: واحدها اللّثة: اللحمة المحيطة بالأسنان.

أعْجِبْ بأيْكِ الرُّمَّانِ حينَ بَدا نُوَّارُهُ المُحْتَوي مَدى السَّبْقِ
مِثْلَ أكُفٍّ الدُّمَى مُحَنَّأةٌ أوْ كَبنانِ الحَمائمِ الوُرْقِ
أو كحِقَاقٍ تفتَّحَتْ فَبَدَتْ غلائلٌ وسَطْهُا مِنَ السبَرْقِ

الجُلَّنار

وللوزير أبي عامر بن مسلمة في وصف الجُلَّنار أبياتٌ بديعة رفيعة المقدار وهي:

[المنسرح]

وَجُلَّنارٍ بِنَوْرِه يَزْهَرْ أَوْراقُهُ فِتْنَةٌ لِمَنْ أَبْصَرْ
قَدْ شَبَهَ الوَرْدَ في تَضاعُفِهِ وقارَب اللَّوْنُ حُلَّةَ العُصْفُرِ
مِثْلَ ثِمارِ الرُّمّانِ زَاهِرَةً لكنَّهُ مَنْظَرٌ بلا مَخْبَرِ

قال أبو الوليد: ولي فيه قطعة رُبّما وافقَت صفتَهُ وطابقت هيئته وهي:

[المجتث]

وجُلّنارٍ تَبَدَّى يَخْتالُ في جُلٍّ نارِ
أحْلى حُلًى مِنْ جَميعِ الْـ ـأَنْوَارِ والأزهارِ
حَكى خُدُودَ العَذارَى قَدْ شُرِّبَتْ باحْمِرَارِ
وخُمِّشَتْ بِأَكُفِّ الْـ ـأَلْحَاظِ والأبْصَارِ

جلّ نار في القافية مفصول، وإنّما هو جُلٌّ من نارٍ واتّفق فيه تشبيهٌ وتجنيس.

قال أبو الوليد [إسماعيل بن عامر]: هذا ماعثرت عليه، وانتهيتُ بكثرة[1] البحث إليه، وإن وقع إليَّ بعدُ وصْفٌ رائقٌ أو معنًى فائقٌ ألحقتُهُ في هذا الكتاب، ووضعتُه في موضعه[2] من كلّ باب، والبَشَرُ غير معصوم، ومن بذل جُهْدَ نفسه فليس

(١) «بكثرة» ليست في ط١ وط٢.

(٢) في ط١ وط٢: «بموضعه».

بمذموم. وحسبي: [١٠٧/آ] أنّي قد جمعتُ من غرائب الأندلسيّين ونوادرهم، وأوردت من فضائلهم ومآثرهم مايمكن أن يتغمّد به، ويصفح من أجله عمّا عَرضَ مِنْ زَلَل، أو وقع من خَطَل، فربّما أدْخلتُ لأهْل عصري مايقربُ من البديع، ولايبعد عن الرَّبيع، فمن نقد ذلك فليعلم أنّي لم أجهلْهُ، وإنّما تحفّظتُ من ناظميه، وأغضيْتُ لهم على مافيه، وليس ذلكّ إلاّ في أبياتٍ يسيرةٍ، وصفاتٍ غير كثيرة، وا لله المستعانُ على التّوفيق والهادي إلى سواء الطريق[1] .

[تمّ كتاب البديع في وصف الرّبيع بحَمْدِ ا لله وعونه، وصلّى ا لله على محمّد خيرته من خلقهِ وعلى أهْلِهِ وسلّم تسليماً].

---

(١) هنا تنتهي نسخة الأصل.



الملاحق



الملحق الأول

تراجم الشعراء الأندلسيين الذين وردوا في المتن

١ ـ أحمد بن فرج الجيّانيّ

أحمد بن محمد بن فرج الجيّاني، أبو عمر، أديب شاعر، ألّف للحكم المستنصر كتاب «الحدائق» وعارض فيه كتاب «الزهرة» لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، توفي سنة ٣٦٦هـ.

بغية الملتمس ١٥١، الحلة السيراء ١/٢٥٠، جذوة المقتبس ٩٧، رايات المبرزين ١٨٤، المطرب ٥، مطمح الأنفس ٣٣٢، المغرب ٢/٥٦.

٢ ـ أحمد بن هشام بن عبد العزيز بن محمد بن سعيد الخير

أديب شاعر له شعر كثير.

بغية الملتمس ٢٠٩، جذوة المقتبس ١٣٩، المطرب ١٥٧.

٣ ـ إدريس بن اليَمانْ

شاعر، عالم، كان ينتجع الملوك، وله مدائح كثيرة في ملوك الطوائف. أطال الإقامة في جزيرة «يابسة» حتى نُسب إليها.

بغية الملتمس ٢٣٦، جذوة المقتبس ١٦٠، الحلّة السّيراء ٢/١٨٤، الذخيرة ٣/١/٣٣٦، رايان المبرزين ٢٢٩، المغرب ١/٤٠٠، نفح الطيب ٤/٧٥، ١٥٦.

٤ ـ أبو بكر بن القوطية

محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم، أديب، لغوي، عالم بالنحو، من حفّاظ الحديث والأخبار والنوادر، له مؤلفات منها «الأفعال» و «المقصور والممدود» و«تاريخ افتتاح الأندلس». توفي سنة ٣٦٧ هـ.

بغية المتلمس ١١٢، جذوة المقتبس ٣٦٩، رايات المبرزين ٥٤، شذرات الذهب ٣/٦٢، نفح الطيب ٤/٢٥، وفيات الأعيان ٤/٣٦٨.

٥ ـ أبو بكر بن نصر

من أهل الأدب والشعر بإشبيلية.

بغية الملتمس ٥٢٠، جذوة المقتبس ٣٦٩.

٦ ـ أبو بكر بن هذيل

يحيى بن هذيل بن عبد الملك بن هذيل، أديب، شاعر، عالم بالحديث، توفي سنة ٣٨٥هـ أو ٣٨٦هـ، وقد بلغ من الأدب والشعر شأواً عظيماً.

بغية ملتمس ٥٠٩، جذوة المقتبس ٣٥٨، نكت الهميان ٣٠٧، يتيمة الدهر ٢/١٤.

٧ ـ أبو جعفر بن الأبّار

أحمد بن محمد الخولاني الأندلسي، كان شاعر المعتضد بن عبّاد صاحب إشبيلية وكان عالماً جمع وصنف، وله في صناعة النظم فصل لأيُردّ، وإحسان لأيُعدّ، توفي سنة ٤٣٣هـ.

بغية الملتمس ١٦٤، جذوة المقتبس ١٠٧، الذخيرة ٢/١/١٣٥، المغرب ١/٢٦٤، نفح الطيب ٣/٤٧٧، وفيات الأعيان ١/١٤١.

٨ ـ جعفر بن عثمان المصحفّي

أبو الحسن، من بربر بلنسية، أديب، شاعر، عمل كاتباً أيّام الناصر، ثم أضحى وزيراً في خلافة الحكم، سجنه المنصور بن أبي عامر حتى وفاته سنة ٣٧٢هـ.

بغية الملتمس ٢٥٧، جذوة المقتبس ١٧٥، الحلة السيراء ١/٢٥٧، الذخيرة ٤/١/٤٦، رايات المبرزين ١١٧، مطمح الأنفس ١٥٣، نفح الطيب ١/٤٠٢.

٩ ـ أبو الحسن بن علي الأشجعي

علي بن عبد الله بن علي المعروف بالأستجيّ، من أهل الأدب والفضل، كان فقيهاً نحوياً من أهل قرطبة وسكن إشبيلية.

بغية المتلمس ٤٢٣، جذوة المقتبس ٢٩٥، الذخيرة ٢/١/٢٠٠.

١٠ ـ أبو الحسن بن أبي غالب

علي بن أبي غالب، أديب شاعر، سكن إشبيلية أيّام القاضي أبي القاسم محمد بن عباد.

بغية الملتمس ٤٢٦، جذوة المقتبس ٢٩٦ و ٣٧١.

١١ ـ أبو حفص بن برد

أحمد بن محمد بن أحمد بن برد، أديب كاتب، له «رسالة المفاخرة بين السيف والقلم» كان حيّاً سنة ٤٤٠هـ.

بغية الملتمس ١٦٤، جذوة المقتبس ١٠٧، الذخيرة ١/٢/١٨، رايات المبرزين ١٢٠، المطرب ١٢٧، مطمح الأنفس ٢٠٧، نفح الطيب ٣/٥٤٦، الوافي بالوفيات ٧/٣٥٠.

١٢ ـ ابن الحنّاط

محمد بن سليمان الرُّعيني، أبو عبد الله البصير، كان متقدماً في الأدب والبلاغة والشعر، مدح الملوك والوزراء، وكان بينه وبين ابن شُهَيد مهاترات ومعارضات، اتصل بدولة بني حمود، ومدح أمراءها، توفي سنة ٤٣٧هـ.

بغية الملتمس ٧٧، التكملة ١/٣٨٧، جذوة المقتبس ٥٣، الذخيرة ١/١/٤٣٧، الذيل والتكملة ٦/٢٢١، المغرب ١/٢٢١، نفح الطيب ١/٣٨٧.

١٣ ـ ابن درّاج

أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي، من أشهر شعراء الأندلس، وكان كاتب المنصور بن أبي عامر وشاعره، قال عنه الثعالبي في اليتيمة: «كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام». توفي سنة ٤٢١ هـ.

انظر مقدمة ديوانه المطبوع، ومصادرها.

١٤ ـ الرّماديّ

يوسف بن هارون الرّماديّ، أبو عمر، شاعر مشهور، روى عن القالي كتاب «النوادر»، توفي سنة ٤٠٣هـ.

بغية الملتمس ٤٩٣، جذوة المقتبس ٣٤٦، الصلة ٦٣٧/٢، المطرب ٤، مطمح الأنفس ٣١١، المغرب ٣٩٢/١، نفح الطيب ٣٦/٢.

١٥ ـ سليمان بن بطال المتلمّس

سليمان بن محمد بن بطال البطليوسيّ، المعروف بالمتلمّس، فقيه مقدّم، وشاعر محسن كثير الشعر له كتاب «الأحكام فيما لايستغني عنه الحكام» كان قريباً من الأربع مئة.

بغية الملتمس ٢٩٧، جذوة المقتبس ٢٠٦.

١٦ ـ سعيد بن محمدبن فرج الجيّانيّ

أبو عثمان، عالم، أديب، من حفّاظ اللغة والعلماء بالشعر، رحل إلى المشرق وحجّ ثمّ دخل بغداد، وسكن مصر ثم القيروان إلى أن بلغه أن عبد الرحمن بن الحكم ولي الأندلس فرحل إليه وعاش في كنفه وأكثر من مدحه.

بغية الملتمس ٣٠٥، جذوة المقتبس ٢١١، المغرب ١١٤/١.

١٧ ـ أبو عامر بن شُهيد

أحمد بن عبد الملك بن شُهَيد الأشجعي، وزير، كاتب، شاعر، استوزره المستظهر ثم المعتد بالله، له مؤلفات منها «حانوت عطّار» و«رسالة التّوابع والزّوابع» ولد سنة ٣٨٢ هـ وتوفي ٤٢٦هـ.

بغية الملتمس ١٩١، جذوة المقتبس ١٢٣، الذخيرة ١٦١/١/١، رايات المبرزين ١٢٤، المطرب ١٤٧، مطمح الأنفس ١٨٩، نفح الطيب ٦٢١/١، وفيات الأعيان ١١٦/١، يتيمة الدهر ٣٨٢/١.

١٨ ـ أبو عامر بن مسلمة

محمد بن عبدا لله بن محمد بن مسلمة، وزير، أديب، عالم، سكن إشبيلية، له كتاب «حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح».

بغية الملتمس ٩٠، جذوة المقتبس ٦١، مطمح الأنفس ٢٠٣، المغرب ٩٦/١، نفح الطيب ٥٤٤/٣.

١٩ ـ عبادة بن ماء السَّماء

أبو بكر، من شعراء الموشحات، عاش في الفترة العامرية، ومدح أمراءها. له كتاب «أخبار شعراء الأندلس». توفي سنة ٤١٩هـ.

بغية الملتمس ٣٩٦، جذوة المقتبس ٢٧٤، الذخيرة ١/٢/١، رايات المبرزين ١٣٥، فوات الوفيات ١٤٩/٢، مطمح الأنفس ٣٤٤، نفح الطيب ٥٢/٤.

٢٠ ـ ابن عبد ربّه

أحمد بن محمد بن عبد ربه، أديب، شاعر، عالم، له كتاب «العقد الفريد» ولد سنة ٤٢٦هـ وتوفي سنة ٣٢٨ هـ، له ديوان مطبوع.

بغية الملتمس ١٤٨، جذوة المقتبس ٩٤، تاريخ علماء الأندلس ٤٩/١، راريات المبرزين ١٣٣، المطرب١٤١، مطمح الأنفس ٢٧٠، معجم الأدباء ٢١١/٤، نفح الطيب ٤٩/٧، وفيات الأعيان ١١٠/١.

٢١ ـ عبد الملك بن سعيد المرادي الخازن

أديب شاعر، كثير الشعر، موصوف بالفضل، أورد له الحميدي والضبي بعض شعره.
بغية الملتمس ٣٨٠، جذوة المقتبس ٢٦٦، المغرب ٢٣٢/١، نفح ١٧٨/٣.

٢٢ ـ أبو عبد الملك الطليق

مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، شاعر مكثر، سُجن وقال أكثر شعره في السجن، يشبّه بابن المعتز من شعراء بني العباس. توفي قريباً من سنة ٤٠٠هـ.

بغية الملتمس ٤٦١، الحلة السيراء ٢٢٠/١، جذوة المقتبس ٣٢١، الذخيرة ٥٦٣/١/١، رايات المبرزين ١١٣، المغرب ١٩١/١، نفح الطيب ٥٨٦/٣.

٢٣ ـ عيسى بن عبد الملك بن قزمان

شاعر، أديب، معدود في علماء الحديث والأدب، وكان المنصور بن أبي عامر قد جعله يؤدّب هشاماً المؤيد.

بغية الملتمس ٤٠٣، جذوة المقتبس ٢٨٠، المغرب ٢١٠/١، يتيمة الدهر ٣٤/٢.

٢٤ ـ أبو القاسم البلمّي

أحمد بن محمد البلمّي الإشبيلي، ذكره صاحب الذخيرة.

الذخيرة ٢١٣/١/٢، المغرب ٢٥٩/١، نفح الطيب ٤٨٤/٣.

٢٥ ـ أبو القاسم بن عباد القاضي

ذو الوزارتين، صاحب إشبيلية، كان ذا باع في العلم والأدب توفي سنة ٤٣٣هـ.

البيان المغرب ١٩٤/٣، تاريخ قضاة الأندلس ٩٤، الحلة السيراء ٣٤/٢، مطمح الأنفس ١٦٩، نفح الطيب ٢٦/٤، الوافي بالوفيات ٢١٢/٢، وفيات الأعيان ٢٢/٥.

٢٦ ـ ابن القرشية

عبد العزير بن المنذر بن عبد الرحمن الناصر، ذكره ابن الأبّار في الحلة السيراء وأشار إلى أنه من ذوي العقد في بني مروان، وأبوه أبو الحكم المنذر هو الذي اشتهرت معرفته بابن القرشيّة، لأن أمه فاطمة بنت الأمير أبي الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن وكان له حظّ وافر من الأدب وحسن الشعر.

بغية الملتمس ٣٨٦، جذوة المقتبس ٢٧١، الحلة السيراء ٢١٠/١ ـ ٢١١.

٢٧ ـ محمد بن مسعود البجّانيّ

أبو عبد الله، أصله من بجّانة، وسكن قرطبة فنُسب إليها، وكان شاعراً مشهوراً منتجعاً للملوك كثير الشعر، مليح الغزل، وكان في حدود الأربع مئة.

بغية الملتمس ١٣١، جذوة المقتبس ٨٦، نفح الطيب ٣٨٨/٣.

٢٨ ـ أبو مروان الجزيري

عبد الملك بن إدريس الجزيري، وزير من وزراء الدولة العامرية، وأحد كتّابها، عالم أديب، شاعر مكثر، معدود في أكابر البلغاء، تولى شرطة المنصور ثم سجنهَ، قتله المظفر بعد أن سجنه سنة ٣٩٢ هـ.

بغية الملتمس ٣٧٤، جذوة المقتبس ٢٦١، الذخيرة ٤٦/١/٤، المغرب ٣٢١/١، نفح الطيب ٥٢٩/١، يتيمة الدهر ١٠١/٢.

٢٩ ـ ابن هانئ الأندلسيّ

محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الإلبيريّ، تأدّب بقرطبة ثم استطون إلبيرة، ثم صحب المعزّ العبيدي، توفي في برقة سنة ٣٦٢هـ.

الإحاطة ٢٨٨/٢، بغية الملتمس ١٤٠، التكملة ٣٦٨/١، جذوة المقتبس ٨٩، رايات المبرزين ١٥٠، المطرب ١٧٥، مطمح الأنفس ٣٢٢، معجم الأدباء ١٢٦/٧، المغرب ٩٧/٢، نفح الطيب ٤٠/٤.

٣٠ ـ يونس بن مسعود الرّصافيّ

منسوب إلى رصافة قرطبة، أديب شاعر، له شعر في بعض المصادر الأندلسيّة.

بغية الملتمس ٥١٣، جذوة المقتبس ٣٦٢.

الملحق الثاني

تعريف بالأزهار التي وردت في متن الكتاب

الآسُ

نباتٌ من فصيلة الآسيات، بيضيّ الورق، أبيض الزّهر عطريّ، ثماره صغيرة ذات لون أبيض أو أسود تسمّى حبّ الآس. وهي تؤكل وفيها عفوصة، وورقه دائم الخضرة، ينبت برّياً في بعض جبال الشام الغربية. وكان شائعاً في صالحية دمشق.

الأُقْحُوانُ

نباتٌ عشبي حوليّ تزيينيّ من الفصيلة المركّبة ينمو برّياً وزراعياً، وهو من المحاصيل الصناعيّة والطبية، وأوراق زهر الأقحوان صغيرة يشبهون بها الأسنان، يزهر في أواخر الخريف والشتاء.

الباقلاء

هو نبات الفول.

البَنَفْسَجُ

نوع من الرياحين الشتوية عطر الرائحة، وهو نبات من الفصيلة البنفسجية من ذوات الفلقتين الكثيرة التّويجات، يزرع للزينة ولأزهاره اللطيفة (بيضاء وصفراء، وبنفسجية)، وقد يستخدم في الطب.

البَهارُ

جنس زهر من المركّبات الأنبوبيّة الزّهر، طيّب الرّيح، ينبت أيّام الرّبيع، ويُقال له: العرار.

الجُلّنارُ

زهر الرّمان (فارسية).

الحوذان

أعشاب من فصيلة الحوذانيات، تكثر في البلدان المعتدلة الحرارة، أزهارها جميلة، وصفـراء اللون أغلب الأحيان، ويوجد منها أزهار حمراء اللون.

الخُزّم

نبات عشبيّ سنوي، ساقه قائمة، وأوراقه شريطية، وينتمي إلى الفصيلة القرنفليـة، ولونـه بنفسجي ذو رائحة طيبة.

الخيريّ

نبات له زهر، وغلب على أصفره لأنه الذي يسـتخرج دهنـه ويدخـل في الأدويـة، وهـو مايعرف بالمنثور.

الرَّيحْان

كلّ نبات طيب الرائحة من أنواع المشموم، وجنس من النبات طيب الرائحة من الفصيلة الشفوية، والحَبَقُ.

السَّوسَنُ

نبات عشبي بصليّ برّيّ وزارعيّ، طيّب الرائحة من الفصيلـة السوسـنيّة، أجناسـه كثـيرة وأفضله الأبيض، تستخرج من جذوره مواد طبيّة هامّة.

شقائق النُّعمان

نبات زهره أحمر من فصيلة الحواذنيّات، ينبت في أواخر الشتاء والرّبيع.

الظّيّان

هو الياسمين البرّي، ويلتفّ بعضه ببعض، ورقه صغير، زهره ياسميني الشكل.

النّرجس

جنس نباتات بصلية حوليّة من فصيلـة النّرجسيّات، ومنـه أنـواع كثـيرة تـزرع لجمـال زهرها، وطيب رائحتها، وزهرته تشبّه بها الأعين.

النِّسرين

نبات له زهر أبيض عطري، قوي الرائحة، وتستخلص منه الزيوت العطرية المستخدمة في الصناعة.

نور الكتّان

نبات من الفصيلة الكتّانية، حوليّ، يزرع في المناطق المعتدلة والدافئة يزيد ارتفاعه على نصف متر، زهرته زرقاء جميلة، وثمرته مدوّرة تعرف باسم بزر الكتان يعتصر منه الزيت، تنسج من ألياف الكتّان بعض الثياب.

نور اللّوز

شجر مثمر من الفصيلة الورديّة، شبيه بالمشمش، ويمكن استعمال زيت اللوز في التطبيب.

النَّيْلَوْفَرُ

جنس نباتات مائية من الفصيلة النّيلوفرّية، ينبت في المياه الراكدة له أصل كالجزر، وساق أملس يطول بحسب عمق الماء، فإذا ساوى سطح الماء أزرَقّ وأَزْهَرَ.

الوَرْد

نبات شائك من الفصيلة الورديّة، يزرع لزهره، وهو أنواع وأصناف، وزهره ذو أشكال وألوان مختلفة، منه ماهو ذو رائحة عطرة كالورد البلدي أو الدمشقي الذي يستقطر منه ماء يعرف بماء الورد، ودهن يسمّى عطر الورد، ومنه مالا رائحة له، ويتخذ للزينة.

الياسمين

جنس نباتات من الفصيلة الزيتونية والقبيلة الياسمينية، تزرع لزهرها ويستخرج دهن الياسمين من زهر بعض أنواعها، ومنه الياسمين الأبيض والأصفر.

الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

٢ - فهرس الأمثال والأقوال

٣ - فهرس الأعلام

الألف

الباء

الجيم

الحاء

الذال

الراء

الزاي

السين

العين

القاف

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

٤ ـ فهرس البلدان والأماكن

٥ - فهرس الرسائل والقطع النثرية

٦ - فهرس الأزهار

٧ - فهرس اللغة

الطاء

العين

الغين

الفاء

النون

الواو

٨ - فهرس القوافي

رويّ القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
		الألف المقصورة		
جناهُ	المنسرح	أبو حفص بن برد	٣	٧٢
ثناياهُ	المنسرح	ابن دراج القسطلي	٥	١٣٧
		الهمزة		
السَّماءِ	مخلّع البسيط	أبو بكر بن القوطية	٦	٢٥
النُّجباءِ	الكامل	أبو عامر بن مسلمة	٦	٩٣
الأسواءِ	الكامل	أبو الوليد الحميري	٧	٩٤
رياءِ	الخفيف	عبادة بن ماء السَّماءِ	٢	١١٦
الصَّحراءِ	الخفيف	أبو الحسن بن علي	٦	١٤٣
		الباء الساكنة		
وانتدبْ	الكامل	ابن درّاج القسطلي	١٠	١٣٧ - ١٣٨
اكتأبْ	مجزوء الرجز	أبو عبد الله بن مسعود	٢٠	٨٠ - ٨١
مكتئبْ	مجزوء الرجز	أبو عبد الله بن مسعود	٧	٩٢
رقيبْ	السريع	أبو الحسن بن غالب	٢	٥٥
الصَّوابْ	السريع	أبو جعفر بن الأبار	٢	١١٧ - ١١٨
الأديبْ	السريع	أبو الوليد الحميري	٤	١١٩
الصّوَّبْ	المنسرح	محمد بن مسعود البجانيّ	١٢	١٧ - ١٨
بالذَّهَبْ	المتقارب	ابن دراج القسطلي	١	٥٧
وطبْ	المتقارب	ابن دراج القسطلي	٨	١٠٥ - ١٠٦

٩ ـ فهرس المصادر والمراجع

● **ابن الأبّار**، محمد بن عبد الله القضاعي ت (٦٥٨هـ/١٢٦٠م).

١ ـ إعتاب الكتاب، تح صالح الأشتر، دمشق ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

٢ ـ التكملة لكتاب الصلة، تح عزت العطار الحسيني، القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م

٣ ـ الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

● **الأصفهانيّ**، حمزة بن الحسن ت زهاء (٣٦٠هـ/٩٧٠م)

٤ ـ الدرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة، تح عبد المجيد قطامش، القاهرة ١٩٧١م

٥ ـ سوائر الأمثال على أفعل، تح فهمي سعد، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٠

● **بالنثيا**، آنخل جنثالث

٦ ـ تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٥م.

● **ابن بسام الشنتريني**، علي. ت (٥٤٢هـ/١١٤٧م)

٧ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م

● **ابن بشكوال**، خلف بن عبد الملك ت (٥٤٢هـ/١١٨٣م)

٨ ـ الصلة، تح عزت العطار الحسيني، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

● **البيهقي**، أحمد بن الحسين ت (٤٥٨هـ/١٠٦٦م)

٩ ـ السنن الكبرى، بيروت د.ت.

● **ابن تغري بردي**، يوسف ت (٨٧٤هـ/١٤٧٠م)

١٠ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

● **الثّعالبي**، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ت (٤٢٩هـ/١٠٣٨م)

١١ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح محمد ابو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٨٥م.

١٢ ـ يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٦م.

● **الحريري**، القاسم بن علي ت (٥١٦هـ/١١٢٢م).

١٣ ـ درّة الغوّاص في أوهام الخواص، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة.

● **الحميدي**، محمد بن فتّوح ت (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)

١٤ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح محمد بن تاويت الطّنجي، القاهرة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م

● **الحميري**، محمد بن عبد المنعم ت (٧٢٧هـ/١٣٢٦م)

١٥ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عبّاس، بيروت ١٩٧٥م.

● **ابن خاقان**، الفتح بن محمد بن عبيد الله ت (٥٢٨هـ/١١٣٤م).

١٦ ـ قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تح محمد الطاهر بن عاشور، تونس ١٩٩٠م.

١٧ ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح محمد علي شوابكة، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

● **الخشني**، محمد بن حارث ت زهاء (٣٦٦هـ/٩٧٦م)

١٨ ـ قضاة قرطبة، تح عزت العطار الحسيني، القاهرة ١٣٧٢هـ.

● **ابن الخطيب**، لسان الدين ت (٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

١٩ ـ الإحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م

٢٠ ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٥٦م.

● **ابن خلكان**، أحمد بن محمد ت (٦٨١هـ-١٢٨٢م).

٢١ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تح إحسان عبّاس، بيروت ١٩٦٨م.

● **الخنساء**، تماضر بنت عمرو ت (٢٤هـ/٦٤٥م)

٢٢ ـ شرح ديوان الخنساء، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

● **ابن دحية**، عمر بن الحسن بن علي ت (٦٣٣هـ/١٢٣٦م)

٢٣ ـ المطرب من أشعار أهل المغرب، تح إبراهيم الأبياري ورفيقيه، القاهرة ١٩٥٥م.

● **ابن دراج القسطلي**، أحمد بن محمد ت (٤٢١هـ/١٠٣٠م).

٢٤ ـ ديوان ابن دراج القسطلي، تح محمود علي مكّي، دمشق ١٣٨٩هـ.

● **الذهبي**، محمد بن أحمد بن عثمان ت (٧٤٨هـ/١٣٤٨م)

٢٥ ـ العبر في خبر من عبر، تح صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، الكويت ١٩٦٣م.

ابن أبي ربيعة، عمر ت (٩٣هـ/٧١٢م).

٢٦ ـ شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م

● **الرمادي**، يوسف بن هارون ت (٤٠٣هـ/١٠١٢م)

٢٧ ـ ديوان الرّمادي، تح ماهر زهير جرّار، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

● **ابن الرومي**، علي بن العباس ت (٢٨٣هـ/٨٩٦م)

٢٨ ـ ديوان ابن الرومي، تح حسين نصّار، القاهرة ١٣٩٣هـ

● **الزبيدي**، محمد بن الحسن ت (٣٧٩هـ/٩٨٩م)

٢٩ ـ طبقات النحويين واللغويين، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

● **الزبيدي**، مرتضى محمد الحسيني ت (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)

٣٠ ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الفكر بيروت د.ت.

● **الزركلي**، خير الدين ت (١٣٩٦هـ /١٩٧٦م)

٣١ ـ الأعلام، بيروت ١٩٨٠.

● **الزمخشري**، محمود بن عمر ت (٥٣٨هـ/١١٤٣م)

٣٢ ـ أساس البلاغة، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

● **ابن سعيد**، علي بن موسى ت (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
٣٣ ـ رايات المبرّزين وغايات المميّزين، تح محمد رضوان الداية دمشق ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣٤ ـ المغرب في حلى المغرب، تح شوقي ضيف، القاهرة ١٩٨٠م.

● **ابن سلام الهروي**، القاسم ت (٢٢٤هـ/٨٣٨م).
٣٥ ـ أمثال أبي عبيد، تح عبد المجيد قطامش، دمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

● **الشافعي**، محمد بن إدريس ت (٢٠٤هـ/٨٢٠م)
٣٦ ـ ديوان الشافعي، تح إسماعيل اليوسف، دار الخير؟ د.ت

● **ابن شهيد**، أحمد بن عبد الملك الأشجعي ت (٤٢٦هـ/١٠٣٥م)
٣٧ ـ ديوان ابن شهيد الأندلسي، تح يعقوب زكي، القاهرة ١٩٦٩م.

● **الصفدي**، خليل بن أيبك ت (٧٦٤هـ/١٣٦٣م)
٣٨ ـ نَكْتُ الهِميان في نُكت العميان، تح أحمد زكي، القاهرة ١٣٢٩هـ.
٣٩ ، الوافي بالوفيات تح مجموعة من الباحثين فيسبادن ١٩٦٠ ومابعد.

● **الضَّبّي**، أحمد بن يحيى بن عميرة ت (٥٩٩هـ/١٢٠٣م)
٤٠ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، القاهرة ١٩٦٧م.

● **ابن عبد ربه**، أحمد ت (٣٢٨هـ/٩٤٠م)
٤١ ـ ديوان ابن عبد ربه، تح محمد رضوان الداية، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

● **ابن عبد الملك المراكشي**، محمد ت (٧٠٣هـ/١٣٠٣م).
٤٢ ـ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح إحسان عباس ومحمد بن شريفة بيروت.

● **ابن عدي**، عبد الله ت (٣٦٥هـ/٩٧٥م).
٤٣ ـ الكامل في ضعفاء الرجال، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

● **ابن عذاري المراكشي**، أحمد بن محمد ت (٧١٣هـ/١٣١٢م).

٤٤ ـ البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب، تح ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٨٣م.

● **ابن العماد الحنبلي**، عبد الحيّ ت (١٠٨٩م/١٦٧٨م).

٤٥ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت،د.ت.

● **ابن الفرضي**، عبد الله بن محمد بن يوسف ت (٤٠٣هـ/١٠١٣م).

٤٦ ـ تاريخ علماء الأندلس، تح عزت العطار الحسيني، القاهرة ١٩٦٦م.

● **ابن قتيبة**، عبد الله بن مسلم ت (٢٧٦هـ/٨٨٩م).

٤٧ ـ الشعر والشعراء، تح أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٩٦٦م.

● **القطامي**، عُمَير بن شُيَيم ت زهاء (١٣٠هـ/٧٤٧م).

٤٨ ـ ديوان القطامي تح إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب بيروت ١٩٦٠م.

● **القلقشندي**، أحمد بن علي ت (٨٢١هـ/١٤١٨م)

٤٩ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة ١٩١٥م ومابعد.

● **ابن الكتاني**، محمد ت (ق٥هـ/١١م).

٥٠ ـ التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح إحسان عباس، بيروت ١٩٦٦م.

● **الكتبي**، محمد بن شاكر ت (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).

٥١ ـ فوات الوفيات، تح إحسان عباس بيروت ١٩٧٣م.

● **كحالة**، عمر رضا

٥٢ ـ معجم المؤلفين، دمشق ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

● **المراكشي**، عبد الواحد بن علي ت (٦٤٧هـ/١٢٥٠م).

٥٣ ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

● **ابن المعتز**، عبد الله ت (٢٩٦هـ/٩٠٩م)

٥٤ ـ ديوان ابن المعتز، تح محمد بديع شريف، القاهرة ١٩٧٧م.

● **المقري**، أحمد بن محمد ت (١٠٤١هـ/١٦٣١م).

٥٥ ـ أزهار الرياض في أخبار عياض تح، مصطفى السقا وآخرين، القاهرة ١٩٣٩هـ والرباط د.ت.

٥٦ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تح إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨م.

● **ابن منظور**، محمد بن مكرم ت (٧١١هـ/١٣١١م)

٥٧ ـ لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٩٨٢م.

● **الميداني** ، أحمد بن محمد ت (٥١٨هـ/١١٢٤م).

٥٨ ـ مجمع الأمثال، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت .

النباهي، علي بن عبد الله ت (٧٩٣هـ/١٣٩١م).

٥٩ ـ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، (تاريخ قضاة الأندلس) تح ليفي بروفنسال بيروت د.ت.

● **النويري**، أحمد بن عبد الوهاب ت (٧٣٣هـ/١٣٣٣م).

٦٠ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، طبعة دار الكتب المصرية.

● **ابن هانئ الأندلسي**، محمد ت (٣٦٢هـ/٩٧٢م).

٦١ ـ ديوان ابن هانئ، بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

الهندي، علاء الدين.

٦٢ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح بكري حياني، وصفوة الشعار، حلب ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

● **ياقوت الحموي** ت (٦٢٦هـ/١٢٢٩م).

٦٣ ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) تح مرجليوث، القاهرة ١٩٢٣/ ١٩٣٠م.

٦٤ ـ معجم البلدان، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

● **اليوسي**، الحسن بن مسعود ت (١١٠٢هـ/١٦٩١م)

٦٥ ـ زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٩ ـ فهرس المحتويات



صدر للمحقق

- ديوان الجراوي جمع وتحقيق دار سعد الدين، دمشق ١٩٩٤م.
- تفريج الكرب عن قلوب أهل الأرب في معرفة لاميّة العرب لابن زاكور الفاسي دار سعد الدين، دمشق ١٩٩٥م.
- نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال لأبي الربيع الكلاعي دار سعد الدين، دمشق ١٩٩٥

تحت الطبع:

- كتاب الأمثال لزيد بن رفاعة الهاشمي
- لمح السحر وروح الشعر لابن ليون التجيبي
- إهداء الأمراء في تواريخ الشعراء ليوسف بن إبراهيم القرطبي
- قراءات في الأدب المغربي القديم.